
مصطفى أمين
سنة ثانية سجن
المكتب المصري الحديث

إهـــــــداء2005

الأستاذ الدكتور/ أحمد حمدي محمود

القاهرة

الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٧٥
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٥

الناشر : المكتب المصري الحـــديث للطبع والنشر
٧ شارع نوبار ت ٢٦٦٠ : الاسـكندرية
٤ شارع شريف ت ٥٣١٢٧ القــاهرة

مصطفى أمين

سنة ثانية سجن

هذه الرسائل الملقية بالأغلال

هـــذه سنة ثانيـــة سجن !

انها مجموعة من الرسائل كتبتها فى الزنزانة فى السنة الثانيـة من سجنى . رسائل مهربة ، غافلت قبضة السجان وهربت من جو الزنزانة الخانق الى الهواء الطلق ، خدعت الحراس ، واقتحمت الأسوار ، وضللت الأجهزة التى كانت تراقب المسجونين السياسيين بالليـل والنهـار .

الرسائل مذعورة تتلفت حولهـا فى رعب . الكلمات ثقيـلة تجر وراءها السلاسل . المعـانى مسجونة فى حروف . الهول الاكبر أن تحاول وأنت مسجون أن تكتب كلمة حرة ! الأغلال التى فى يديـك تمنع الكتابة . القضبان امام عينيك تمنع الرؤية . الباب الحـديدى الذى يقف بينـك وبين الحياة يمنع التفكير . عالم الممنوع لا يبيح اى شيء . القلم ممنوع . الورق ممنوع . الحبر ممنوع . الاحتجاج ممنـــــوع ..

المسجون السياسى أسـير فى حرب لم يدخلها . لا يعرف لمـاذا جاء الى الأسر ، ولا يعرف متى يخرج من الأسر . لا يستطيع ان يشـكو الظلم لأن الظالم هو الحاكم . ولا يستطيع أن يسـتنجد بالعدالة لأنها مسجونة فى زنزانة مجاورة . ولا يستطيع أن يستصرخ القانون لأنه مشنوق تحته فى غرفة الأعدام !

ومع ذلك استطاع المسجونون السياسيون أن يقـاوموا القيود المفروضة . وأن يحفروا بابر صغيرة فى الصخر الأصم ثقوبا يدخـل منهـا الهواء والنور والحرية ! وتخرج من هـذه الثقوب صرخات المظلومين وأنين المصلوبين ودعوات المعذبين !

كانت التعليمـات مشـددة بالا يكون فى زنزانتى قلم ولا ورق ولا حبر . .واذا كتبت فتكون الكتابة فى غرفة الضابط ، وفى حضوره،

والا يزيد ما اكتبـه على خطابين فى كل الشهر والا تزيد مسـاحة الخطاب على نصف ورقة ..

ولم أستطع ان اخضـع لهذا القرار الظالم . احنيت رأسى ، ولعنتـه !

وبدأنا نقاوم على طريقتنا ..

واخفيت القلم والورق عند مسجون غير سياسى فى زنزانة تبعد ١٣ زنزانة عن زنزانتى ..

وعند المغرب يتم اغلاق الطابق الرابع كله الذى كنت فيه ..

وتمتد يد محمد الى خارج القضبان تحمل الورق والقلم من نافذة الزنزانة رقم ١٤

وتمتد يد المسجون فى الزنزانة رقم ١٣ خارج القضبان ، وتلتقط الورق والقلم .. وتسلمهما الى المسجون فى زنزانة رقم ١٢ .

وهكذا ينتقل الورق والقلم من نافذة زنزانة الى نافذة زنزانـة اخرى حتى يصلا الى الزنزانة رقم واحد التى كنت فيها ..

وابدا فى الكتابة ..

حينا فى ضوء كهرباء خافت ، واحيانا فى ضوء شمعة ..

وتستمر الكتابة الى ان تجىء حملة التفتيش ، وما يكاد يشـعر بها زميلنا الناضورجى فى الطابق الأول فى عنبر واحد حتى يصرخ « احمد عبد الرحمن » !

وهى كلمة سر معناها ان هناك حملة تفتيش ..

ويصرخ بها الناضورجى فى الطابق الثانى .. ثم الثالث .. واسرع فى زنزانتى أخرج ذراعى من بين قضبان النافذة ، بالقلم والورق ، فيلتقطهما زميلى المسجون فى الزنزانة رقم ٢ ، الى الزنزانة رقم ٣ ، الى ان يصلا الى محمد فى الزنزانة رقم ١٤ .

ويقتحم الضابط والحراس زنزانتى ، ويفتشون كل ركن فيهـا فلا يجدون شيئا ..

ويفتشون زنازين المسجونين السياسيين فلا يجدون شيئا !

ولا يخطر ببالهم ان يفتشوا الزنزانة رقم ١٤ لان المسجون بهـا مسجون عادى .. ولا يقرأ ولا يكتب !!

وهكذا استطعت في خلال هذه السنوات التسع أن أكتب عشرة آلاف رسالة ، وست قصص ، وكتابين سياسيين ثم يبقى سؤال ..

كيف كانت هذه الرسائل تتسلل الى خارج السجن .. ؟

ان كل رسالة كانت تخرج من بوابة عليها حـارس : وتمـر في طريق طويل ملىء بكردونات التفتيش ..

ثم تنطلق من بوابة حديدية ضخمة وقف عليها عدد من الحراس يفتشون كل شيء !

ومع ذلك استطاعت عشرة آلاف رسالة ان تفتح الأسوار .. وكان فريق من أصدقائي يتولى عملية التهـريب ، فتصل الرسائل أولا الى سعيد فريحة في بيروت ثم الى على أمين في لندن ..

وقد كانت سيدة مصرية هي التي تتزعم هذا الفريق من الأصدقاء الذى كان يقوم بهذه المهمة الخطرة ، التى كانت تعرض القائمين بها للسجن أو الاعتقال والوضع تحت الحراسة ..

ولا أستطيع ان اذكر في الوقت الحاضر للأسف اسـماء هـؤلاء الأبطال الذين عاونوني ..

فقد ادخل السجن مرة ثانية !

مصطفى امين

رسالة من كمال الدين حسين الى جمال عبد الناصر

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت من بعض تلاميذى وأنا فى سجن الاستئناف أن كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة ثائر وغاضب على جرائم التعذيب التى ارتكبت ضد المسجونين السياسيين .. وانه لم يصدق فى أول الأمر ما سمعه ، وعندما تأكد من حوادث التعذيب كتب الخطاب التالى الى الرئيس جمال عبد الناصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا خير فى اذا لم أقلها لك .

اتق الله .

ومن يتق الله يجعل له مخرجا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا « قرآن كريم » .

ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا « قرآن كريم » .

اتــق الله .

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم .

« يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » .

اتق الله . ولا تكن ممن قال فيهم الله سبحانه وتعــالى .. « واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم » .

انق الله . امر الله بها الرسول والمؤمنين .

وامر بها الرسول اصحابه والمؤمنين .

وقالها الخلفاء والائمة لبعضهم ، ولولاتهم ، وللمسلمين .

وقالها المسلمون للخلفاء ، والائمة ، والولاة ، ولبعضهم بعضا .

قالها تلك الأمة التى اعزها الله بقوله :

« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

صدق الله العظيم .

والسلام على من اتبع الهدى .

كمال الدين حسين

١٢ اكتوبر سنة ١٩٦٥

وقد تلقيت صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمـــال الدين حسين .

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

لقد خفت ربي إذا لم أتق ... الله

اتقوا الله:

"ومن يتق الله يجعل له مخرجا" قرآن كريم

"ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا" " "

"ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا" " "

اتق الله

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم

"يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين"

وتقوى الله: ولا تكن ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى .

.. "وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم".

وطاعة الله: أمر الله بحق الرسول والمؤمنين

وأمر الرسول . أصحابه والمؤمنين

وقال الخلفاء والأئمة لبعضهم ولولاتهم وللمسلمين .

وقال المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم لبعض

قالتي تلك الأمة التي أخرجها الله بقوله .

"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" صدق الله العظيم

والسلام على من اتبع الهدى ؟ كمال الدين حسين

١٢/٨/٦٥

رسالة من كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر

سجن الاستئناف ..

عزيزى .

ما كاد الرئيس يتلقى خطاب « اتق الله » من كمال الدين حسين ؟ الذى يحتج فيه على تعذيب المسجونين السياسيين ، حتى أحاط تلاميذ مدرسة التعذيب بالرئيس ، وأوغروا صدره على كمال الدين حسين ، فأمر فى يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٥ باعتقاله فى استراحة بالهرم ، وذلك بعد يومين فقط من وصول رسالة « اتق الله » !

وكتب كمال الدين حسين فى معتقله رسالة الى المشير عبدالحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام .

وقد استطاع تلاميذى أن يهربوا لى داخل السجن نص هذه الرسالة الخطيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كلمة صريحة واخيرة ، لن تنزعج بعدها يا عبد الحكيم ، لم اجد بدا من ان اقولها لك بعد كل ما حدث ، وان كنت قد ترددت كثيرا في الكتابة لك ، فانني حين نويت ، لم اتردد قط في ان اكون صريحا .

اليوم يا عبد الحكيم أصبحت اعتقد انه لا حياة لي في بلدي ، الذي أصبحت أرى فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو انا ما فيه وما فيه اهـــلي .

عندما قلت لكم اتقوا الله ، قصدت ان تتقوا الله في هذا الشعب ، الذي تمنا سويا لخلاصه واسترداد حريته . قلت لكم (اتقوا الله) بعد ان الجمتم جميـــع الأفواه ، الا افواه المنافقين ، والمتزلفين ، والطبالين ، والزمارين . قلت لكم اتقوا الله في الحرية التي قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها ، وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية ، نطمئن — حين نقضي من هذه الدنيا — ان قد أدينا أمانتنا ، فنترك بعدنا هذه البراعم قد نضجت وأصبحت سوقا قوية قادرة على الصمود .

قلت لكم « اتقوا الله » لأنكم أردتم « استنعاج » هذا الشعب ، وانا لم ولن أرضى بذلك .

ولذلك اصبحت الآن لا أطيق الحياة في هذا الجو الخانق ، وارجو ان يتيسر لك معرفة درجة الاطمئنان في هذا الجو . اذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون اعظم . فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من أخوة كانت بيننا في يوم من الأيام . فانني لا اطلب سوى أن أخرج انا ومن يريد من اسرتي ، التي نالها أيضا نصيب وافر من اجراءات . أخرج لأبقى الى جوار رسول الله حيث أقضي ما بقي من حياتي ، مستخلصا روحي لنفسي ودين الله .

فاليوم يمكنني أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن ، بعد ما كان جزائي — وأنا القـسد — على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه .

وانت نعلم يا عبد الحكيم انـسكم لن يمكنكم ان تكبلوا روحى وان اعتقدتم انكم كبلتم جسمى .

.وانت تعلم يا عبد الحكيم انكم لا تملكون اى حق شرعى فيما تمتم به نحوى ، الا حق الديكتاتورية والطغيـان . اذا جاز أن يكون لهما حق .

وانت تعلم يا عبد الحكيم انـه اذا لم تتقيدوا بشرع تجاهى ، فالناس يعلمون (ومن زمن) انكم غير مقيدين بشرع تجاههم . وهم اذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فانهم سوف يعرفون معناه جيدا الآن .

انني آسف ان تتحول ثورة الحرية الى ثورة ارهاب ، يعلم فيها كل انسان مصـيره لو قال كلمة حرة ، يرضى بهـا ربه وضميره ووطنـه .

واذا قيـل لى وللناس أن هناك مفهوما آخر للحرية فهـذا هو التضليل.وحكم الهوى ، الذى يضل به الشيطان أولياءه ، لينسوا قانون الله وشرع الله ، شرع الاسلام الذي جاء ليخلص الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد . حرية يتساوى فيها أبناء آدم جميعا أمام الله ، أمام الشرع أمام الحكم الالهى ، الذى لا يقبـل التأويل واللف والدوران .

يا عبد الحكيم ! مهمـا كانت التعابير الجـديدة والشعارات ، فالحرية هى الحرية ، التي عبر عنها عمر حين قال « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا » وحين قيل له (اتق الله) قال .. « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها » .. وانت تعلم يا عبد الحكيم انني لن استعطف أحدا ، ولن يؤدبني احدا ، والحق معي ، ولقد جابهتكم جميعا بذلك فى مناسبة سابقة . لانى لا اخاف الا الله .

وانا حين اكتب اليك الآن فانني لا اطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الارض التى يئست ان تقال فيها كلمة حق ، فضلا عن أن يقام فيها ميزان عدل — وان ابيتم على ذلك فان وليي الله ، عليه أتوكل ، واليه انيب ، وانا لله وانا اليه راجعون .

يا عبد الحكيم ! ان اجراءاتكم هذه التى اصابتنى ، وان كنت قد تحملتها فى صبر ، فان الصدع الذى اصاب مشاعرى نحو من امر بها ، صدع يصعب رتقه ، وبقائى هنا متعبة لى ولكم .

وانت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس عام ١٩٦٥ وقلت لك : انني مستعد للاعتقال ، والقتل ، وأى شيء آخر .

قلت لى عن نفسك « اعتقال ايه يا شيخ ، والله انا اللى ييجى يعتقلنى انا اضربه بالرصاص » .

انا فكرت فى هذا ، ولكنى لم استصوبه ، لأن هذا ينافى ايمانى .

وجاء يحدثنى هلال كرجل ، وعلى لسان رجل او رجال ، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتشوا منزلى ، وحجرة مكتبى ورقة ورقة ، وحجره نومى ، وعائلتى ، وحتى ملابسى ، ومتعلقات السيدات .

واعتقلوا اهلى ، وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ ، وانا لا اعرف مصيرهم حتى الآن تماما ، كى لا يعلم احد من افراد الشعب سبب أو مكان ، ولا مصير أى شخص يعتقل منهم ، واذا مات احدهم (لأى سبب !!!) يكتفى بأن يخطر أهله انه قد هرب او انه قد دفن فى مكان كذا تحت رقم كذا ، مجرد رقم . كان انسانا حيا وأصبح مدفونا !

يا عبد الحكيم ! ان ما قمتم به ضدى جريمة ، تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه آلاف المواطنين (طبعـــا مع تغيير فى الشكل) . كانت الرجولة يا عبد الحكيم تقتضى أن يواجهنى واحد منكم (واحد منا) لأعلم منه ماذا جرى ، ولماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (ان اتقوا الله) ؟

ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم ، فابيتم هذه المواجهة ، واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ، ولا يكبل ضميرا حيا ، ولايئد ايمانا وتقوى . ولكن يورث النفس مرارة وأسفا .

واذا لم يواجهني واحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة علنية او شرعية . على الاقل لاعرف ما هي التهمة الموجهة لي ما دام قد أصبح امرا طبيعيا في (زمن الحرية) أن يعتقل الناس ، وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة . انني اتحدى اى اتهام . واتحدى ان يواجهني أحد بأى اتهام يبرر ما حدث (طبعا أنا اخرج من حسابي عمليات التلفيق لأنني ما زلت انكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك) .

يا عبد الحكيم ! الم اقل لك في مارس الماضي « ما هي ضمانات الحرية » ؟ فقلت « نحن ضمانات الحرية » !

وقلت لك : انني لا اثق في ذلك .

وهذه الأيام تاتيني بالبرهان ، بأن للحرية ضمانات ، « وأنتم الضمانات » .. كل شيء جايز ...

الم اقل لك يومئذ انه اذا لم يتنازل عن تالهه ، وفرديته ، فلا فائدة من العمل معه ؟

فهل يا ترى هذا الذى جرى لى لمواجهة الكلمة (اتق الله) هو دليل هذا التنازل ؟

كلمة صريحة اقولها لك يا عبد الحكيم ! انني أرثى لهذه الحال . ومع ذلك اتمنى أن يهديكم الله ..

لا تغضب انت الآخر يا عبد الحكيم . راجع نفسك . ولا يغلبك الهوى والغرض . راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وعلى مدى سنتين من هذه الثورة ، ثم أنظر أين ينتهى بكم الطـــريق ، طريق الحرية .. اقدس ما منح الله للانسان !!

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأى الناس فيكم ، وما يحسونه نحوكم .. لقد أصبحتم ويا للأسف في نظر الشعب جلاديه . نتيجة

تدعو للرثاء ، وحصاد مر لثورة ٢٣ يوليو « التحريرية الكبرى » تتجرعه الملايين المستذلة ، بعد ما وضعت فى تلك الثورة وقادتها ، آمالها . واعطتها الكثير ، واستأمنتها على الكثير « على الحرية » .

ولكن اين الأمانة الان ؟ ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، لقد بددت الأمانة، لقد وئدت الحرية ونعيش فى هذه الأيام مأتمها فى ليل لا يبدو له فجر .

يا عبد الحكيم ! لا تتصور انى مبتئس لما جرى ، ولكنى حقيقة اشعر بالأسف . اقول « يا حسرة على الرجال » « يا خسارة على الثورة » .

واشعر بذنب واحد ، هو أن ثقتى الغير محدودة فيكم مكنت الطغيان ان يسلب هذا الشعب حريته ، وكرامته وانسانيته . مهما كانت الشعارات الزائفة التى تردد والادعاءات الكاذبة التى تقال . والناس جميعا يعرفون حقيقتها .

والسلام ..

كمال الدين حسين
٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٥.

وقد تلقيت فى السجن صورة فوتوغرافية من الخطاب بخط كمال الدين حسين .

الرسالة الثانية - عبد الحكيم عامر :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم   السلام عليكم ورحمة الله وبركاته   ولعل
كلمة صريحة (واجبة لمن نحن بصددها) يا عبد الحكيم، لم أجد بدا من
أن أذكرك الله لعلك تحس ما حدث، وإن كنت قد ترددت كثيرا في الكتابة إليك، وأنتم
حيث [illegible]، لم أتردد قط في أن أدعوك صريحا.
اليوم يا عبد الحكيم أحببت أن أعتقد أن [illegible] في [illegible] الذي أحببت
أن يكون فيه جزاء الكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما فيه أهلي، عندما قلت
لكم اتقوا الله فعرضت أن تتقوا الله في هذا الشعب الذي قمنا معا بثورته
واسترداد حريته. قلت لكم (اتقوا الله) بعد أن أطلقتم جميع الأفواه إلا أفواه
المنافقين والمتزلفين والمتاجرين والزمارين. قلت لكم اتقوا الله في الحرية
التي قضيتم على كل ما كان باقيا من آثارها، وكنا نأمل أن [illegible] لو [illegible]
[illegible] - حين [illegible] من هذه الدنيا. أن قرأنا أمانينا فتركك [illegible]
الشعب، قد [illegible]، وأصبحت [illegible] قوة قادرة على الصدور. قلت لكم
اتقوا الله لأنكم أردتم استعباد هذا الشعب وأنا لم ولن أرضى ذلك.
ولذلك أصبحت الآن ولن أطلب الحياة في هذا الجو الخانق (وأرجو أن
يعجل الله معرفة [illegible] في هذا الجو. إذا لم يتيسر ذلك فالعيشة [illegible]
~~[illegible]~~ لأن [illegible] بيتا [illegible] الأيام [illegible]
أطلب منه أن أخرج أنا ومن [illegible] (إلى [illegible] تعيب [illegible]
أخرج لذنبه إلى جوار رسول الله [illegible] ما [illegible] من حياتي. مستقبلا [illegible]
لنفسي ودمي لله - فاليوم [illegible] أن أرى. [illegible] لها
[illegible] - أنا الذي - على كلمة الحق (اتق الله) ما أنا فيه.
وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنكم لن [illegible] أن [illegible] روحي [illegible]
[illegible] - وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنكم لن [illegible] أي [illegible]
[illegible] به [illegible] إلا [illegible] الدكتاتورية والطغيان - إذا جاز أن [illegible]
وأنت تعلم يا عبد الحكيم أنه إذا لم تتقيدوا بشرع مجاهد، فالناس [illegible]
(وبعد ذلك) أنكم غير مقيدين بشرع أي [illegible] - وهم إذا لم [illegible]
[illegible] في عام ١٩٦٦ فإنهم سوف [illegible] جيدا [illegible] -
[illegible] أن [illegible] الحرية إلى ثورة [illegible]. - [illegible] إليك ولعلي
[illegible] كلمة [illegible] من [illegible] وصفيه [illegible]. فإذا قيل لك [illegible]
هنالك [illegible] آخر [illegible] هو التضليل وعلى الهوى الذي [illegible] به [illegible]
وأوليائه. - [illegible] قانون الله وشرع الله [illegible] الذي جاء لتحرير
من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد - [illegible]. [illegible] أبناء آدم [illegible]
أمام الله أمام الشرع أمام القضاء [illegible] الذي لا يقبل التأويل والله [illegible]

يا عبد الحليم [illegible] التي [illegible] فالحرية هي الحرية التي [illegible]
[illegible] قال " متى [illegible] الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " ، ومن قبل له
(رضي الله) - قال (لا [illegible] إذا لم [illegible] ولا [illegible] إلا [illegible])
أنت تعلم يا عبد الحليم أنني لا [illegible] أبدا ولا [illegible] أحد (والحمد)
ولقد [illegible] من [illegible] سابقة ، [illegible] إلا الله .
وأما [illegible] الكتب [illegible] فإنني لا [illegible] الرجل [illegible]
التي [illegible] أن [illegible] كلمة [illegible] أن [illegible]
[illegible] الله [illegible] الشكل [illegible] وإذا [illegible]
[illegible] ، يا عبد الحليم إن [illegible] التي [illegible]
قد [illegible] في [illegible] الذي [illegible]
[illegible] هذا [illegible] وأنت تعلم يا عبد الحليم [illegible]
[illegible] أنني [illegible] [illegible]
[illegible] يا شيخ [illegible] أنا [illegible] " . أنا [illegible] في هذا [illegible]
[illegible] لنا بأن [illegible] [illegible]
[illegible] الشباب أن [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] يا عبد [illegible]
[illegible] التي [illegible] الآن [illegible] يا عبد الحليم [illegible]
[illegible] (واضحا) [illegible] ماذا [illegible] الطبقة [illegible]
[illegible] (أن اتقوا الله) [illegible]
[illegible] هذه [illegible] [illegible] عندنا [illegible]
[illegible] النفس [illegible] . وإذا لم [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible]
هي [illegible] [illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] . [illegible]
[illegible] ([illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] مثل ذلك)
يا عبد الحليم [illegible] " ما هي [illegible] " فقلت
" [illegible] " [illegible] ذلك [illegible] . وهذه [illegible]
[illegible] [illegible] ... [illegible] "
[illegible] إذا لم [illegible]
[illegible] هذا [illegible] (أتقى الله) هو دليل هذا [illegible] ...

كلمة صريحة أوجهها إلى عبد الحكيم !! أرق

لهذه الحال ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله

لا تغضب أنت الآخر يا عبد الحكيم - واجلس لحظة -

ولا يغلبك الهوى والغرض .. وابحث ضميرك قبل ثورة

٢٣ يوليو وبعد ... من هذه الثورة ثم انظر

أن ترى كم الطريق .. طريق الحرية ... الذي مهده لنا مع

الله سبحانه .!!

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأي الناس فيكم وما يحسبونه

نحوكم ... لقد أصبحتم ويا للأسف ما ثار الشعب

جلاديه : نتيجة تدعو للرثاء وضياع للثورة

٢٣ يوليو (الحرية الكبرى) تتجرعه الملايين المتذللة

بعد ما وضعت في تلك الثورة وثقة آمالك وأعطت الكثير

واستأثرتم على الكثير "على الحرية"

وليس أشد الأمانة لكنه والله يا أكرم أن تؤدوا

الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل ؛ ليت هبت الأمانة .. لهذه الثورة

(٤)

الحرية والتعبير في هذه الأيام ما هي إلا تمثيل لا يبعد

عن نجيب

يا حبيب الخليج لا نصدق أن يحدث لي ما جرى ولكن

حقيقة أشعر بالأسف أقول " يا حسرة على الرجال"

" يا خسارة على الثورة "

إن في شعب واحد مثل أنت تفتى لهذا محدودة

فكيف مكنت للطغاة أن يسلب هذا الشعب

حريته وكرامته وإنسانيته . مع أمانتك الشعارات

الرنانة التي تردد والادعاءات الكاذبة التي تقال

ولكن حبيبا لديه مخلص ومحبه

[signature]

٢٥/١٠/٦٥

لن يقول أحد لا

سجن الاستئناف ..

عزيزى ..

تسألنى رأيى فى خطاب كمال الدين حسين الى الرئيس عبد الناصر وخطابه الى عبد الحكيم عامر . ان رأيى أن الخطابين موجهان الى الرئيس عبد الناصر . وما يشكو منه كمال الدين حسين سبق أن شكا منه عبد الحكيم عامر فى أحاديثه معى وفى استقالته الخطيرة التى قدمها عام ١٩٦٢ وأعطانى صورة منها . وتحدثت بشأنها مع الرئيس عبد الناصر . ولا أوافقك على رأيك بأن صرخة كمال حسين سوف تفزع الفراعنة الصغار الذين حول الرئيس ، وستجعلهم يعدلون عن غلوائهم واستبدادهم وجرائمهم . على العكس اننى أتوقع أن يحدث أن يشتد الضغط والارهاب . ولن يقال للرئيس بأن كمال الدين حسين يعبر عن رأى عام يستنكر تلفيق القضايا ، والمحاكمات الصورية ، وأحكام محاكم التفتيش ، وجو الكبت ، والتعذيب والمعتقلات . بل سيقولون له أن كمال الدين حسين يريد أن يتزعم المعارضة .

وليست هذه أول مرة يوضع رجل فى مكانة كمال الدين حسين ، نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الثورة ، فى المعتقل .. فقد أصبح السجن الآن أشبه بكلوب محمد على الذى كان يضم رؤساء الوزارات والوزراء والكبراء فى العهد الماضى ! .

انك لو أحصيت الذين دخلوا السجن أو المعتقل لوجدت بينهم رئيس جمهورية هو اللواء محمد نجيب ووصيا على العرش هو القائمقام رشاد مهنا ورؤساء وزارة أمثال ابراهيم عبد الهادى ونجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وعثمان محرم

وزير الأشغال ومحمد صلاح الدين وزير الخارجية ومرتضى المراغى وزير الداخلية وزكى عبد المتعال وزير المالية وعبد المجيد ابراهيم صالح وزير المواصلات والدكتور حافظ عفيفى وزير الخارجية السابق ورئيس الديوان الملكى وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية وحسن الهضيبى مرشد الاخوان المسلمين والمستشار بمحكمة النقض والابرام وأحمد عبد الغفار وزير الزراعة وحامد جودة رئيس مجلس النواب .

واهمية القبض على كمال الدين حسين انه كان من اقرب اعضاء مجلس الثورة الى قلب الرئيس ، ووقف معه بحماس فى كل معاركه. وعندما اختلف معه اعتكف فى بيته ولم يقل لأحد اى شىء عن سبب الخلاف مع انه كان سببا هاما جدا ، وهو على ما اتذكر أن الرئيس عرض عليه هو وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم خطة جديدة فى تطبيق الاشتراكية فى مصر تجعلها اقرب الى الشيوعية فاعترض عليها الثلاثة وعندما قال الرئيس انه سيؤمم محلات البقالة الصغيرة قال له كمال الدين حسين « فى المشمش » وأرسل الثلاثة استقالتهم.

فاذا اعترض كمال الدين حسين على ما جرى للمسجونين السياسيين من تلفيق وتعذيب وارسل للرئيس يقول له اتق الله كما فعل المسلمون مع عمر بن الخطاب خليفة المسلمين .. فاذا بالأمر يصدر بالقبض على كمال الدين وكل الذين كانوا يزورونه فى بيته فمعنى ذلك أن الحرية فى بلادنا تصادف محنة كبرى .

وسيكون من نتيجة ما حدث لنا ، وما حدث لكمال الدين حسين ، أن أحدا لن يجرؤ ويقول الحقيقة للرئيس .. ولن يسمع بعد ذلك سوى المدح والثناء ، والتأييد والتاليه .. وهذا هو أكبر خطر يتعرض له عبد الناصر .

ان ميزة عبد الناصر الكبرى انه كان يسمح لنا بأن نقول له آراءنا بصراحة تامة ، ولم يكن يغضب عندما كنا نعترض على بعض التصرفات . ولم يحدث الا بعد مرضه انه كان يضيق بكلمة الاعتراض على رأى له . وقد أرسل لى عبد الحكيم عامر وأنا فى السجن يقول ان سبب « مصيبتى » اننى كتبت مقالا فى الموقف

السياسى فى اخبار اليوم من الكونغو ! نعم عن الكونغو .. وان الرئيس فهم من المقال أنني اقصد الحالة فى مصر ، واننى اريد أن اقول انه نشر الارهاب ، وانه كمم الأفواه ، وان هذا هو السبب فى القرار الذى صدر بالبطش بى « حتى أعرف الارهاب يبقى أيه » واذكر انه فى أوائل ديسمبر ١٩٦٢ ، استدعانى عبد الحكيم الى بيته فى الحلمية ، وأعطانى نص استقالة ارسلها الى الرئيس عبد الناصر ، وشعرت يومها أن شرخا حدث فى العلاقة بين الصديقين العزيزين أو بين (التوأمين) كما كان يقول عبد الحكيم .

كان عبد الناصر يشكو لى أن عبد الحكيم سيىء الاختيار فى اختيار مديرى مكتبه .. كل مدير مكتب اختاره حاول أن يقوم بانقلاب ضد عبد الناصر ...

وكان عبد الناصر يشك ان السبب فى ذلك ان الجو الذى حول عبد الحكيم يكره الرئيس عبد الناصر ، وهذا هو سر أن جميع الانقلابات تجىء من داخل مكتب عبد الحكيم ، أما عبد الحكيم فهو يقول أن على صبرى وسامى شرف وباقى حاشية عبد الناصر هى التى افسدت العلاقة .

وان عبد الناصر اصبح ديكتاتورا ، وهو يرى أن لا حل الا بالديموقراطية وبمنح الصحافة حريتها ..

وغضب عبد الناصر من صيغة استقالة عبد الحكيم ، ثم هدا بعد ذلك ووعد عبد الحكيم بتنفيذ كل ما فيها من طلبات ..

ثم عدل بعد ذلك ولم ينفذ منها اى طلب .

وهذا هو نص استقالة عبد الحكيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب القائد العام ..

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ارى ان الواجب .. وايضا الوفاء .. يقتضى أن اكتب اليك معبراً عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة .

فبعد عشر سنوات من الثورة وبعد عشرين سنة صلة بينى وبينك لا يمكننى أن اتركك واعتزل الحياة العامة دون أن أبوح لك بما فى نفسى كعادتى دائما .

انى اعتقد ان الانسجام والتفاهم بين المجموعة التى تشارك فى الحكم امر ضرورى واوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين افراد هذه المجموعة وقد وجـــدت فى الفترة الأخيرة أن الاسلوب الغالب هو المنـــاورات السياسية ونوع من التكتيك الحـــزبى . فضـــلا على ما لا أعلمه من اساليب الدس السياسى ، والذى قد اكون مخطئا فى تصوره ولو ان الحوادث كلها والمنطق يدل على ذلك .. والنتيجة التى وصلنا اليها خير دليل على هذا التصور فقد استطاع هذا الاسلوب أن يتغلب على ما كنت اعتقده مستحيلا .. وهو تحطيم صداقتنا وما نتج عن ذلك من احداث لا داعى لسردها فكلها لا تتفق مع المصلحة العامة فى شىء ..

المهم فى الموضوع انى لا استطيع بأى حال أن اجارى هذا الاسلوب السياسى لانى لو فعلت لتنازلت عن اخلاقى وانا غير مستعد لذلك بعد أن انتهى نصف عمرى .

الذى أريد ان احدثك اليه بخصوص نظام الحكم فى المستقبل فانى اعتقد أن التنظيم السياسى القادم ليكون مستمراً وناجحا يجب ان يبنى على الانتخابات من القاعدة الى القمة بما فى ذلك اللجنة العليا للاتحاد وبما فى ذلك اللجنة التنفيذية العليا وان تمت اللجان العليا بدون انتخابات حقيقية فسيكون ذلك نقطة ضعف كبرى فى التنظيم الديمقراطى للاتحاد .

وان ما يجب أن نسعى اليه الآن هو تدعيم الروح الديمقراطية ، وخصوصا بعد عشر سنوات من الثورة وانى لا اتصور بعد كل هذه الفترة وبعد ان صفى الاقطاع ورأس المال المستغل وبعد أن منحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ ان هناك ما تخشاه من ممارسة الديمقراطية بالروح التى كتب بها الميثاق .

وخصوصا بأن الملكيات الفردية الباقية والقطاع الخاص لا يشكلان اى خطر على نظام الدولة كما أنه ليس هناك ما يمنع اطلاقا من ان تنسجم هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى .

كذلك الامر بالنسبة للصحافة فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة آرائهم وكذلك تمكن رؤساء التحرير والمحررين من الكتابة دون خوف أو تحفظ . وقد تكون هذه الضمانات عن طريق اللجنة التنفيذية العليا مثلا او اى نظام آخر يكفل عدم الخوف من الكتابة وتوهم الكاتب انه سيطارد أو يقطع رزقه وخصوصا ان الآراء التى ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس والمسائل التنفيذية وبعض المناقشات فى التطبيق الاشتراكى وفى هذا فائدة كبيرة لانه سيعبر عن الآراء التى تدور فى خلد بعض المواطنين .

دعنى وانا أودعك ان احدثك أيضا عن الحكومة ورأيى فيها .

قبل كل شىء لا يمكن أن تسير أى حكومة فى طريقها الطبيعى وهو الحكم السليم اذا كان نظام الحكم فى حد ذاته ممسوخا مشوها فيجب أولا أن نستفيد بتجارب العالم وحكوماته التى عاشت مئات السنين مستقرة منتظمة دون حاجة لتغيرات شاملة كل فترة قصيرة من الزمن .

ففى رأيى ان النظام الطبيعى للحكم يكون كالآتى :

أما حكومة رئاسية ويرأس الوزارة فيها رئيس الجمهورية ويكون مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه . وبدون الدخول فى التفاصيل يمكن أن يكون هناك نائب للرئيس ويجب أن تكون أنت رئيسا للدولة ورئيسا للحكومة .

أو حكومة برلمانية يرأسها رئيس الجمهورية ويكون رئيس الاتحاد الاشتراكى هو رئيس الوزراء أو ربما يكون رئيس الوزراء ليس رئيسا للاتحاد الاشتراكى ولا أريد أن أدخل أيضا فى التفاصيل ولكن تكون أيضا مسئولية الوزارة جماعية أمام البرلمان كما ورد فى الميثاق .

على كل حال أى من هذه الحلول ، وجودك فى النظام او الاصح على رأسه ضرورة وطنية وأنا لا أقول ذلك مجاملة فهناك كثيرون

مستعدين للمجاملة او الموافقة على رايكم بمجرد ابدائه ولكنى أعتقد ان اى تصرف غير ذلك سيكون بداية لنهاية لا يمكن معرفة مداها .

دعنى ايضا قبل أن أودعك ان اقول لك أن اختلاطك الشخصي بالناس ضرورى فانه يعطى الثقة المتبادلة ويعطى احساسات متبادلة ويعطى افكارا ايضا متبادلة وهذا هو الطريق الطبيعى للارتباط بأفراد شعبنا القياديين فى المستقبل اما انعزالك التام فانه سيجعل صور البشر عندك أسطرا على ورق او أسماء مجردة لا معنى لها وهو فى رايى لا يمثل الواقع فالعقل والعاطفة من مكونات الانسان ولا تستطيع أن نفصل كلية بينهما ولكن يجب الجمع بينهما فى الطريق الصحيح وهذا لا يكون الا عن الاتصال الشخصى وهذا ايضا هو الطريق الوحيد لاظهار شخصيات قيادية تعتز برأيها وتقوله دون خوف ولكنها فى نفس الوقت تثق فى قيادتها وتحترمها .

وهذا النوع من الناس أنت فى أشد الحاجة اليه .. بل وبلدنا كلها محتاجة اليه .. نوع جديد لم يتمكن منه حب المنصب فيسكت عن الخطأ ولم تأخذ الأضواء نور بصره فيضحى بكل القيم ليعيش فيها .

وانا أودعك ايضا أرجو من الله الا يحدث منى أو منك ما يجعل ضميرنا يندم على الاقدام عليه او يجعلنا صغارا فى أعين أنفسنا .

ويكفى فى رايى ما حققه اهل السوء الى الآن فقد نجحوا فيما تمنوا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا .

لا أريد أن أطيل عليك لكنى أبديت آرائى لك فيما أعتقده أنه المصلحة العامة .

وليكن فراقنا بمعروف ، كما كانت عشرتنا بالمعروف ، والله أسأل أن تتم حياتنا بشرف وكرامة ، كما بدأناها بشرف وكرامة ..

ورغم كل شيء .. ورغم كل ما أعلم فانى أدعو لك من قلبى بالتوفيق وأتمنى لك الخير وأدعو ربى أن يوفقك فى خدمة هذه الأمة ولخيرها .

والسلام ..

عبد الحكيم عامر

القاهرة ١٩٦٢/١٢/١ م

فى اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٩٦٢.

هل الرسالة بقلم عبد الناصر!

سجن الاستئناف ..

عزيزتى

تلقيت فى السجن نص الخطاب الذى أرسله المشير عامر الى كمال الدين حسين يرد فيه ردا عنيفا على رسالة كمال الدين حسين . الرسالة عنيفة . ليس هذا أسلوب عبد الحكيم فى الحوار . أعتقد أن الرئيس عبد الناصر هو الذى أملى عبد الحكيم هذه الرسالة ، أو على الأقل الاجزاء العنيفة منها . فانا أعرف مثلا أن عبد الحكيم هو آخر من يتهم كمال الدين حسين بأنه عندما يحتج على التعذيب والطغيان ومحكمة الدجوى وأمثالها والقانون الذى منح رئيس الجمهورية سلطات الآلهة انما يفعل ذلك غضبا لما اصاب جماعة الاخوان المسلمين وحدهم ! . فالمظلومون ليسوا اخوانا فقط . ان بين المظلومين اخوانا وشيوعيين ووفديين ومستقلين وسعديين ودستوريين وحزب مصر الفتاة .. كل الاحزاب ممثلة فى زنزانات السجن الحربى .. منهم مسلمون ومسيحيون . بينهم استاذة جامعة وعمال .

ولقد كنت أرى كمال الدين حسين كثيرا فى عام ١٩٥٤ عند جمال عبد الناصر عندما حدثت مذبحة الاخوان الأولى . وكل ما كنت ألاحظه أن كمال الدين حسين متدين ، ولكنه يخاف على البلد من حكم الفرد ومن الطغيان ومن الشيوعية . ولا يوجد عاقل يرضى بأن تنسف مواسير المياه ، أو أن تنسف مدينة القاهرة أو تنسف المسارح والملاهى .. ولقد قابلت هنا كثيرا من الاخوان وسألتهم هل حقيقة كانوا ينوون قتل أم كلثوم وجميع المطربات ، وقتل عبد الوهاب وجميع المطربين ؟ فأقسموا لى أن هذا من اختراع « ولاة الأمور » ، وأن المقصود به تبرير القمع والارهاب والمشانق امام الراى العام ..

ولو كانت هذه التهم صحيحة ، فلماذا لم يقدموا الى محاكم جنايات عادية ؟ ولماذا أخضع الجزار الدجوى فى محكمة عسكرية مكونة من ضباط ؟ ولماذا هذا الضرب بالسياط والكلاب المسعورة والنفخ وألوان العذاب والتعذيب ! ؟

كل هذه التصرفات غير القانونية تؤكد أنه لا توجد هناك قضية ولا أدلة قانونية ، والحاكم لا يلجأ الى المحاكم الاستثنائية الا عندما يكتشف أن العدالة لا تقر تصرفاته . ومن الغريب أن عبد الحكيم يتصور أن التعذيب والمحاكم الاستثنائية (مسائل بسيطة) وسوف يعيش عبد الحكيم ليكتشف أن كل هذه الأشياء سوف تؤدى بمصر الى التهلكة . . وسيكون هو أول الهالكين !

وهذه هى رسالة عبد الحكيم بنصها :

عزيزى كمال :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

لقد تعودت الا تزعجنى الصراحة . . لأن الصراحة هى الطريق الى الفهم الصحيح . . ودعنى أيضا أن أصارحك القول ، وقد تعودت أن أقول ما أعتقد ولا أخشى فى ذلك الا الله وضميرى . .

ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ، قد نسفت فى نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا دون سابق مقدمات . . وفى رأيى لم يكن هناك ما يبررها على الاطلاق فهى مرسلة . . وسأعبر عن ذلك مخلصا وصادقا . « من كمال رسول الله الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان » أى من نبى مؤمن الى قائد ملحد وأنت لست نبيا وما كنا نحن بملحدين كافرين . . فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر . . وكنت أنتظر أن تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت وهذه المؤامرات الاجرامية التى تدبر ، والتى كان الغرض منها التحطيم ، والقضاء على نفوس بريئة ، والرجوع بها الى الخلف سنين طويلة . . كنت أنتظر على الأقل أن تستنكر ذلك وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت فيك أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التى لا أعلم ولا يعلم الا الله كيف وصل بك الأمر الى ذلك . . تتشكك فى كل شىء وترى صورا قاتمة لا وجود لها . . ماذا ألم بك ؟ . .

لا أعلم ! ارجع الى نفسك يا كمال : وتأمل كل شيء بهدوء ، وبنفس خالية من الغضب والنزعات .. فكر في الأمور بعيدا عن المؤثرات ، وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم .. الذين لهم هوى ، والذين لا يبغون الا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا في شخصك الأمل الذى يحقق لهم الأمان وهذه الأهداف ، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون الا الباطل .

ان المؤامرة الأخيرة التى دبرها الاخوان المسلمين المتعصبين .. مؤامرة لا يمكن وصفها جريمة ضد شعب بأسره .. بل جرائم تنل باسم الاسلام ، جرائم تدبر باسم الاسلام ، دماء تسيل ، وخراب يعم باسم الاسلام .. هل هذه هى الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض انفسهم على الناس بالدماء والخراب ؟ .. والله هذا لا يقره دين ، ولا يقره ضمير ، ولا يقره أى شخص عنده انسانية .

اننى تابعت التحقيق خطوة خطوة .. والمؤامرة فيها اكثر مما نشر حتى الآن . أيريد سيد قطب ، الذى كانت توزع كتبه ، ان يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى يأمره بقتل الناس وتدمير البشر ؟ .. أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة ما شاء من العباد ؟ .. لا اعلم كيف لم يحدث فى نفسك هذا العمل الالم كل الالم .. وكيف اكتفيت بارسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق ان ذكرته لك ؟ .. هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات وفاة المرضى رجـالا ونساء واطفالا .. القاهرة بلا اضواء .. بلا مصانع يعمل فيها آلاف العمال وقد اصبحوا عاطلين الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه .. مجارى تطفح فى الشوارع وفى المنازل .. أوبئـة تقتل النـاس بالجملة .. خراب كامل .. كيف تعوض مثل هذه الخسارة قبـل سنوات طويلة .. أما الأرواح فلن تعوض طبعا .. باسم ماذا يحدث كل هذا ؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ حكم من هذا ؟ حكم من جعلوا انفسهم خليفة الله فى الأرض .. اغتيال لشعب ، ولحريته ولحياته ، ولتقدمه ، بل أيضا لمعاشه اليومى .

وماذا يكون شعورك واولادك فى منطقة تتفجر فيهم مواد النسف ؟؟ ماذا يكون شعور كل اب ؟ . كل أم ؟ .. كل أخ .. ؟ فكر قليلا يا كمال دون تحيز ودون غضب ، لان هذا هو حكم الطغيان بكل

معانيه .. حكم الغابة بكل صوره .. هذا هو الارهاب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ..

هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل الشائن أو تعنى أنه كان يجب عليك استنكاره ؟

هل المبادىء الاسلامية والانسانية تقر أنك لا تقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده فى خطابك الاول الذى يدل معناه على ذلك ؟

ان معنى ذلك انك توافق على قتلنا ، وهذا رأيى فى أبسط الأمور فلكل اجل كتاب .. ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ؟

تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا ، وأنا بدورى أقول انك لم تخطىء بثقتك فينا ، وكل ما اريده منك وارجوه أن تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ، ولا تجعل اى تصرف شخصى أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع .

اننا ومن جانبى ايضا سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا ، وسنحافظ عليه ضد اى محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقا فى خطابك الأخير ان الناس يعرفون الحقيقة ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة وان كلامهم لا يقبل المناقشة .

وتقول انك تريد ان تخرج الى السعودية .. لماذا ؟ هل هى بلد الحريات هل هى بلد الاسلام .. ؟ ما هذا يا كمال .. عجيب والله هذا التفكير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بشرا ومات كما يموت البشر .. وان جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئا . لا تخدع نفسك يا كمال .. جرد نفسك من كل الاعتبارات وفكر مليا وسترى الأمور بغير هذه العين خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردتها لك ولا تقبل جدلا .

ثم بعد ذلك تكلمنى عن قانون .. ويزعجك ان يصدر مثله .. وهذا ليس موضوعا جوهريا ومهما اخطأت الثورة يا كمال فانها تصحح دائما اخطاءها .. ولكنها ما كانت قاسية .. وما كانت منتقمة ..

وانت تعلم ذلك وشاركتنا فى افكارنا ، وفى قراراتنا ، وفى جميع الأحداث التى جرت بشعبنا منذ يوليو ٥٢ .. وتعلم جيدا كيف نفكر وكيف نتصرف .

ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله .. ومهما كانت الشعارات التى يحتمى فيها .. ان كان تحت اسم اسلام أو تحت اسم اصلاح أو غيره ..

ان بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية . الا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا فى قبضته مرة أخرى وربما الى سنين طويلة لا يعلم الا الله عددها ؟

هل هذا مفهوم الحرية ؟ .. وهل هذه هى الحرية .. التى أعلنها الاسلام ؟ انا أقول كلا والف كلا .. بل ان هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والانسانية بأكملها .

أتوافق يا كمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعت من قلوبها الرحمة ؟ .. تعصب أعمى لا يرى الا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شىء .. وبأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب .. ؟ ! وهل هذا هو حكم الله ؟ ان الله برىء من القتلة والسفاكين .

لماذا انت عاتب اذن ؟ .. أليس عتبى عليك اكثر وأعظم ؟ .. أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى اننى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها .. أليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد .. وهذا ما يقره ضميرك ، وهـــذا ما تراه حقا ..

اننى يا كمال كما تعرف لا أخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى ، ولولا سفرى السريع لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق ، مع ضعف أملى انك ستستمع لما أقول وتقتنع بالحقائق الملموسة .. اننا لم نمنع الناس عنك الا خوفا عليك وخوفا على الناس أيضا حتى تنتهى هذه المأساة البشرية التى كانت تهدد بل تعمل على نسف

عمل ثلاثة عشر عاما .. قد نختلف فى الرأى .. لكن أرجو أن تصغو الى نفسـك وتفكر فى هـذه الآراء .. وتطرح المسائل الصغيرة جانبا .. وطبعا انت حر فى ان تأخذ بهـا أو تلقيهـا فى عرض البحر ولكن لى الحق أن اكتب اليك ناصحا بأمانة وصدق كما كتبت الى لائما وناصحا .. ربما تذكر انك كنت فى الحكم ، وجميع السلطات فى يدك سياسية وتنفيذية .. وهذه حقيقة . وكنت حر التصرف .. وهذه حقيقة أيضا .. ولم يحدث طوال هذه الفترة ان اختلفت على المبادىء التى نسير عليها بل كنت متحمسا لها ، وكنت أشد تطرفا .. هذه حقيقة أيضا .. ربما تذكر القوانين الاشتراكية سنة ٦١ والآراء التى أبديتها أنت شخصيا فى الاجتماع بالاسكندرية ؟ .. وكنت يا كمال متطرفا لحـد كبير ، ومتحمسا للقوانين اشد التحمس .. حقيقه أيضا .. ماذا تغير اذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجىء المتطرف أيضا ؟ .. وفجأة يصبح كل شىء خطأ .. وتصبح الحريات مقتالة على حد تعبيرك ، الذى لم أهضمه مطلقا .. فجأة حدث كل ذلك .. ما الذى غير افكارك بهذه السرعة الكبيرة .. ما الذى اخل بتوازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب افكارك فجأة ؟

لقد تناقشت معك اكثر من مرة فى افكارك وتطارحنا الحجج والبراهين .. وصدقنى والله ما وجدت فى آرائك التى اصر على انها ظهرت فجاة شيئا منطقيا أو سليما .. وجدت لديك اصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش بل تصميم فقط على ما أنت فيـه .. ان تطبيق أى نظام وحكم الشعوب يحتاج منا جميعا لاعادة النظـر فى خطواتنا من حين لآخر فجل من لا يخطىء .. واظن انك لا تعتبر معصوما من الخطأ .. ولا أظن أن يصل بك الأمر الى هذا الحد .. ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك .. فانك تريد فرض رأيك ، ورأيك انت فقط ، لأنه فى نظـرك هو الصـحيح . وهـذه هى الدكتاتورية فى أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات ، وضربها ضربة قاصمة . كل منا قد يرى عيوب غيره حبذا لو فكر فى عيوب نفسه .. لماذا لا تحاول أو تجابه نفسك وتعرف عيوبك ، كما تبحث عن عيوب الآخرين ، وتبالغ فيها الى اقصى الحدود ؟ .. ان فعلت وحاولت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب الى الصواب ، ولا تختلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيـع . لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك .. ولا تجعل لكلام من

حولك قدسية .. وهم فى كلامهم معك فى قرارة نفسهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسطوة وطلبا للشهرة .. وعندى على ذلك امثلة كثيرة واقعية امثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير .

اذا فكرت جيدا وحللت كل شىء لنفسك بصراحة ووضوح ستجد اننى كنت خير ناصح لك حتى أكثر ممن تظن انهم أقرب واخلص الناس اليك . واعود مرة أخرى واقول كيف تتصور أن تولد الحرية فى ظل الدماء والخراب ؟ . وان يكون لفئة من الناس الحق فى أن يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه .. يفعلون ما شاءوا .. هل هذه هى الحرية ؟ .. هل هذا هو طريق الحرية ؟ .. أو الديمقراطيــة ؟ !

اقول بدورى يا كمال اتق الله فى نفسك .. اتق الله فى شعب مصر .. اتق الله فى حياة الناس وأرزاقهم .. ولا تظلم نفسك ولاتظلم الناس معك .. لقد حاولت جهدى أن أشرح لك الحقيقة وان كانت مرة .. ولكن دفعتنى الى ذلك دفعا .. وأقول وانا مرتاح الضمير اللهم اننى أديت الأمانة .. ولعلك ترى الأمور على حقيقتهــا بعيدا عن المؤثرات التى وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن ، وان حدث ذلك كان نصرا عظيما لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميــع .

وقد ترددت أن أكتب اليك خوفا من أن تكون قد سددت أذنيك ، لا تريد أن تسمع أحدا ، الا اذا حدثك على هواك وعلى ما تحب .. ولكننى قررت أن أرد عليك قدر جهدى ومناقشة الموضوعات التى اثرتها ليست صعبة .. فقد ناقشتها معك مرارا ، وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول يا كمال .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

امضــاء
عبد الحكيم عامر
فى : ١٩٦٥/١١/٤

ملاحظــة :

اننى أخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال الدين حسين انقلب على الحكم متبنيا أفكارا جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى كان يمارسها .

امضــاء
عبد الحكيم عامر

كتبت اليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التى تد تكون تاهت عنك ، وسط خضم المتكلمين والمتحدثين ، وانى اكتب لك ما أعتقده وعن صدق ، والحديث طويل ولا يتسع له حتى هـذه الصفحات القليلة ، ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ، ويهدى ، ويرتق الصدع . انه على كل شيء قدير .

امضـــاء

عبد الحكيم عامر

[illegible]

الأخ القائد الأعلى

أخي جمال

السلام عليكم ورحمة الله

لقد تعودت أن [illegible] الظروف [illegible] [illegible] [illegible]

الطريق إلى النهاية [illegible] ودعني أتبينها [illegible]

الشديد وقد [illegible] [illegible] ١٠٧ [illegible] ولقد أخشى

[illegible] إلى الله وحده

[illegible] برسالة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والروابط التي

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ..... [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] نؤمن بالله واليوم الآخر

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] ..... [illegible] [illegible] .. [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ماذا [illegible] [illegible] [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

ارجع إلى نفسك يا كمال وتأمل كل شيء [illegible]

وستجد عالم من الغضب والثورات ... تحكم في

النفوس بعيداً عن الإنجازات ... وبعيداً عن [illegible]

وصيانتها وإنشائها ... الذين [illegible]

والتي لم يتنفسوا إلا [illegible] ذاتهم من ورائهم ... .

فقط وجدنا في شخصية [illegible] لتحقيق أهدافه

فهم يدعون الإسلام باسم الحق ولكن لا يريدون إلا [illegible] ...

إن المؤامرات [illegible] التي دبرتها [illegible]

[illegible]

[illegible] باسم الإسلام ...

[illegible] ...

هل [illegible] ؟

[illegible] ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... أريد [illegible]

[illegible]

[illegible] ... ؟

أحمد الله [illegible] حياة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

[redacted]

بعد أيام قليلة لم يعد نفسك هذا العمل

الظالم على الظلم ... ثانية بإرسال خطابك لي

بالخطة التي سبق أن ذكرتها لك ...؟

هل فكرت ماذا أنا سأستجيب لانسحاب موقع الكبار

فقط ؟

قررت الاستقالة ونادى المرضى رجال ونساء وأطفال.

الشاهد .. بيد حسين ... بيد مصطفى يعمل

بين الآلاف الأطفال والأطباء

الناس الذين ... كل يوم يجدوا من

المال ليشتري به

كلام فارغ

... تضغط على الشوارع ومن المنازل

مزيف

أو ... تفضل الناس بالجملة

كلام

غداً أمل ...

... هذه الحكومة ... طويلة

أما بلدك ... صبحاً

بإسم ماذا ... كل ذلك ؟

ما ... من يحدث كل ذلك ؟

ضحية من هذا ؟

نحن من جيلنا من أنفسهم خلفنا الآن [illegible]

إلى الجيل بقلبه ولعروبته ولحياته ولنفتقده بل.

أين الماشي لدينا ... ؟

ماذا تليده مشاعرك والأيام في شطط تنتفض

في [illegible] نشغ ... ماذا تليده [illegible] مشاعر كل

أب .. كل أم .. كل أخ

بكر قليلا بالأجيال دون تمييز ودون غضب

لأنه هنا حب قلب الضعفاء من كل مصائب .. فكم

اشاعه . بل جبروت ... هنا نعم الإرهاب بكل ما

تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ......

هل . الشهداء والوفاء منك تأييد لك . لهذا العمل

الشنيع . ... أو تظن أنه لا يريد عليك استنكاره ؟

هل البارح الإسلامي والإنساني تقر أنك لا تتقي

شيء سوى هنا بل قوتك تبدل منه أن تؤكده أو خطابك

الذي بيدك الذي يدل معناه على ذلك ...... أي نعم

ترى أنك تتلذذ بنا قتلنا وهنا في [illegible] شباب

السيد [illegible] أبل لشباب ... وكل كيف [illegible]

[illegible] وكيف تفضل نفسك بالمقابلة لما إخلائك [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم



نائب القائد الأعلى

قد رفضت يا آمال أن تطلبي شيئاً ... وأنا حزين لذلك

لأنك لم تطلبي مني شيئاً .....

كل ما أريده منك ... هو أن تفكري جدياً من أجل

مستقبلك ... أو غيره ... ولا تجعلي أي تصرف شخصي أو

تصرف بسيط يؤثر على مستقبل المواطنين ... إننا الآن

في حاجة إليها ... لمصالح شعبنا

وشعبنا كله ... أن ... هذا الطابع ... وسيلة ممكنة

... ذلك ... [illegible]

وتلك ... التي تتصدرها أنت ... والآن ...

... تتشدد ...

... وتقول أنت تريدين أن تتزوجي

... لماذا ... هل ... الحرية ...

هل هي ... الإسلام ... ؟ ما هذا يا آمال ... والله

هذا ... إن ... الله ... لم ... كل ...

... من ... شيئاً

... نفسك يا آمال ... من أجل ... إنه

... بعد هذه ... [illegible]

... ولا ... [illegible]

رئاسة الجمهورية

الأب القائد الأعلى

ثم بعد ذلك تحملت من تأنيب ويزعجك أمر

السيد قبل [illegible] في نفس الثورة يا آلام قوية

تصحو دائماً أخطائك ولكن ما كانت قاسية وما أبقته

فتقسو وأنت تمضي ذلك ومشاركتنا في أفكارنا ومن

قراراتنا ومن جميع الأحداث التي مرت بشعبنا فتعيدين

وتمضي جيئاً بيننا نفكر وكيف نتصرف....؟

إن الذي تبغض من الحرب. ونتفق على المستقبل

منها الأمر نفسه ومنها كانت شكلت ... كانت

بتحالفات التي صيغت فيكي إذ أن تترك إسم الإسلام

أو تمحي إسم الإسلام أرضه ...

إن علمنا شيئاً عن تبلغ الشيطان والرجعية .. ألا

تكون ذلك هو بتخريج هذه الجملة لتقضي البلاد بحكمة

[illegible] وتجعلنا في قبضة حتى أخرى وربما الإسلامية

[illegible] [illegible] الله . [illegible] ... ؟

هل هذا مفهوم الحرية ... وهل هذه هي الحرية

التي أملتها الإسلام ... إنا أقول كلا وألف كلا

إلا إن هذه هي التي نصبو بكل الحب البشرية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

يا أهلي بـ[illegible] أتعرفون يا [illegible] هذا الشعب

مثل هذه الحيوانات الأليفة ... إنه [illegible] بعد قليل [illegible]

لتصبح أعجز [illegible] أفضل والشعب [illegible]

لكل شيء .... [illegible] فقط

وصل هنا [illegible] ..

[illegible] ....

لماذا أنت [illegible] إذاً ...؟ أليس [illegible]

[illegible] ... [illegible] ... وأنا

[illegible] ولست نبياً ولم أذهب [illegible]

[illegible] أم أصاب [illegible] أحد أحد

هنا [illegible] تتكلم [illegible] الجديد ... وهنا ما [illegible]

[illegible] .. وهنا ما تراه [illegible]

إنني يا [illegible] لا أخاف أحداً ولقد [illegible]

إلى الله [illegible] ... ولولا [illegible]

بين [illegible] مع [illegible] سيجتمع [illegible]

وتقنع بالحقائق [illegible] إننا لم [illegible] الناس [illegible]

إلى [illegible] [illegible] الناس أيضاً [illegible]

[illegible] هذه [illegible] إلا [illegible]

[illegible] ...

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

قد تختلف مع الذي معك أو قد تصطدم إليه.
نفسك وتتنكر له منه قد يعتبر .. وتستطرح السؤال الصعب.
أحياناً ... وطبعاً أنت حتى أو أن ما قد يرى
أو تلتقي مع طرفه الآخر ... ولكن من الحق أن أكتب
إليك ناصحاً بأمانة وصدق ما كتبته إلى الأخ ناصحاً
ربما يتذكر أنه كتبه مع الكل وجميع الطلاب زملائك
منهم وتنفيذه (ولست متعصباً) ولكنه منهم يعترضه
ومنه حقيقة أيضاً) ولم يكن فعال منه المعنى.
إنه إذا اختلفت مع الطلاب إنه سبب يخرج من قلبه
بقسوة لها، ولكنه أشد تطرفاً (حقيقة أيضاً)
ربما تذكر التطرف المتطرف سابقاً بالتطرف أنه أيضاً
أنه مستويات مع الإيمان بالتسليم ولكنه يأتي متطرفة
لحد ما ومتحررة بالقضية أكثر الأخرى (حقيقة أيضاً)!
ماذا تصبح إذاً بعد ذلك ... حين يتحول هذا
التحول الناجح المتطرف أيضاً -- وهنا يصبح أن
شيء خلال والقضية الخاصة ... ثم حد يتحول له
الهدف أن أصبح متطرفاً ... هنا وحده في ذاته!

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

ما الذي حبب أفكارك إليك أيها الرجل الكبير ...؟

ما الذي أخل توازنك أيها الرجل حتى تنقلب أفكارك

هكذا ... لقد تناقشنا معك كثيرا في أفكارك

وتناقضنا في النهج والمذهب ... وصدقني والله ما

وجدتك [illegible] أكثر [illegible] متمسكا

متطرفا" أو "سلبيا" ... وجدتك [illegible] غريبا

وتتقلب [illegible] ... [illegible]

في أشياء ... [illegible] وفي المقدار

[illegible] هنا حماسا للعمل لإظهار خطواتنا معه

[illegible] ... ولكني لم أكن أعلم أنه

[illegible] ... ولكن أعلم أنه

يصل بك [illegible] هذا الحد ... ولكن من الشواهد تدل

على [illegible] ... [illegible] رأيك ورأيك

[illegible] الصالح وضعك حتى

[illegible] ... وضعك هذه

[illegible] ... على

هنا [illegible] ... [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نائب القائد الأعلى

لماذا قد تحاول أن تخادع نفسك وتخون

حبيبك [illegible] من حبيب لديك وتبالغ حتى إلى

أقصى الحدود ... إن فعلت وحاولت بالفعل بنفسك

فيكون عملك [illegible] أقرب إلى الإرهاب والاختلاط

الذهني في ذهنك هذا الاختلاط النفسي

لا تحمل [illegible] النفس كثيرًا بل تفكرك ...

ولا تحمل الكلام من حولك كذبًا ... ومع

الكلام معه في تقديره ... ؟ [illegible] طلبًا للنفوذ

وطلبًا للسلطة وطلبًا للشهرة ... ونجد في ذلك

أمثلة كثيرة وواضحة ... أمثلة حتى في [illegible]

[illegible] أو في الكلام السابق ... ؟

إذا كنت صادقًا وسألت نفسك سؤالاً بصراحة

ووضوح ستجد أنك كنت في [illegible] لك [illegible] من

تضع أمامه أقرب وأخلص الناس إليك ...

وأعود مرة أخرى وأقول كيف ستصدر [illegible]

تعود الحرب في ظل الدماء والخراب وأن [illegible]

الحرب الحقيقية أن تقاتلوا وتقتلوا باسم الله ... [illegible]

[illegible] ... فقتلوا ما شاءوا ... هل [illegible] ...

1

مكتب القائد الأعلى

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صديقتي

إنني أخشى من قلبي التاريخي [illegible] أن يحكم بي،
قبل حبيبة إنقلب لي كل شيء تماماً ومن
لأنه إستبد بي السلطان [illegible] ومن [illegible]
[illegible] يا [illegible]

كتبت إليك هذا لتعرف إلى أي حد كنت صادقة
قد تكون تأثرت منك في وسط ضيق الظلمة والحرية
وإني أكتب ما أعتقد من صدق والحب قد
ولا يتسع هنا لي في الصفحة التالية — ولكن [illegible] يتسع
ما [illegible] ويكون [illegible] الصدق إنه من الأشياء [illegible] ٩
[illegible]

أسرار الاستقالات

سجن الاستئناف ..

عــزيزتي

ما اغرب أن أعيش في زنزانة ، وأرقب منها الحوار العجيب الذي يحدث بين الحكام ! هذا الحوار الذي يجري في الخفاء ، ولــكن بفضل بعض تلاميذي استطعت أن أعيش فيه ، وكأنني ما زلت جالسا في مكتبي في أخبار اليوم . ما أعظم الفرق في الزنزانة في ليمان طره ، والزنزانة في أخبار اليوم .لا فرق بين زنزانة السجن وزنزانة الصحافة ! هناك في الصحافة كانت هناك قضبان وسلاسل وقيود ، وعيون متلصصة ورقابة صارمة وخطوات محسوبة .. هنا القضبان منظورة ، وهناك القضبان غير منظورة ! هنا محكوم على المسجون السياسي بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وهناك محكوم على الشعب المصري بالعمى المؤبد ، فلا يرى الحقيقة . ومحكوم عليه بالصمم المؤبد فلا يسمع الحقيقة !

في كلتا الزنزانتين أعرف الحقيقة ولا أستطيع أن أنشرها أو أقولهـــا !

ان المناقشة بين كمال الدين حسين وعبد الحكيم تؤيد رأيي في أن الحكام عندما يجلسون فوق مقاعد السلطة لا يرون الحقيقة فاذا نزلوا منها رأوها كلهـــا !

كأن مقعد الحكم هو عصابة توضع على العيون .

والحقيقة التي يجب الاعتراف بها ان كمال الدين حسين بدأ يرى الحقيقة .. وفي أول الأمر لم يرها كلها ، وفي آخر الأمر لم يصدق عينيـــه !

لقد عشت الصراع كله بين عبد الناصر واعضاء مجلس الثورة ٪ وقد استطاع أن يأكلهم واحدا واحدا ، ولم يبق منهم سوى عبد الحكيم وقد حاول أن يأكله بعد انفصال سوريا ، ثم وجد أنه صعب الهضم بسبب موقف الجيش معه ، ولهذا اجل عملية اكله الى حين ..

وهذا هو نص خطاب كمال الدين حسين الى عبد الحكيم عامر ٪ كما استطاعوا أن يهربوه لى فى السجن .

وفى هذا الخطاب يشير كمال الدين حسين الى المناقشة منذ الرئيس جمال عبد الناصر عندما اعترض كمال الدين حسين على الاشتراكية المتطرفة فساله عبد الناصر :

ـ أيهما أحسن عبود أم ستالين ؟

لقد عشت استقالات اعضاء مجلس الثورة كلها ..

وقد بدأ الصراع بعد خروج محمد نجيب ، وانفراد جمال عبد الناصر بالسلطة تدريجيا .

وكانت أول استقالة هى استقالة يوسف صديق فى فبراير سنة ١٩٥٣ .

وكانت ثانى استقالة هى استقالة صلاح سالم فى سنة ١٩٥٤، عندما فشل فى مهمته فى السودان ، واتهم بأنه المسئول عن ضياع السودان وفى سنة ١٩٥٤ خرج خالد محيى الدين من مجلس الثورة بسبب اتهامه بأنه يحرض سلاح الفرسان ضد الثورة .

وفى هذا العام نفسه قرر عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين الاستقالة احتجاجا على انفراد عبد الناصر بالسلطة ، والاتجاه الى الحكم الديكتاتورى .

وسويت الخلافات .. وانتهت أزمة الاستقالة .

ومرة أخرى فى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٤ قدم بغدادى استقالته بسبب خلافه مع عبد الناصر ، فقد كان يعارض فى أول الأمر فى اقالة محمد نجيب ، وكان يعارض فى استئثار عبد الناصر بالسلطة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى من رياسة مجلس الأمة وكمال الدين حسين من عضوية مجلس الأمة لأن عبد الناصر أرغم المجلس على أن يسحب قراره برفت الأعضاء الذين قبلوا وظائف فى مديرية التحرير أثناء التحقيق فى التصرفات غير القانونية التى حدثت فيها .

ثم سويت الاستقالة .

واستقال زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت لأنه قال أمام بعض الوزراء « لازم نشيل عبد الناصر » وذهب بعضهم وأبلغ هذا الى عبد الناصر .

واستقال كمال الدين حسين من وزارة التربية والتعليم لأن عبد الناصر أراد فتح باب الانتساب لكليات الجامعة برغم معارضة أساتذة الجامعة .

واستقال عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين لأن الرئيس عبد الناصر لاحظ أن الصحف تتحدث عنهما كثيرا فوزع منشورا دوريا على الوزراء يعترض على الوزراء الذين يقومون بدعاية لأنفسهم .. وكان الذى يكتب عن بغدادى وكمال الدين حسين فى الصحف واحدا من الف مما يكتب عن عبد الناصر وحده !

وبعد الانفصال بين سوريا ومصر ، قرر عبد الناصر التخلص من عبد الحكيم ، واعتبره مسئولا عن الانفصال ، لأن مدير مكتبه فى سوريا عبد الكريم النحلاوى هو الذى قاد عملية الانفصال .

واتصل يومها عبد الناصر بكمال الدين حسين وطلب منه أن يتولى منصب القائد العام .

وقبل كمال الدين حسين على أن يتولى بغدادى الطيران !

وعرض عبد الناصر على بغدادى أن يتولى قيادة الطيران وكان يريد التخلص من الفريق صدقى محمود قائد الطيران بأى ثمن .

ولكن فى كل مرة يقترح نقله من منصبه يهدد عبد الحكيم بالاستقالة .

وهكذا ترين أن الحالة بين عبد الناصر وعبد الحكيم كانت سيئة ،

ولكن عبد الحكيم طيب القلب ، ولهذا كان يسهل دائما مصالحته .

وهو يبدو اليوم متحمسا جدا فى موقفه فى تأييد انفراد عبد الناصر بالسلطة .

وسوف يندم غدا .

وهذا نص رد كمال الدين حسين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبد الحكيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لم يكن فى نيتى بعد خطابى السابق أن أكتب لك ثانية .. فقد وعدتك الا أزعجك وكنت عند وعدى ولكن هناك نقطا خطيرة فى خطابك أشعر أنها تحتاج الى ايضاح وأنا أحاول فى هذه السطور أن أوضح هذه النقط حتى لا يكون حكمك فيها مبنيا على معلومات أو استنتاج خطأ أو تصورات خطأ وأرجو الا تحمل كلامى هذا أكثر من هذا المعنى .

١ — تقول ان الرسالة التى تلقيتها منى كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت فى نظرك جميع القيم والروابط التى تجمعنا ، وطبعا أنت حر فى وجهة نظرك من ناحية الروابط ولكنك لست حرا فى أن تبنى أحكامك على تصورات خاطئة .

٢ — تقول ان الرسالة التى تلقيتها وكأنها من كمال رسول الله (حاشا لله) الى عبد الحكيم كسرى أنو شروان وهذا خطأ فلم يقصد منها الا أن تكون لعبد الحكيم عامر الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر بدون التمحك فى صداقات وأخوة .. وأنا لم أتخيل

لنفسى أن أدعى هذا الموقف وحاشانى أن أدعى ذلك .. ومن أنا بالنسبة لرسول الله حتى أدعى ذلك .. الفرد فى أمة مفروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر له أن يقول للحاكم « اتق الله » وقد قالها واحد من المسلمين الى سيدنا عمر فما كان من عمر الا أن قال « لا خير فيهم اذا لم يقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها » ولم يتصور الذى قالها فى وقتمن الأوقات كرسول الله ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر والزندقة .. واستمر المسلمون يقولونها للخلفاء من بعد عمر ولم يجرؤ واحد منهم حتى معاوية أن يبطل استعمالها حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها .

٣ ـ أما عن التوقيت فقد أخبرتك فى مناسبة سابقة لى أننى كثيرا ما فكرت فى كتابة خطابات لجمال عبد الناصر ولكنى كنت أعود وأعدل عنها حتى لا يساء فهمها .. وربما وجدتم فى بعض مذكراتى أو النوت التى كنت أكتب فيها مسودات لهذه الخطابات التى لم ترسل ..

ومن الطبيعى أن يفيض الأمر بنفسى بعد ما علمته عن الاعداد التى تعتقل من الناس الأبرياء والمجهول الذى يقذفون فيه والعذاب الذى يقاسونه والموت الذى يحولهم من آدميين أحياء مفروض أن يكونوا أحرارا الى مجرد أرقام مدفونة فى التراب .. ولم يتجرأ مخلوق أن يحدثكم بالحقيقة فاذا لم يوجد واحد فى بلد تعداده ٣٠ مليونا يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله فقل على هذا البلد العفاء وقل لحاكميه الا تفرحوا بأن هذه حال بلدكم .

ومع ذلك فما مفهوم كلمة اتق الله هل هو رمى المخاطب بالزندقة والكفر .. لا أعتقد ذلك أبدا .. فهى عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين ، لم يخطر على بال من قالها أن يدعى أنه كرسول الله وكذلك لم يخطر ببال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة، وقلت فى نهاية الخطاب أن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للناس أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقد قلت لك فى أول الخطاب لا خير فى اذا لم اقلها لك (والله يقول أيضا ذلك) « لعن الذينكفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » صدق الله العظيم .

وتقوى الله هى مراعاة الله وخشيته ورعاية عدل الله .. ويقول الله فى ذلك « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون » أخشى يا عبد الحكيم أن تكون هناك عقدة نفسية من هذا الموضوع فأنت لو قرأت كتاب الله وعرفت معانيه لما تطرق الى ذهنك هذا التفكير .

٤ ــ بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير وقلت انه كان من الأجدر ان استنكرها بدلا من هذا الخطاب وسوف اقول لك حقيقة مشاعرى بلا مواربة فى هذا الموضوع :

اولا :

أنا لا اريد الجريمة بطبعى ولا يمكن ان اقرها ولكن أرى أن يحاكم المجرم بمحاكمة عادلة ثم يأخذ جزاءه الرادع .

ثانيــا :

انه وخاصة بعد تجربتنا الغير موفقة فى موضوع الحرية لا أؤمن اطلاقا بأن أى نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدى الى الحرية، بل سيؤدى الى دكتاتورية أشد قطعا ، فاذا ارتكب باسم الدين كان أدهى وأمر .

ثالثــا :

ان جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة اذا وجد فهو احسن مناخ يمكن أن تتم فيه التربية السياسية ويمكن أن يصلح فيه الحكم ويزيد الانتاج وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادىء الحق أن تنتصر .

رابعــا :

ان المبالغات التى صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التى تنسف القناطر الخيرية ، تجعل المواطن الذى فقد ثقته فيما يذاع فى وسائل الاعلام المختلفة على لسان كثير من المسئولين بكثرة وما فيها من كذب .. تجعله يشك شكا كبيرا فى حقيقة هذا الموضوع ومــداه .

خامســا :

ان قسوة الاجراءات التى اتبعت مع الآلاف التى قبض عليها ظلما وعدوانا ولا يعرف مصيرها ، تجعل الناس فى جو الديكتاتورية الموجود يعتقدون انها فرصة للقضاء على كل اثر للمعارضة وزيادة تكميم الأفــواه .

سادســا :

ان الشيوعيين الذين أخذوا يتريقون فى الجرائد بالكلام والصور على الاخوان المسلمين لم يبرئهم الناس من التشفى فى الاســلام نفسه « وأهى فرصة » .

ه ــ أما بخصوص الكتب التى أعطيتها لبعض زوارى ، فأنا فى مارس ١٩٦٥ أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ما اظن كل واحد نسخة من كتاب سيد قطب وطبعا أعطيت لأمثالهم مثل هذه النسخ لأن ما فيها يعبر عن رأيى كما قلت ، ولم ولن فى يوم من الايام أتردد من المجابهة بهذا الرأى .

٦ ــ وأخيرا فيجب أن أنبه أنه يجب التفريق بين الاسلام وبين أذى مخلوق يحاول التعبير عن رأيه .

٧ ــ جملة ثانية لم افهمها أبدا .. وان كنت تعنيها فلتجابهنى بصراحة ولا داعى للف والدوران .. انك تقول هل الاخوة والوفاء تعنى تأييدك لهذا العمل اللا انسانى أو تعنى أنه يجب عليــك استنكاره .

فأما من ناحية الاستنكار فقد أوضحت لك موقفى من ناحية أما عن تأييدى فهذا هو الافتراء بعينه .. من الذى قال ذلك .. من الذى يفهم ذلك .. والله اذا كان هذا اتهاما فأنا مستعد لمواجهــة هــذا الاتهام .. واذا كان خطأ فى الفهم فهو موضوع آخر .

انت تقول انت تؤيد فى خطابك الذى يدل على ذلك ، وتستطرد فتقول « أى أن معنى ذلك انك توافق على قتلنا وعلى اغتيــال

شعب .. » انت يا عبد الحكيم .. لست انا الذى اوافق على ذلك ؟ ومع ذلك فأى كلمة فى خطابى من الكلمات اعطتك هذا المعنى هذا جناية على الحقيقة وجناية على الكلمات ان نحمل اى معنى آخــر عن الذى عنيته وهما قضية الحرية والعدل .. أما أن تفهم انى أؤيد النسف والتخريب والقتل .. الخ بهذه الكلمات .. فكلام غريب .. وغريب جدا ويمكن ان يعرض على ناس غير متوترى الأعصاب مثلا .. ولكى يقولوا رأيهم فيه أم انك يا عبد الحكيم تدخل معى فى مناقشة على طريقة عبود أحسن أو ستالين . ليس معنى انى غير موافق على ستالين انى اوافق على عبود .. وكذلك ليس معنى انى أقول لكم اتقوا الله انى موافق على التدمير والتخريب .

٨ ــ أما الحقيقة التى يعرفها الناس ، فانا لى راى وانت لك راى ، ولو كان هناك حرية فى البلد لأمكن أن تعرف الراى الصواب ، ولكن انت فى موقف الحاكم الذى لا يملك أحد الرد عليه ، فلك أن تعتقد ما شئت ولكن تذكر انى قلت لك فى مارس ١٩٦٥ انه يجب عليك معرفة راى الناس ما دمت مسئولا عن الناس .. وكان ذلك ردا على كلامك بانك لا تقابل أحدا ولا تتصل بأحد وطبعا لا يكون لك من سبيل الى معرفة الحقيقة الا عن طريق التقارير .. بالضبط كما كان يراد لنا أن نعرف الحقيقة عنك أنت شخصيا عن طــريق التقــارير .

٩ ــ اما عن موضوع رحيلى الى الخارج فانى كنت أعنى حقيقة الذهاب الى المدينة المنورة وليس معنى ذلك أن السعودية بلد الحرية المفقودة أو الاسلام الصحيح ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية الروحية ومع ذلك فانى لم أقصد ان أحدد غير هذا المعنى ولكنى أفضل أى بلد عربى أو اسلامى .

١٠ ــ ذكرت لى وطلبت منى الا أخدع نفسى وأن أرى الأمور على حقيقتها والا أكلمك عن القانون وعدم التحدث عن أشياء صغيرة .. فاذا كنت تعنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ فاعلم يا عبد الحكيم أنه ليس موضوعا قانونيا وصغيرا ولكنه موضوع رئيسى لأنه هو موضوع الحرية التى تقهر .. اذ ان هذا القانون يسلب الناس أى معنى من معــانى الحرية ويعطى لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة لم يتمتع بها أى حاكم لهذا البلد منذ قرون .. المــادة الرابعــة

فيه تنص على انه لا يجوز الطعن فى قرار رئيس الجمهورية باى شكل من الأشكال أو أمام اى جهة كانت .. أى ليس هنـــاك الا الله عز وجل هو الذى يطعن أمامه يوم القيامة ان شاء الله .. ان الموضوع ليس مجرد قانون عادي ولكنه ينسف أى كلام عن الدستور المزعوم أو الحرية كل الحرية للشـــعب أو خـــلافه من الشـــعارات .

١١ ـــ وغريبت أيضا أن ترجع يا عبد الحكيم فتناقش الأعمـــال التى قيل أنهم سيرتكبونها .. أنت تتساءل ، هل هذه هى الحرية التى اعلنها الاسلام وتقول « كلا .. والف كلا .. بل هذا هو الكفر » وانا اقول أيضا من قال أن هذه هى الحرية ؟ ان هى الا عود الى المناقشة على طريقة « عبود أحسن والا ستالين » ومع ذلك فهـــذه فرصة أتوجه بها اليكم راجيا أن تذوقونا طعم هـــذه الحرية التى اعلنها الاسلام ما دمتم مؤمنين بالله واليوم الآخر اظن كلمة اتق الله فى الاسلام لا تواجه بمثل هذا الذى جابهتمونا به .. اسمع .. ان الله يقول :

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ويقول « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » ويقول « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصـــلاة وأمرهم شورى بينهم وممـــا رزقناهم ينفقون » ويقـــول « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليـــه توكلت واليه أنيب » ويقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ويقول « وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون » .

ويقول : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليـــه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم

ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » .

ويقول : « ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين » .

ويقول : « وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق » .

ويقول : « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .. » .

ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .. طبعا الحديث وجه الى الرسول .

ويقول : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » .

ويقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

ويقول : « ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » وآيات كثيرة فى هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها الى الله ورسوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ..وأن ما بينى وبينكم احتكم فيه الى الله والى الرسول .

١٢ ــ وانى لا امنعك يا عبد الحكيم أن تعتب ولكنك تقول « انك

اصبت بصدمة حيث وجدت أن هذا أسلوب تفكيرى الجديد وان هذا ما يقره ضميرى وهذا ما اراه حقا » .. العجب كل العجب انك تصورنى كيفما تريد ، وتصور أسلوب تفكيرى كما تريد .. هل سألتنى عن شيء من ذلك .. لا أعتقد أنى أوافق على الارهاب والتدمير والتخريب .. الخ والتى لا يدل عليها أى كلام قلته أو عمل قمت به .. ولكنها تهيؤات .. ولعبة عبود أحسن والا ستالين » .

١٣ — طلبت منى أن أهدأ نفسا وان أطرح المسائل الصغيرة وأنا لم أناقش مسائل صغيرة وبمنتهى الهدوء وصفاء النفس أناقشك.. وأنتم لا تنكرون على أنى لم أدخر وسعا للعملبتفانى فى كل ما أوكل الى من أمر .. أما أن جميع السلطات كانت فى يدى سياسية وتنفيذية فهذا وهم .. اذا لم يكن لرئيس المجلس التنفيذىولا للمجلس نفسه اى سلطة لدرجة أثارت ترقية توفيق عبد الفتاح فى جلسة من الجلسات زوبعة وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذى أو رئيسه اى سلطة غير انه ممر تمر عليه المواضيع . ومع ذلك ففى فترة الاتحاد القومى قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعا من أسوان الى الاسكندرية ليعبروا عن آرائهم بمنتهى الحرية والتى كانت لا تعجب كثيرا من الوزراء الذين كنت أحاول جاهدا أن يكونوا خداما مخلصين لهذا الشعب .. وأنت تعرف المجهود الذى بذل فى هذا السبيل .

١٤ — أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية فأنا لا أنكر اشتراكي فيها ولا أنكر تحمسى لها ولا يمكن أن أكذب على نفسى فى ذلك .. ولكن الحقيقة أيضا هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت ؟ .. أبدا . وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الانتاج كما قيل فى جلسة مارس ١٩٦٤ حيث قلت لكم دينكم ولى دينى .. ثم أين قرارات اللجنة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية .. وأين التصريحات عن « الحرية كل الحرية للشعب » .. ؟

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل .. ابدا .. ثم المؤتمر الوطنى لقوى الشعب الوطنية أين التصريحات التى قيلت فيه ؟ وأين قراراته .. الميثاق نعم .. ولكن أين تقرير الميثاق ؟ ؟ كلام

تافه وركيك كما يقول جمال عبد الناصر .. أنا أعلم أن للميثاق وجهين وجه ماركسي ووجه اسلامي .. أما الوجه الاسلامي فهذا الذي تقرر في تقرير الميثاق .. وأنت تعلم أن الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ولكن طلبنا منهم بناء على رأى جمال عبد الناصر عدم التعديل ولكن ما يريدون من تعديل يوضع في التقرير .. واقر جمال عبد الناصر التقرير .. وقرر المؤتمر أن يكون التقرير جزءا لا يتجزأ من الميثاق وله قوته نفسها .. أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا في لجنة تقرير الميثاق أن هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم لأنه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية بمفهوم خاص ويحذر من نوع آخر من الاشتراكية .. ويقول ان القوانين يجب أن تستمد من الشريعة وأن قيم المجتمع وثقافته يجب أن تبنى على إساس الدين .. الخ من الكثير الذى جاء في التقرير ..

وأنا قلت في مارس ١٩٦٤ أن الميثاق وتقريره أساس جيد للعمل .. ولكن اين الميثاق وأين تقريره .. بدون حرية .. كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره .. ؟ أين ضمانات الحرية المنصوص منها في المثاق وتقريره .. أين الدستور الذى كان مقررا أن يعمله الشعب في سنة ١٩٦٢ .. أين قانون الاتحاد الاشتراكى الذى عمله الشعب ؟ أين قانون الانتخاب الذى عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكى؟ أين المحكمة الدستورية العليا ؟ اين اى قانون محترم ؟ .. أين سيادة القانون ؟ .. واذا لم يكن كل ذلك موجودا فعن أى شيء نتحدث عن الحرية ؟ .. وكيف يقال أن هذه موضوعات صغيرة ؟.

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كما يريد جمال عبد الناصر بالنسبة لموضوع العزل وهو موضوع هام بالنسبة للانتخابات وغيرها .. وقانون الاتحاد الاشتراكي عمله جمال عبد الناصر والدستور منحه جمال عبد الناصر للشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبد الناصر والقانون ١١٩ عمله جمال عبد الناصر .. وجمال عبد الناصر عمل ما يريد في كل هذا .. ؟

فهل هذه هي الحريات السياسية والتنظيمات السياسية التى استقلت أنت بسببها مرة وقرأت أسباب استقالتك ؟ هل كنت تعنى حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديمقراطية ».

١٥ ـ اما موضوع التفكير الذى تقول انه جديد .. فهذا كلام قيل لى فى مارس ١٩٦٤ وأنت لا يمكنك أن تنكر ولا جمال عبد الناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الدينى الاسلامى والوطنى منذ تعارفنا على بعضنا وأنت تعرف الظروف التى جمعتنا بجمال عبد الناصر وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس فى حجرة مظلمة فى حى الصليبية مع المرحوم السندى وانت تعلم كيف أننا اقنعنا الضباط سنة ١٩٥٤ حين قام الاخوان بحركتهم بأننا نسير فى طريق الاسلام ولكن ليس بالتعصب والشعارات وأننا سنعمل على تطبيق الاسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك وأنت تعلم أننا كثيرا ما تحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الاسلامية وقد قلت أنكم .. فكرتم مرة فى عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الاسلامية .. وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تيار الثورة قلت أنه لا عاصم لنا الا الاسلام وهذا كلام الله الذى قال « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وانا كنت وما زلت أعتقد فى ذلك من قبل الثورة للآن .. ولكننا توهمنا انه يمكن أن نصل الى اهدافنا بطريقة غير صحيحة ولكننا يجب ان نواجه أنفسنا بالحقيقة .. والاسلام يعطينا الحرية .. والاسلام لا يعبد فيه الا الله .. ولا نتخذ فيه من احد العباد الها آخر .

يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله .. لأن الحاكم عبد الله .. الله عادل وخبير بخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبهة الهوى .. فالاسلام فوق شبهة الهوى والغرض ولذلك فتقوى الله واجبة الاتباع .. وهـذه بديهيات الدين .. وليس فى ذلك معنى التعصب ولا تحكم طوائف دينية معينة ولا أى شىء من هذا القبيل .. لأن الاسلام لكل فرد .. وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله بدون وصى ولا وسيط وليس المجال مجال محاضرة عن الاسلام .. ولكن الذى أقوله أن افكارى ليست جديدة .. ولكن الانحراف هو الذى أصاب نفوسنا .. واجراءاتنا عندما نسينا الله الذى نصرنا فى كل خطوات كفاحنا فى ثورة ٢٣ يوليو وفى حرب السويس .. الله هو الذى نصرنا وليس الصاروخ الروسى .

١٦ ـ يا عبد الحكيم أنت الـذى تتهمنى بأن عقـلى يرفض أن يناقش .. من قال ذلك .. ؟ أنا لم ارفض النقاش ولم أرفضه .. وانا لا أصر على رأى ولا احاول أن اكون دكتاتورا .. ولكن هـذه التهمة وجهها لى جمال عبد الناصر فى مارس ١٩٦٤ وقد رددت عليه يومئذ بأن يسأل الناس من أسوان الى الاسكندرية أيضا عن حقيقة ذلك فى مناقشاتنا الشعبية المختلفة أما أن تفرض على عقيدة معينة غير الاسلام .. فاذا لم أقبلها كنت دكتاتورا .. فأنا لا أقبلها طبعا وأنا احتكم الى الله وسنة رسول الله .. أما أن تتهمنى حين أتمسك بدينى بأننى دكتاتور فلك ولجمال عبد الناصر أن تقـولا ما تشاءون ما دام لكم أن تقرروا ما تشاءون .. أما اذا كانت هناك حرية رأى فليطرح ذلك على الناس لنرى من منا على صواب أليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم .. الى آخره ..

اواقع أن جمال عبد الناصر يحاول بذلك دفاعا عن نفسه حسب نظرية الهجوم أحسن وسيلة للدفاع فيتهمنى انى دكتاتور .. وجميع الناس يعلمون جيدا من هو الدكتاتور ..

١٧ ـ وتنصحنى يا عبد الحكيم وأنا أشكر لك النصح .. أن أبحث عن عيوبى .. أنا لا أدعى أن أصلح حالى أو أن أرد ما يمكن أن يكون فيها من توهم ..

اتهمتنى بأنى أجعل لكلام من حولى قدسية . وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولى علاوة على أنى لا أقدس كلام أحـد الا الله .. ثم تقول انهم يعملون طلبا للنفوذ وطلبا للسيطرة وطلبا للشهرة وأنا لا أدرى عمن تتحدث .. وأنا أخبر كل من يزورنى أن اسمه يؤخذ وانصحه بعدم زيارتى حتى لا يصيبه مكروه .. وفعلا قد أصاب الكثير مكروه .. وأكون شاكرا أن تدلنى من هذه الأمثلة التى تتحدث عنها حتى أعـرف كيف تفكر أنت الآخر .. لا تتوهم يا عبد الحكيم أنى لا أفكر جيدا أو لا أحلل جيدا أو أنى لست صريحا مع نفسى .. على قدر طاقتى طبعا وفى حدود تصورى .. فمن هم يا ترى الذين تقول انى أتصور أنهم أخلص الناس الى والذين تتصور أيضا أنى آخذ كلامهم بقدسية .

١٨ ــ تقول يا عبد الحكيم كيف اتصور الحرية فى ظل الدماء والخراب واعود فأقول من الذى جعلك تتصور أنى اتصور هذا .. ولا تظن أنى مراوغ فى ذلك ولكنك تعلم أنى لا أغش ولا أكذب .. وانا يقينا أرفض أى تآمر أو انقلاب أو تخريب أو أى شىء من هذا القبيل لأننى أعلم حقيقة ما لا يعلمه الناس الكثيرون .. أن الأنبياء فقط هم المعصومون وأن أى حفنة من المتآمرين مهما كانت الشعارات التى يرفعونها ستقيم دكتاتورية أعنف .. وأشد الأمر أن تكون حربا اهلية لا قدر الله .

فكيف تخاطبنى بهذا الاعتقاد الخاطىء انك بذلك تظلم الحقيقة وتظلم تفكيرك وتظلمنى أيضا .. من يقول ان الحرية تأتى عن هذا الطريق .. كل تعليقاتك عن هذا الطريق فى حديثك لا محل لهــا أصلا ما دامت مبنية على هذا الوهم الخاطىء .

١٩ ــ وتقول لى اتق الله وأنا لا أرفض تقوى الله اطلاقا وأتمنى على الله أن يمنحنى تقــواه وأن تطمئن نفسى بتقواه أما بالنسبة لشعب مصر وحياة الناس وأرزاقهم فانه كان من أسهل السهل على .. لولا مصلحتهم بعد الله ما كنت خرجت من الحكم وما كنت عارضت وما كنت تكلمت وكنت أكلت « عيش وبقلاوة كمان يا عبد الحكيم » .

٢٠ ــ أما الحقيقة المرة التى تتحدث عنها يا عبد الحكيم .. فأنا لم أرها بعد الا من جانب آخر .. وأنى لا أرى الأمور على حقيقتها .. فاذا كان لديك كلام آخر غير الذى اتهمتنى به باستنتاجك الخاطىء ظلما وعدوانا فأكون شاكرا لو تكرمت على به أما من ناحية انى اسد اذنى فأنا لك آذان صاغية .. ومن ناحية هواى فانه ليس لى هوى ولا أريد شيئا لا جزاء ولا شكورا الا أن تحكموا الله والرسول فيما نختلف فيه ، وليس الغرض أو الهوى كلمة تقال أو اتهام يوجه ولكن هاتوا برهانكم .. والتاريخ يا عبد الحكيم زوره المزورون وقــــد زوره ســـتالين ٤ مرات وزوره خروشوف أكثر من مرة .. وهو أخيرا لا يكذب وأصدق تاريخ هو الذى يسجله الله لعباده .

فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه وأما من أوتى كتابه بشماله فيقــول يا ليتنى لم أوت كتابيــه » صدق الله العظيم .

وانا لم اتبن افكارا جديدة كما قال جمال عبد الناصر فى مارس عام ١٩٦٤ ولكن الحقيقة أننا اختلفنا ايديولوجيا كما قال أيضا .. انا احاول ان نرجع الى الأصل الذى بدانا منه وانتم تغريكم مظاهر جديدة وافكار جديدة وأيديولوجيات جديدة .. وأنتم احرار وانا حـــر أيضا .

اما عن السلطات فانت تعلم انه حينما بدانا الحديث فى مارس ١٩٦٤ قلت اننى لا انوى الاشتراك فى الحكم وانت الذى الحيت على فى القبول وحين قبلت كان على اساس ولكن انهار الأساس قبـــل أن نبدأ اى عمل مع بعض فرفضت الاشتراك رفضا قاطعا .. وأنت تعلم انى قلت مرة أنا مستعد ان اعمل محافظا لسيناء او أن أعمل مستشارا .. او اى عمل ما دام هناك اتفاق على المبادىء .. لكن أن اعمل بوجهين او اقول خلاف ما أعتقد فهذا لا يمكن لأن طبعى يأبى الا أن أكون صادقا مع من اعمل معهم .. مخلصا لمن أعمـــل معهم واشعر طبعا انهم يبادلوننى نفس الصدق والاخلاص .. لا أن يحاكمونى محاكمة غيابية أو يقولوا على من ورائى ما لم يقل لك حتى الآن .. رغم كل ما حدث ورحم الله أمرءا عرف قدر نفســـه لا غرورا ولا افتتانا .. ولكن اشعر حقيقة بذنوب ما كان يجب أن اشترك فيها وأنى احاول أن أستغفر ربى لكى يكفر عن خطيئتى .

وطبيعى اننى لم آخذ نصحك بمعنى التهديد وعموما فحتى هذا لا يضيرنى شيئا .. ولله الأمر اولا وأخيرا .. والســـلام .

امضـــاء

كمـــال الدين حســـين

سجن الاستئناف

ينـــاير سنة ١٩٦٦

عزيزتى

تلقيت اخبارا غريبة من تلاميذي خارج السجن . كان كمال الدين حسين معتقلا فى استراحة مصلحة الآثار فى الهرم. التليفون مقطوع. الزيارات ممنوعة . المدافع مصوبة . أسلاك شائكة . حرس مدجج بالمدافع الرشاشة . كأنها قلعة حربية . شكا نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس الثورة الســـابق أن الاستراحة كلهـــا من البلاط . أولاده يرتعشون من البرد القارص . ينامون على مراتب فوق البلاط . لا يجدون ماء ساخنا . يضطرون الى تسخين المـــاء فوق وابور غاز . وطلب كمال الدين حسين نقله الى مكان آخر لأن صحة الأسرة تسوء فى هذا المكان ..

وصدر الأمر بنقله الى مكان آخر فى طريق مصر الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، وهو مكان منعزل عن العالم . وذهب كمال الدين حسين وزوجته الى البيت الجديد . وكانت ساعة المغرب ..

وما كادت الزوجة ترى البيت حتى تراجعت وقالت :

ـــ مستحيل أن ادخل هذا البيت !

ـــ لمـــاذا ؟

ـــ اننى اشعر لو دخلت هذا البيت ، بأننى سأموت فيه !

وقال لها كمال الدين حسين بحزم :

ـــ ادخلى ! لا اريد أن أعترض على ما يفعلونه بنا !

ودخلت الزوجة تجر اقدامها ..

ومرضت زوجة كمال الدين حسين . وساءت صحتها . وطلب كمال الدين حسين من الصاغ كمـــال المحمدى القائد المشرف على الدراسة بأن يطلب اذنا من السلطات العليا للسماح باحضار طبيب فورا لاسعاف زوجته .

وابلغ القائد الطلب فى الحال الى سلطات الدولة . .

ومضى يوم . . ويومان . . وثلاثة أيام . . وعشرة أيام ، ولم يصدر الاذن بدخول طبيب الى المعتقل لاسعاف زوجة عضو مجلس الثورة السابق ، ونائب رئيس الجمهورية السابق .

وصاح كمال الدين حسين :

ــ أنتم مسئولون عن موتها اذا لم تحضروا الطبيب !

وفى اليوم الحادى عشر صدر الاذن للدكتور رفاعى كامل بالذهاب الى المعتقل لعلاج زوجة كمال الدين حسين !

وكان الاذن متأخرا جــدا ــ جاء الطبيب ليجــد أن نسبة السكر ارتفعت الى ٤٠٠ فى المــائة !

وامر الطبيب الكبير باعطائها حقن انسولين . .

وجاءت الحقــن من السلطات . . لم يسمح لاحــد من أسرة كمال الدين حسين بأن يخرج لشراء الحقن المطلوبة !!

وما كادت زوجة كمال الدين حسين تأخذ الحقنة حتى أصيبت برعشة غريبة !!

وبعد يومين اسلمت الروح . .

واغرب من هذا كله أن أمرا صدر بأن لا يذهب أحد من كبار رجال الدولة لتعزية كمال الدين حسين فى وفاة زوجته !

ومع ذلك امتلأ ميدان التحرير بالوف المعزين .

واستمر السرادق المنصوب فى مدينة بنها ثلاثة أيام متوالية غاصا بوفود الاقاليم !

لم يطــع الشعب الأوامر بعدم تقديم العــزاء الى نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو مجلس قيادة الثورة السابق .

هـــــذا هو الشعب المصرى . .

المحاكمة ...

سجن الاستئناف ..

اخى العزيز ..

لابد انه وصلت اليك انباء مهزلة المحاكمة . لقد رتبت المسرحية باخراج مثير . ودعت المخابرات الصحفيين لسماع تسجيلات بصوتى قالت أنها تحوى اعترافاتى ! ومن المضحك أن بعض الزملاء الذين لا يعرفون لغة أجنبية خرجوا بعد سماع الأشرطة وهم يؤكدون أننى اعترفت اعترافا كاملا ! وكلما شعر أصحاب المهزلة بأن الناس لا تصدقهم مضوا فى اختراع الأكاذيب وتزييف الأدلة وتأليف الاعترافات .

ومن الغريب ان الفريق الدجوى رئيس المحكمة قال للمحامين أن القضية ليس فيها شىء ! ولكن هذا لا يقدم ولا يؤخر ، لأن الدجوى ليس هو الذى يحكم . انه يتلقى الأوامر بالتليفون ، وينطق بها كالببغاء ! وعندما قيل لى فى المخابرات اثناء التحقيق أن الدجوى هو الذى سيرأس المحكمة تأكدت أنهم لم يجيئوا به ليحاكمنى ، وانما ليحكم على ! ولا أنسى محادثات تليفونية كثيرة دارت بينه وبينى اثناء توليه محاكمة صلاح الدين وزير الخارجية ، فقد كان يرجونى الاهتمام بنشر صوره ، وكان يحرص على أن يقول لى انه أخلص رجل لجمال عبد الناصر ، وانه اذا طلب اليه أن يلقى بنفسه فى النار ، فلن يتردد ، وكان يقول لى هذا طبعا لأبلغه الى الرئيس عبد الناصر ، لأنه كان يعلم أن العلاقة بينى وبينه وطيدة ! وعندما اردت مرة أن أطمئن منه على الحكم فى قضية صلاح الدين ، وانا واثق انه برىء ، فوجئت به يقول لى يومها أنه واثق أيضا أن صلاح الدين برىء ولكنه « عبد المأمور » ! وبعد ذلك حكم على محمد صلاح الدين « البرىء » بالأشغال الشاقة المؤبدة ! .

ولقد قيل لي أن غلطتي الوحيدة هي انني قلت ان الرئيس هو الذي كلفني بالاتصال بامريكا ، وان هذا سر كان يجب أن احتفظ به ، حتى لو وقفت امام المشنقة ! وقد رفضت أن أقتنع بهـــذا المنطق الأعرج ، حتى وأنا اتلقى اشكالا والوانا من التعذيب . وقد تلقيت تهديدا قبل المحاكمة انني اذا فتحت فمي وتكلمت عن التعذيب فسوف يسمونني في السجن ، ويخطفونك ويضعونك في صندوق ويرسلونك الى مصر ! وانا لم أخف من كل هذا ، فان الموت أخف كثيرا مما تعرضت له . ولكني أعرف ان لا جدوى من الكلام أمام الدجوى ، فقد صدر قانون خاص من اجلي ومن أجل جميع الذين عذبوا ، وقد نص هذا القانون الغريب على أنه لا يجوز الطعن في اجراءات التحقيق في هـــذه القضايا بالذات ، وذلك حتى يمنـــع المحامين من أن يثيروا موضوع التعذيب الوحشي الذي حدث في هذه القضايا . وعندما وقفت أمام الدجوى رفضت أن أتكلم ، أو أدافع عن نفسي بكلمة واحدة . فقد علمت من هيكل أن المحاكمة ستكون سرية حتى لا يعرف الناس ما جرى فيها . ولو كان الذين ظلموني يظنون أن المحاكمة تدينني لأسرعوا باذاعتها كاملة . ولكن ما كادت الجلسة تبدأ حتى طلب الادعاء جعل الجلسة سرية . وخرج عشرات الصحفيين الذين جاءوا من انحاء العالم لمشاهدة محاكمة الصحفي الذي تجرأ وقال « لا »!

وانا لم اقل « لا » للاشتراكية . ولم اقل « لا » لتأميم أخبـــار اليوم . ولم اقل « لا » لأي عمل كبير من الأعمال التي حققتها الثورة من أجل الشعب . لقد قلت « لا » للدكتاتورية . « لا » للتعسف والارهاب . « لا » للمعتقلات والسجون ، « لا » للعـــدوان على الحرية وحقوق الانسان . أنني أحد الذين اشتركوا في بناء الهرم فمن غير المعقول ان أعمل على هدمه . ولكن هل أســـكت على الذين وضعوا فوق قمة الهرم صندوق زبالة يضعون فيه قاذوراتهم . أنني كنت أخاف على عبد الناصر ولا أخاف منـــه . أخاف على الثورة ولا أخاف منها ، أخشى أن ينحرف مسارها وينهار الجبل فوق رؤوسنا جميعا ! في الأوقات العادية لا يعتبر هذا العمل « خيانة وطنية » بل يعتبر « منتهى الاخلاص » ولكن يوم يتسلق الى قمـــة الثورة الانتهازيون والافاقون ومجنونو السلطة تصبح كلمة « لا » الصديقة هي خنجر في ظهر القيادة ! انهم لا يريدون أصـــدقاء بل يريدون

عمــــلاء ! لا يريدون شركاء وانما يريدون تابعـــين . ولا يريدون نصحاء ، وانمـــا يريدون حمـــلة مباخر يسجدون مع الساجدين ويركعون مع الراكعين ! .

ومن المضحك أن الادعاء وقف أثناء المحاكمة والتفت الى وقال : — كيف تطلب قمحا من أمريكا ؟ ! مين قال لك يا مصطفى احنا عايزين قمح ؟ مصر ليست فى حاجة الى قمح من أمريكا .

ومن سخرية القدر انه فى هذا اليوم بالذات ظهر مقال محمـــد حسنين هيكل الأسبوعى وقال فيه بالحرف الواحد « انه ليس سرا أن ستة أرغفة : من عشرة مصنوعة من قمح المعونة الأمريكية »!.

ومن الطرائف أنه ظهر اثناء المحاكمة بجلاء أن شرائط التسجيلات ملفقة ، ومحذوف منها كلمات ، وقد كان التزييف واضحا حتى أن الادعاء لم يجرؤ على الدفاع عن سلامة هذه الأشرطة .

ومن أهم ما جاء على لســـان الادعاء أن مصطفى أمـــين ضلل المخابرات الأمريكية .

فقلت له ساخرا : وهل هذه جريمتى التى أحاكم من أجلها ؟

وترافع الدكتور محمد عبد الله المحامى مرافعة رائعة ، وترافع الأستاذ حمادة الناجل مرافعة ممتازة ، وبدأ مرافعته بأن هـــذه ليست أول مرة أترافع فيها عن مصطفى أمين ، فقد ترافعت عنـــه فى قضية اتهم فيها بالعيب فى الذات الملكية ، ثم فند الاتهام ونسفه نسفا . وترافع الأستاذ محمد عبد السلام المحامى المنتدب وقـــدم مذكرة قوية أعجب بها محمد عبد الله . وقد أثار المحامى المنتـــدب أن التسجيلات استخدمت فى ليلتين فى ندوة بنقابة الصحفيين بدعوة من رجال صلاح نصر . ومعنى ذلك أن الشريط الأصلى ليس موجودا فى المحكمة ، وكان المفروض أن يكون فى حرز . وقد بدأ على المحكمة الفزع ، وتجاهل الدجوى هذه الفضيحة ولم يرد عليهـــا . ومن المضحك أن رجال صـــلاح نصر ادعوا أمام الصحفيين أننى الذى توليت بنفسى ترجمة الأشرطة ، مع أنهم هم الذين لفقوها وترجموها!

وفى نهاية الجلسة طلبت ان اتكلم . ووقفت وقلت : اريد أن اقول كلمة وهى اننى مؤمن بالله ومؤمن ببراءتى ومؤمن ببلادى . وانا سعيد ان احاكم فى هذا البناء .. مجلس الثورة .. ففى اثناء عدوان عام ١٩٥٦ اختارنى الرئيس جمال عبد الناصر من بين الثمانية والعشرين مليونا من المصريين ، لاقوم بالدعاية فى أوربا وأمريكا لهذه المعركة . وان اتفاوض باسمه فى الجلاء . وكنا فى الغرفة التى فوق جلسة هذه المحاكمة . يومها قال لى الرئيس عبد الناصر احب أن انبهك انك ستركب اول طيارة تطير اثناء الضرب ، وانك قد تموت اثناء الرحلة .

قلت : ليكن ! ان عشرات الالوف يموتون الآن فى بورسعيد .

ومن سخرية القدر أن يقف الادعاء ، فى نفس هذه البناية ، ليطالب بعد تسع سنوات براسى !

ومن سخرية القدر ان يراس هذه المحاكمة الفريق الدجوى الذى كان يحارب فى المعركة ، واسره اليهود وهو فى الجيش ، وصوروه فى تليفزيون امريكا وهو يستسلم ويشكر اسرائيل ، وهاجموه وهاجموا الجيش المصرى معه واختارنى يومها الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا لأدافع عن الدجوى وعن بطولة الجيش المصرى فى ١٦٠ محطة اذاعة وتليفزيون فى أمريكا .

واخيرا يبارك الله فى خطوات جمال عبد الناصر من أجل هذا الوطن ، حتى لو أدت هذه الخطوات الى أن يدوس على حريتى وحياتى !

ووجمت المحكمة . واصفر وجه الدجوى . ولم ينطق الادعاء بكلمة .. وبكى عدد من رجال الشرطة .

وكان المفروض أن تقول النيابة الكلمة الأخيرة ولكنها لم تتحرك .

وقال الدجوى بصوت هامس : انتهت المحاكمة !

* * *

وقال لى ضباط الشرطة الذين حضروا الجلسة السرية انهم واثقون ان البراءة مؤكدة مائة فى المائة ! اننا الآن نعرف القضية تماما .

وضحكت ساخرا وقلت لهم : ولكن أنتم لا تعرفون الدجوى !

ونسيت أن اقول لك أنه قبل بدء المحاكمة جاء الى السجن ضابط شرطة لينقلنى الى المحكمة فى سيارة لورى . وطلب الضابط من أحد جنود الشرطة الذين معه أن يأخذ « القيود الحديدية » معه . . ولم يكن الضابط يقصد أن يضع القيود الحديدية فى يدى ، وانما قصد أن يحملها الجندى وهو يمشى بجوارى .

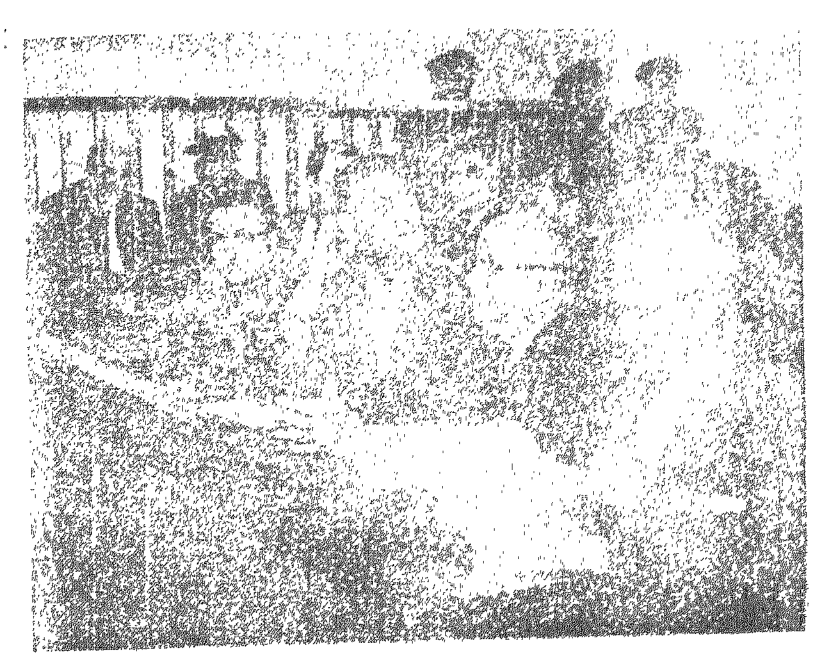
ولكن الجندى رفض باستنكار وقال : انت تحط الحديد فى يدى مصطفى أمين ؟ !

وقال لى الضباط أنه مضى عليه ٢٠ سنة فى الشرطة وان هذه أول مرة يرفض فيها عسكرى اطاعة الأوامر ووضع القيود فى يد متهم !

هذا هو الشعب !



الدجوى أمام الملك :
الفريق الدجوى رئيس المحكمة العسكرية يقسم على
القرآن أن يحكم بالعدل فى بداية المحاكمة !



القانون في اجازة .

المحامون على حمادة الناطل ومحمد عبد الله ومحمد عبد السلام
في اثناء المحاكمة كان من رأى محمد عبد الله انه لو كان القاضي تلميذا
في السنة الاولى بكلية الحقوق يعرف ألف باء القانون لحكم بالبراءة !!



قلت للدكتور محمد عبد الله وحمادة الناحل
المحامين : أريد أن أثبت للمحكمة بأن
المتهم برىء ، والقاضى هو المتهم !

سجن الاستئناف

عـزيزتى ..

زار بعض تلاميذى السيد كمال الدين حسين بعد الافراج عنه فقال لهم بالحرف الواحد : خطاب « اتق الله » الذى أرسلته لجمال عبد الناصر كان احتجاجا صريحا ، وكلمة حق واجبة على كل مسلم ، ازاء اجراءات الارهاب والقمع والبطش على المواطنين الأبرياء . فقد عرفت ان كل مسجون سياسى يدخل السجن ــ أيا كان هـذا السجن ــ لا حرمة له ، حياته مستباحة ، شرفه مستباح ، دمه مستباح . كنت أسمع كل يوم ألوانا غريبة من التعذيب التى تحدث للمعتقلين والمسجونين السياسيين . ولقد تأكد لى صحة ما كنت اسمعه . ان عمليات القهر والعدوان والغاء القانون واباحة التعذيب فاتت كل وصف . لقد أصبح الحاكم الها ، منذ صدر القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ . أعطى هذا القانون كل السلطات للحـاكم شخصيا . حق الاعتقال ، ومصادرة الأموال ، واقامة المحـاكم العسكرية بلا أية اعتراضات من أية جهة قضائية . وهذه هى المهزلة الكبرى ، أصبحت كل الجهات القضائية والتنفيذية ملغـاة أمام هذا القانون ، ابتداء من شيخ الحارة حتى رئيس محكمة النقض! ولذلك ، وبعد أن تأكدت بطرقى الخاصة وبصفة قاطعة من وقائع التعذيب الفظيعة التى لا يمكن أن توصف ، كنزع الأظافر ، والنفخ ، والقتل ، وهتك الاعراض ، والصلب ، الى آخر أنواع التعـذيب التى لا يقرها دين ولا قانون ولا شرع ، بعد أن تأكدت أن الحـاكم أصبح الها ومنح لنفسه كل الاختصاصات وكل السلطات ، وبعـد أن منح لنفسه الحق الالهى ، كان واجبا على كمسلم ، وكمـواطن مصرى ، وكما يطالبنى الدين ، وكمواطن ساهم فى الاعداد والقيام

بثورة ٢٣ يوليو أن أقول له هذه الكلمة « اتق الله » .. حــرام عليــك ..

قلتها واصبحت مستريحا ، فلا خير فى اذا لم أقلها ، وقد قلتهــا له كتابة فى ذلك الخطاب « اتق الله » .

وقد اعتقلت ثلاثة شهور كاملة فى استراحة الهرم .. والغريب أن جمال عبد الناصر كان يسمي الاعتقال تحديد اقامة ، فهل تحديد الاقامة يكون باحاطة الاستراحة بمائة عسكرى من القوات المسلحة بالمدافع الرشاشة ، والأسلاك الشائكة ، واقامة الخنادق والدشم والسيارات المدرعة حول المبني الذى أعتقلت فيه . ومنع الزيارات ؟ هل هذه الاجراءات هى تحديد الاقامة !

وقبل القبض على جاء رجال مخابرات صلاح نصر وفتشوا بيتى ومكتبى ، كانوا يعتقدون اننى أخفى أسلحة أو وثائق ، أو أسماء لبعض الضباط ، ولكنهم لم يجدوا شيئا فاضطروا لأخذ مذكراتى التى كنت أكتبها عن الثورة .. ثورة ٢٣ يوليو .. ولم تكن مذكرات كاملة . كانت عبارة عن مسودات للمذكرات ، ولكن .. لقد أخذوها قبــل أن اتم كتابتها كاملة . كما أخذوا صورة الخطاب الذى أرســلته الى جمال عبد الناصر وقلت فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حســـين

أنا لا احقد عليك .. ولكنى أرثى لحالك .

أنت الذى كنت تقول للناس ارفع راسك يا أخى ، فقد خفضت كل الرؤوس ..

كنت تقول للناس أن بناء المصانع سهل وبناء المدارس سهل وبناء المستشفيات سهل . ولكن الصعب هو بناء الرجال . لقد حطمت كل الرجال .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

كنت تقول كذا .. وعملت كذا .

ان الشيء الوحيد الذى اندم عليه فى حياتى هو اننى شاركت يوما فى صنعك انت .. صنع الصنم الأكبر .

كمـــال الدين حسـين

وقال كمال الدين حسين لتلاميذى : انهم وهم يفتشون بيتى عبثوا بكل أمتعتي وآثاث البيت ، ولكنهم لم يأخذوا شيئا منها .. مزقوا بعضها فقط .. والحمد لله !

وقال كمال الدين حسـين ، كتبت الى جمـال عبد النـاصر ٣ استقالات الأولى سنة ١٩٦٢ .

الثانية سنة ١٩٦٣ .

والثالثة والأخيرة كانت فى اغسطس سنة ١٩٦٣ .

ومضمون هذه الاستقالات كلها هو فى الحقيقة تحذير للحـاكم من انفراده بالسلطات ، تحذير له من جمع كل السلطات فى يده . تحذير له من ضربه حقوق الشعب بعرض الحائط . تحذير له من التسلط على الناس ، من الاتجاه بالدولة الى حكمها حكما ديكتاتوريا مطلقـا .

كنت اقول فى كل خطاب استقالة لا استطيع أن استمر فى السلطة التنفيذية وسط المسرحية الكاذبة المضللة عن الديمقراطية ، وكانت ديموقراطية مزيفة .

كنت اقول فى استقالاتى اننى لا استطيع ان اواجه الشعب وأبرر له كيف ان ثورة ٢٣ يوليو وهى ثورة الحرية والديموقراطية والعدالة تنقلب تدريجيا ، وطبقا لمخطط مرسوم دقيق ، الى ثورة بطش وارهاب وديكتاتورية .. وتأكد ذلك فعلا بعد صدور القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ الذى أعطى للحاكم الحق الآلهى ! ولقد ضمنت خطاب آخر استقالة فى اغسطس سنة ١٩٦٣ قولى « انا لو بقيت سأفقد نفسى ، وأنا لا أريد أن أفقد نفسى ، ولا أظن أن من مصلحة وطنى أن أفقد نفسى » .

انتهى بالحرف الواحد ما قاله كمال الدين حسين .

في عربة الحيوانات !

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

كان اول ما اهتممت به أن ابلغكم انني سأنتقل الى سجن القناطر . القرار سرى وأحيط بكتمان شديد كأنه سر حربى ! ولكنى عرفته !

قلت لكم اننى محتاج لثلاث حقائب انقل فيها حوائجى . انقذتنى الحقائب الثلاث . اضطررت أن أربط بعض حاجاتى بدوبارة . عدت الى استعمال « البقجة » بعد غياب طويل .

مأمور السجن أمر بمنع دخول الطعام أو خروجه يوم الانتقال من سجن الاستئناف الى سجن طره ، خشية أن يتسرب الى الأعداء نبأ انتقالنا ! الأعداء هنا هم الشعب المصرى طبعا !

الذى أدهشنى أن الحراس فى سجن الاستئناف ودعونى وهم يبكون بحرارة . وكذلك المسجونون . لم أتصور أنه من الممكن أن أصنع كل هذه الصداقات الحلوة بهذه السرعة وبهذه الكثرة ! السجن كالموسى يبرى المشاعر . يجعلها حامية حساسة مدببة ! كالأقلام الرصاص التى نبريها بالموسى ! العاطفة هنا تنمو فى داخل الزنزانة فى يوم أكثر مما تنمو فى عالم الحرية فى سنة .. صخب الحياة فى الخارج يميت المشاعر ويمزق الروابط ويضعف الصداقات علاقات المحنة تولد فى النار ، ولهذا تصقل ولهذا تعيش . لم أتصور أن زملائى المسجونين أحبونى الى هذه الدرجة كانوا يبكون كالأطفال، أنا لم أفعل من أجلهم أى شيء سوى اننى أحببتهم ، سوى اننى شعرت بهم . لم أستطع أن أتغلب على شعورى أمام هذه العواطف فامتلأت عيناى بالدموع .

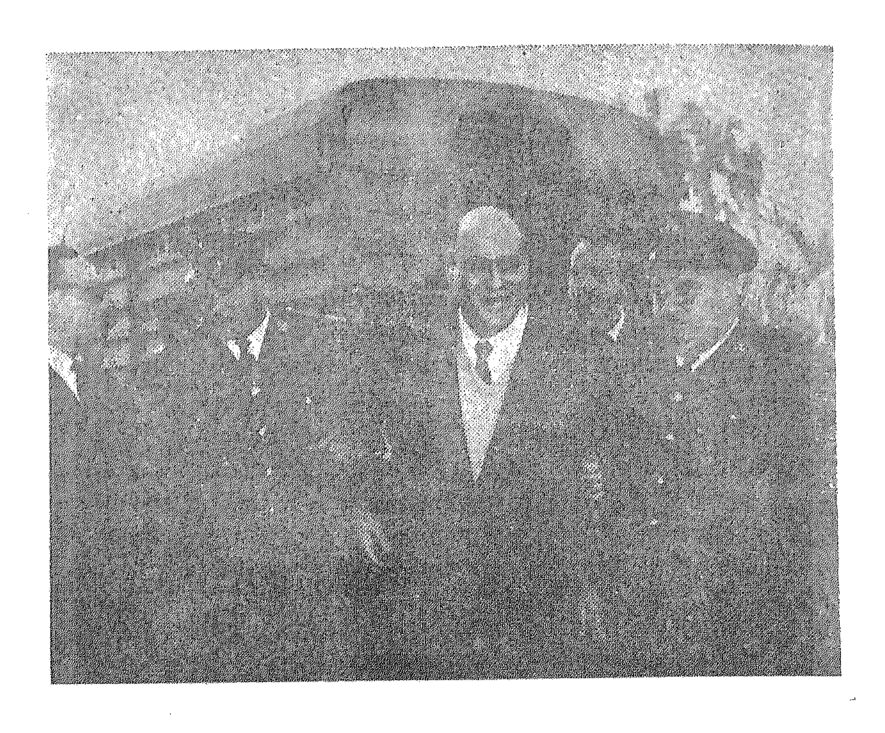
وكم كانت دهشتى عندما وضعونى أنا وزملائى المسجونين السياسيين ، فى سيارة لورى مفتوحة يحيط بها السلك من كل

جانب ، كالسيارة التى يحملون فيها الخراف الى السلخانة للذبح .
لم أصدق عينى . كأنهم يتعمدون احتقارنا . أو كأنهم يريدون أن يقولوا لنا انهم سيعرضوننا على الناس ، ولن يتحرك فرد واحد من أجلنا . منتهى الاحتقار لنا والثقة بالنفس منهم ! وعندما صعدت الى اللورى لم أجد فيه مكانا للجلوس . لم تكن فيه مقاعد . زملائى جلسوا على الأرض . وقررت أن أقف . ولكن سقف السيارة السلك كان منخفضا . فاضطررت أن أحنى رأسى من القاهرة الى القناطر . وقد فهمت أن المقصود من وضعى فى هذه السيارة أن يضطرونى الى احناء رأسى ! يا لهم من أطفال صغار !! ان الظالمين يتوهمون انهم يذلوننا عندما يضعوننا فى عربة نقل الحيوانات .

لم أشعر بأى اهانة . ان قدم الظالم فوق رأسى لا ترفعه وانما تنزل به الى الحضيض ! كان الناس يلمحوننى فى الشوارع فلا يصدقون عيونهم ! لم يتصوروا أن حكومتنا تعامل خصومها فى الرأى معاملة الحيوانات ! وفهمت من هذا التصرف شيئا جديدا . منذ سنوات كان الظالم يرتكب مثل هذه الحماقات سرا . أما اليوم فهو يتباهى بها ! انها خطوة كبيرة نحو النهاية ! عندما يكشف الطغيان عن وجهه سافرا ، ولا يتخفى ، ولا يخجل من نفسه . هذه الجرأة والاستهتار هى التى تضع النهاية .. هى أعراض السكتة القلبية التى يصاب بها فجأة الطغيان ! الحكومات عندما تظلم الأبرياء لا تظلم الأبرياء وحدهم ، انما هى تظلم نفسها ! وعندما تشنق الأبرياء انما هى تشنق نفسها ، أو على الأقل تعد المشنقة التى ستعلق عليها فى يوم قريب ! اننى الاحظ أن الطغاة الصغار لا يستحون . لا يخجلون من الجرائم التى ارتكبوها . أصيبوا بالعمى فلا يرون ما تفعل أيديهم : أصيبوا بالصمم فلا يسمعون صرخات المعذبين وصراخ المضروبين بالسياط ! معى هنا فى السجن متهم بسرقة ثلاثة جنيهات . يا للجريمة الكبرى ! أما الذى يسرق الملايين فهو مطلق السراح . أحيانا أشعر بأن العدالة مسجونة معى فى الزنزانة المجاورة لزنزانتى ! وأمامى زنزانة فيها « الحرية » .. وزنزانة ثالثة فيها « المروءة » ! ما أكثر الأشياء الجميلة المسجونة معنا .

سيجىء اليوم الذى سيطلق فيه سراحنا جميعا !

ولكن لابد أن تقع كارثة كبرى ليفتح الطغاة عيونهم وآذانهم وعقولهم !



ضابطان من قوات الامن يقودانني الى مجلس الثورة حيث عقدت محكمة
الدجوى . مئات الجنود المسلحين يقفون فى الطريق من السجن الى المحكمة

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

تمتعت بالرحلة من سجن الاستئناف الى سجن القناطر فى لورى . رحت أقنع نفسى بأننى استنشق هواء النيل الذى حرمت منه أكثر من عام ! ولكن يظهر اننى استنشقت هواء أكثر من اللازم ، ولهذا أصبت بانفلونزا حادة جدا . كان أكثر ما أسعدنى فى الطريق محاولات سكرتيرتى أن تلحق بسيارتها سيارة اللورى التى تحملنى ، ومقاومتها للحراس ، وعنادها ، واصرارها على المقاومة ، ثم رأيت كيف فقد الضابط الذى يحرسنا أعصابه وهدد بكسر سيارة السكرتيرة ! كان الضابط يخشى أن تخبرنا السكرتيرة بأخبار الدنيا الممنوعة عنا ! .. آه لو يعلمون اننى فى زنزانتى أعرف ما كنت أعرفه وأنا رئيس تحرير أخبار اليوم . فى الطريق مررنا بشارع الجلاء الذى كنت أمر فيه صباح كل يوم الى أخبار اليوم ، ومررت على كوبرى أبو العلا ، وتذكرت بيتى فى الزمالك ، وتذكرت طريق الكورنيش الذى كنت أقطعه ذهابا وايابا ، وكنت أمر به عندما أسافر الى الاسكندرية بالطريق الزراعى . وفى طريق القناطر تذكرت أنه نفس الطريق الذى كنت أقطعه بسيارتى مئات المرات عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر يستدعينى لمقابلته فى استراحته بالقناطر الخيرية . لم أقارن مطلقا بين سيارتى البويك وعربة الحيوانات التى ركبنا فيها . ولا بين زيارة رئيس الجمهورية فى القناطر الخيرية وزيارة سجن القناطر . بالعكس كنت مرحا . أضحك وأهزر . كانت روحى عالية جدا ، أدهشت زملائى الذين كانوا معى . وكنت أشعر بحزن للآلام التى تعرض لها زميلى المسجون الأميرالاى محمد يوسف ، فهو مريض بغضروف فى ظهره ، وكانت رحلته فى اللورى أشبه برحلة الموت !

وعندما كنا نسير فى شوارع القاهرة كنا نخالف اشارات المرور ، كانت سيارتى تعدو بسرعة مجنونة ، تكاد تصطدم بكل سيارة من شدة سرعتها . كنا نقع فوق بعضنا عندما يدوس السائق على الفرملة فجاة . كان الضابط يقول ان الوقت المحدد للرحلة نصف ساعة على الأكثر ، واذا لم نصل فى الموعد فستقوم الدنيا ولا تقعد . ولكن حدث عندما وصلنا أمام القناطر الخيرية أن وجدنا الهـويس مفتوحا ، واضطررنا أن نقف فى الشمس نصف ساعة ، وحـاول الضابط عبثا اقفال الهويس ، وتجمع الناس حولنا ، وراحوا يشيرون بأصابعهم الى ، ويحيوننى ! واصيب الحراس بالرعب ، وقال لى واحد منهم انهم سيحيلون الضابط والعساكر الى مجلس عسكرى، وطلب منى عسكرى أن أدير ظهرى للناس ، فأطعت وادرت ظهرى، واذا بالناس الواقفين فى الناحية الأخرى يحيوننى ! وانقذ الموقف انهم اقفلوا الهويس !

عندما وصلنا الى القناطر انشرح صدرى بمشاهدة الأشـجار والمزروعات الخضراء ، ولون جدران السجن البيضاء . كان سجن القناطر أشبه بالجنة اذا تسامحنا وأطلقنا على سجن الاسـتئناف اسم « مقبرة » .

واستقبلنا بالتفتيش الدقيق . أهم شيء هنا أن الشمس تدخل الى فناء السجن . فى سجن الاستئناف كانت أشعة الشمس من الممنوعات . كانت زنزانتى فى الاستئناف تطل على غرفة تنفيذ الاعدام . وأحمد الله اننا نقلنا فى ذلك اليوم ، فقد كان من المقرر تنفيذ حكم الاعدام فى أحد المسجونين ، ولم أكن أريد أن أشهد أكثر من تنفيذ حكم اعدام واحد .. وكانت الأخبار وصلتنى أن النية متجهة الى اعدام عـدد من الاخوان المسلمين . ان عملية تنفيذ الاعدام تهز أعصاب كل من فى السجن هزا عنيفا .. فما بالك اذا كان تنفيذ الاعدام سـيكون فى أبرياء ! ؟

قيل لى انه اختيرت لى أحسن زنزانة فى السجن . وهى فى الطابق الثانى رقم ١٤ . الغرفة أصغر كثيرا من زنزانتى فى سـجن الاستئناف . الحائط ليس مرتفعا وبدأت اجراء تعديلات فيهـا . اننى اجد لذة فى أن أصنع من النسيخ شربات . استمتعت بمسجون

اسمه « كشكش » خبير فى الطهى والنظافة والدهان وتهريب الممنوعات ، من النوع الذى يقال فيه « بتاع كله » !

من أهم المشاكل التى صادفتنى مشكلة الكهرباء . مفتاح الكهرباء موجود خارج الغرفة ، وليس قريبا من الباب ، كما كان الحال فى سجن الاستئناف ، ولا أستطيع أن أمد يدى من خلال حديد قضبان النافذة لأصل الى مفتاح الكهرباء ، ثم عرفت أن المسجونين هنا اخترعوا طريقة وهى ربط المفتاح بدوبارتين ، تشد دوبارة فتفتح النور ، وتشد الدوبارة الثانية فتطفىء النور ، وتعلمت هذه الطريقة المبتكرة الى أن هرب لى أحد المسجونين « كمتراية » . وانقذت الكمتراية الموقف تماما . ولم تحدث العقبات والصعوبات التى حدثت للكمتراية التى وضعتها فى زنزانة سجن الاستئناف .

كان السرير فى حالة سيئة . وكذلك المرتبة . البق اتخذ فى داخل المرتبة قواعد حربية ورفض الجلاء ! مكثت عدة ليال اقاوم العدو . مرة انتصر ومرات ينتصر هو . طلبت الاذن باحضار سرير ومرتبة من البيت . وعندئذ صدر الأمر بصرف مرتبة جديدة وسرير جديد . عيب المرتبة الجديدة انها نصف مساحة السرير . هكذا يصبح نصف جسمى معلقا فى الهواء . بالطول والعرض ايضا ! أمكن تدبير الموقف . قام المسجونون بتنجيد مرتبة جديدة .

واستطعت بعد بضعة أيام أن أذوق النوم ! من مزايا هذا السجن انك تجد مسجونين من جميع الصناعات ! جزمجى وحداد وترزى ومنجد . وجزار وحانوتى أيضا !

أحضر لى المسجون كشكش جردل الماء الذى كان يشرب منه فؤاد سراج الدين عندما كان مسجونا هنا ! . . واعتبرت حصولى على هذا الجردل تكريما خاصا !

كان أهم ما أسعدنى أن الكولونيا فى هذا السجن ليست ممنوعة . وكان هذا خبرا سارا جدا بالنسبة لى . فقد كانت زجاجة الكولونيا تلعب لعبة القط والفار مع مأمور سجن الاستئناف .

ووضعت لمبة الكهرباء فوق راسى ، ولقد كنت وضعتها كذلك فى زنزانتى فى سجن الاستئناف ، ولكن مأمور سجن الاستئناف قال ان اللائحة تقول ان اللمبة تكون فى وسطة الغرفة ، ونفذت الأمر ، ونتج عن ذلك أن عينى كانت تتعب من القراءة ، لأن النور كان بعيدا عنى . احمد الله وأمسك الخشب لأننى الآن سوف أستطيع أن اقرا كما اريد !

بقيت عدة أيام بغير كرسى . كانت سكرتيرتى احضرت لى مقعدا من القماش ، أردت أن أجلس عليه فلم يتحمل ، ووقعت على الأرض . ولكن جت سليمة صرفوا لى أخيرا كرسى خيزران وأحسست وأنا أجلس عليه لأول مرة كأننى أجلس على كرسى السلطان !

أحضرت لى السكرتيرة مائدة ، استعملها لتناول الطعام . استطعنا أن نهربها الى داخل السجن ! بقيت عدة أيام قبل ذلك أتناول الطعام فوق حقيبة ، واستعمل الحقيبة كمكتب . وكانت تقوم بهذه المهمة خير قيـــام .

نسيت أن اقول لك اننى عندما دخلت سجن القناطر قابلنى جميع المسجونين العاديين فى شبه مظاهرة ، وأقبلوا على يحيوننى ، وأصيب الحراس بالرعب وجاءوا يقولون لى « بيتنا سيخرب » . وصدرت الأوامر يمنع اختلاط المسجونين العاديين بالمســجونين السياسيين ، ونقلوا جميع المسجونين العاديين من الطابق الذى نحن فيه . ولكن هذه الأوامر لم تمنع المسجونين فى دهاليز الأدوار الأخرى من أن يحيونى ويدعوا لى . ومع أن الترحيب الذى قوبلت به فى سجن الاستئناف أذهلنى ، الا أن الترحيب الذى رأيته هنا عشرة أضعاف ما حدث لى فى سجن الاستئناف .

ان كل مسجون لا صـــوت له يعتقــد اننى صـــوته ! والذين لا يستطيعون الا أن يهمسوا يعتقدون اننى وحدى أستطيع أن أصرخ ! أحس بالذعر لأنهم يتوهمون اننى أقوى الف مرة من حقيقتى ! انهم لا يعلمون اننى أضعف منهم جميعـــا . كيف يستطيع المظلوم أن يرفــع الظـــلم عن مظـــلومين مســـحوقين ؟ اننى لم أقـــل

لاحد انني اهرب قصص المظالم الى خارج السجن ولكن العجيب انهم يشعرون بشعور خفى لا اعرف مصدره انني أريد أن أساعد كل واحد منهم ! هل يوجد لاسلكى خفى بين القلوب يعرف به الناس من يحبهم دون أن يفتح فمه !

انني أحيانا لا انام الليل . اسائل نفسى هل أستطيع أن أساعد كل هؤلاء ؟ . أنا رجل بلا قلم . بلا عمل . بلا اسم . ماذا أستطيع أن افعل لمقاومة هذه المطارق الهائلة التى تنهال علينا كلنا ! المهمة المطلوبة منى لا يستطيع أن يقوم بها بشر . الله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل كل هذا . احساس غريب يقول لى أن الله معى. هذا الاحساس وحده هو الذى يجعلنى اغمض عينى وأنام !

الحكم على الأطفال بالجوع !

سجن القناطر

حدثت أزمة فى أوائل أيام وصولنا الى سجن القناطر . ان كثيرين من المسجونين السياسيين لم يصلهم طعامهم من بيوتهم . أسر كثيرة لا تملك أجر الركوب فى الأتوبيس من القاهرة الى القناطر ! السجن ليس سجنا فقط . انه خراب بيوت أيضا . الحاكم لا يسجن خصمه وحده ، بل هو يحكم بالجوع على زوجته وأمه وأطفاله . طعام السجن لا يؤكل . الكانتين كان مقفلا ولم يسمح لهم بشراء طعامهم من الكانتين . فى العهود الغابرة كانت الأحزاب تنفق على المسجونين السياسيين . كانت اللجان تؤلف لمساعدة أسر المسجونين أذكر كيف كنا ونحن أطفال نذهب مع أم المصريين لزيارة أسر المسجونين والمنفيين فى بيوتهم . الآن مساعدة أسرة المسجون السياسى جريمة . خيانة عظمى ! معى فى السجن مسجونون مطلوب الحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنهم ساعدوا أسرة مسجون سياسى كاد أطفاله يموتون من الجوع . من يصدق أن المروءة فى هذا العصر أصبحت جريمة أشنع من السرقة والنصب والقتل ! كم سنة سوف يحتاج اليها هذا البلد ليسترد قيمه وتقاليده ومثله ! لا يزال بعضنا يقاوم . ما زلت أرى مروءة وشهامة وصداقة ترتكب فى الخفاء وكأنها جريمة خلقية !

وجدت أن الحل الوحيد لمقاومة الجوع الذى فرض على زملائى المسجونين بسبب اغلاق الكانتين أن أستنجد بأصدقائى خارج السجن . وأمكن أن أوزع طعامى عليهم . استطعت أن أقسمه على ١١ مسجونا سياسيا . كل واحد منهم نال نصيبا ضئيلا ! ما ألذ الطعام القليل عندما يقسم على الكثيرين ! وما أردأ الطعام الكثير اذا انفرد به شخص واحد ! . انني أمضيت أسبوعين أوزع طعامى على زملائى ، واكتفى بعلبة سردين أو قطعة جبن .. كانت

اشهى من المآدب الكبرى التى حضرتها فى حياتى . كنا جميعا جوعى . ولكننا كنا سعداء بحلاوة المشاركة فى الجوع . رفقة السجن تجعلنا نقترب من بعضنا كثيرا . احساسنا بأننا نقاوم الظالم جائعين يسعدنا ، ويشبعنا !

لقد اصبحت المقاومة الوحيدة التى نستطيع ان نقاوم بها الظالم هى أن نعيش .

ولكن فى كل يوم يسقط واحد منا مريضا !

راقبوه .. احذروه !

ســجن القنــاطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

لست أعرف من أين ابدا . انني اشعر كأن لدي أشياء كثيرة ارجو أن أقدمها . لا أعرف كيف أبدأ القصة . ولأحاول أن أبدأ القصة من أولها .

عندما سمعت بنبأ القرار الذى صدر بنقل المسجونين السياسيين من سجن الاستئناف الى سجن القناطر ، كان أول شيء فكرت فيه هو انتم . كنت أحمل هم المشوار الطويل الذى ستقطعونه كل يوم من القاهرة الى القناطر . الطـريق زراعى ملىء بالسـيارات والأتوبيسات والدواب . وكان يزعجنى تصورى انكم سوف تقطعون هذه المسافة مرتين فى اليوم ، ثم عندما عرفت انكم اقترحتم بأن تكتفوا بالحضور الى السجن مرة واحدة فى اليوم تنفست الصعداء .

وكانت المسألة الثانية التى تشغل بالى هى خيبة أملكم . انكم عشتم شهورا على الأكاذيب التى كانت تقال لكم من أنه تقرر نقلى من السجن الى مستشفى خارجى . فاذا بكم ترون أن الذى تقرر هو نقلى من سجن قريب الى سجن بعيد ! وكانت المسألة الثالثة هى اننى اعتدت أن أكتب كثيرا ، وأنا فى سجن الاستئناف . وانتقالى الى سجن القناطر جعل المسألة صعبة جدا . الوجوه جـديدة . الحراسة شديدة . المثل يقول « الغربال الجديد له شـدة » وهكذا اشتدت الرقابة ! التعليمات الصارمة سبقتنا . راقبوه ! احذروه ! شددوا عليه الخناق . احيطوه بالجواسيس الذين يجيئون لنـا بكل حركة يقوم بها أو بكل كلمة يقولها . اننى أخطو خطواتى بحذر شديد . خطوة واحدة فى الهواء قادرة على أن تقطع صلتى بالعالم

كله ! المطلوب الا اتصل باحد او يتصل بى أحد . الا يعـــرف أحد اننى مظلوم ! مهمتى الأولى أن اعرف العيون التى تراقبنى لأضـــع على هذه العيون عصابة سوداء .

المشكلة الرابعة والاخيرة التى تشغلنى اننى عرفت النـــاس فى سجن الاستئناف وعرفونى ، وسوف أحتاج الى وقت طويل حتى أكون صداقات جديدة . حبى للناس يجعل النـــاس الذين لا أعرفهم يحبوننى . أعطيهم قلبى فيعطوننى حياتهم !

كيف يستطيع رجل واحد أن يقاوم دولة ! رجل مقيد بالأغلال . لا يملك أى شيء سوى ايمانه . فصلونى من عملى دون انتظـــار الحكم . رفضوا أن يعطونى مليما واحدا ثمنا لدار أخبار اليـــوم . وضعونى تحت الحراسة . اقفلوا شقتى بالشمع الأحمر . قلمى قصفوه . لم يبق لى الا ايمانى بالله ، وحب الناس .. أشـــعر بهذا أننى قوى جدا . سأحاول أن أقاوم . لن أموت الا واقفا !

تهريب الخطابات

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

منذ وقت طويل لم أكتب اليكم . كأنها شهور طويلة . ان فى الكتابة الى الذين أحبهم راحة وسعادة . ولكنى لم أستطع أن أكتب . لم يكن عندى قلم أكتب به فى السجن الجديد . لم أجد مائدة فى زنزانتى أكتب عليها . وطلبت من الطبيب أن يصرح لى بمائدة نظرا لأن مرض النقرس يمنعني من أن أحنى ظهرى على الأرض وأنا أتناول الطعام . . وبقيت عدة أيام فى مفاوضات ومباحثات واتصالات حتى سمحوا لى بمائدة . وعندما وصلت المائدة مرضت ، ومنعنى مرضى من الكتابة .

وكانت مشكلتى الأولى هى كيف أضع فى السجن الجديد خطة لتهريب الخطابات . ان الشبكة التى كونتها فى سجن الاستئناف لم تنتقل معى الى سجن القناطر . كان لابد من تكوين شبكة جديدة . المهمة صعبة . كيف أستطيع أن أجد عددا من الرجال الذين يمكن الثقة بهم ، ولا يشوا بى الى ادارة السجن أو المباحث أو المخابرات ! ليس عندى ما أعطيه . لا مال ولا نفوذ ولا سلطات وهم عندهم كل شىء ! ليس معى الا الله . أومن بأن الله سوف يحمينى وأنا أؤلف الشبكة الجديدة التى سوف تهرب لى الخطابات هنا !

وقد بدأت اختيار العضو الأول فى العصابة . انه رجل اعترف انه قتل ولم يقتل ! ولكنه كان يعمل فى خدمة عمدة فى أسيوط ، وقتل العمدة أحد خصومه ، ثم طلب من خادمه أن يفتديه ويعترف بأنه القاتل فى مقابل أن يعطيه فدانا ! وقبل ابراهيم هذه القسمة الظالمة .

وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لينجو القاتل الحقيقى . أحس ابراهيم اننى برىء مثله ، وقبل أن يتولى عملية التهريب الخطرة . انه لا يقرأ ولا يكتب ويتصور اننى اكتب تظلمات وشكاوى الى الجهات العليا ، لا خطابات العن فيها الظلم والظالمين ! اننى أحتاج لعشرة مثل ابراهيم . ولن تكون مهمة العثور عليهم صعبة . فما أكثر المظلومين فى بلادنا !

بلاد المعمورة

سجن القناطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتى

مرضت فجاة . كانت مفاجأة غريبة . كنت أسير فى فسحة الصباح . شعرت بأننى متعب . صعدت الى زنزانتى . أحسست بقشعريرة شديدة . وضعت الترمومتر فى فمى . درجة حرارتى هى ٤٠ درجة و ٨ خطوط . اشتدت الحالة بعد ذلك . أحضر زملائى مكمدات باردة . وضعوها فوق رأسى طول اليوم . عرفت اننى كنت أهذى ، وكنت أقول « بقى أنا ح أموت ؟ وده كلام ؟ يارب ؟ » واحمرت عيناى . شعرزملائى بفزع شديد . تناوبوا على تمريضى طوال الوقت . حضر الدكتور منير أعطانى أدوية عديدة لانزال الحرارة وحقن ترامايسين . لم تنجح الحقن الا فى أن تنزل الحرارة الى ٣٩ درجة ونصف !

لم أخف من الموت ! الذى رأيته فى غرف التعذيب أشد هولا من الموت . كنت أريد أن أعيش ولو يوما واحدا لأشهد مصرع الطغاة ! يوما واحدا يارب وأموت ! سأقاوم الموت بالايمان كما قاومت التعذيب جربت أن أصلى وأنا راقد فى فراشى . هل سينصفنى الله بعد أن أموت ؟ لا ، سيجعلنى أعيش لأرى مصرع الظالمين ! هل أنا أصلى أم هذا هو هذيان الحمى ! تمنيت فى هذه اللحظات أن أرى الله . ثم هدأت . أحسست أن الله يرانى !.

جاءت خيرية وزينب لزيارتى يوم الخميس . كان من رأى الطبيب وأصدقائى الا أغادر الفراش وحرارتى فوق ٣٩ ، اقترحوا على أن

اطلب تأجيل الزيارة . رفضت . خشيت اذا عرفتا أنني مريض أن اثير فزعهما . تحاملت على نفسي . تجلدت . كنت فى أشد الحاجة الى ان أشعر انهما بجانبى فى هذه اللحظة . وفعلا اصبحت حالتى النفسية أحسن كثيرا . ولكن درجة الحرارة بقيت فوق ٣٩ درجة .

ثم حدثت مأساة . ممرض السجن اعطانى الحقنة خطأ . كان يعطينى حقنة الترامايسين فى العرق ، ونزلت الحقنة تحت الجلد ، واذا بى اشعر بحريق يشتعل فى ذراعى . وتورمت ذراعى . شعرت بعذاب وألم لا يطاق . احضروا مكمدات ساخنة وضعوها على ذراعى طوال اليوم . وهكذا كانوا يضعون فوق رأسى مكمدات الثلج ، وفوق ذراعى مكمدات ساخنة ! بعد يومين اختفى الورم ، ورفضت بعد ذلك أن يعطينى ممرض السجن أى حقنة ، وتولى ذلك زميلى عبد الغنى النشرتى المرض المتهم بأنه سيكون وزير الصحة فى انقلاب موهوم لفقته مخابرات صلاح نصر ! استمرت الحرارة غير عادية حوالى عشرة أيام . أصبحت فى يوم الجمعة ١٢ أغسطس حرارة عادية للمرة الأولى .

ليس هناك اصعب من المرض فى السجن . وخاصة أنه فى الساعة الخامسة مساء تقفل أبواب الزنزانة على المسجون ، ويترك المريض الى رحمة الله حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى . واذا حدث للمسجون المريض أزمات أو مضاعفات أو احتاج الى اسعاف ، كان الله فى عونه ، ومع ذلك استطعت أن أمر بهذه الأزمة بسلام . كان الطبيب ، وهو الدكتور منير يصعد الى زنزانتى فى الطابق الثانى مرتين فى اليوم ، وهو مريض بالأزمة القلبية . وجاء المأمور والضباط لزيارتى . كان اهتمام زملائى المسجونين بى غير عادى . المكمدات الحقيقية كانت محبة المسجونين لى ! تخصص زميلى المسجون العميد محمد يوسف فى صنع شراب الليمون الذى كنت اتناوله باستمرار . تخصص زميلى أنور زعلوك المسجون المتهم بأنه سيكون محافظ الوادى الجديد فى الانقلاب الملفق المزعوم فى وضع المكمدات على رأسى . كانوا يساعدوننى فى ارتداء الملابس وخلعها ، وفى غسل وجهى . كنت موضع رعاية واهتمام الجميع .

انشغلت فى الأسابيع الأولى بترتيب حجرتى . هوايتى الكبرى ان أصنع من الفسيخ شربات . وأحول الزنزانة الضيقة الى شـقة أنيقة . واحول السجن الى أخبار اليوم ! وضعت الستائر على النافذة . علقتها على باب الزنزانة لأخفى الشقوق والبقع والخروم. جئت بجردل صغير وركبت له حنفية وضعت تحتها طبق بلاستيك . أصبح عندى للمرة الأولى حوض . كنت فى سجن الاستئناف اغسل يدى ووجهى فى جردل البول . هذا تقدم لو تعلمون عظيم ! علقت الستارة البلاستيك الجميلة البيضاء ذات الخطوط الزرقاء فوق الرفوف الخشبية ، استطاعت أن تخفى الرفوف ، وتخفى الطعام. وقسمت الزنزانة الصغيرة إلى غرفتين الغرفة الأولى غرفة نوم مع غرفة الطعام والغرفة الثانية غرفة أوفيس ومطبخ وحمام . كل غرفة عرضها متر فقط .. عز !! لم يبق أمامى الا أن أدهن زنزانتى بالزيت .. حتى أقطع الطريق على الحشرات . اننى أجد لذة فى أن أزين سلاسلى وقيودى . اننى لا العن الذين وضعوا القيـود ، اننى أرثى لهم . عندما انتهى من ترتيب زنزانتى سأبدأ فى المقاومة . سأكتب واكتب ! كلماتى هى مدافعى وسوف أستمر أطلقهـا الى أن ينفد الرصاص الذى فى روحى ! اننى أضمد جراحى بالكتابة . لا ابكى على نفسى وانما أبكى على بلدى ! المهم ان أستطيع ان أنظم طريقة للاتصال بكم تجعل رسائلى تقفز فوق الأسوار بسرعة ! الشىء الذى يضايقنى انه كلما نظمت وسيلة الاتصال فى سـجن ، نقلونى الى سجن آخر . حياتى هنا تبدأ بأن أستيقظ السـاعة السادسة صباحا . اقرأ القرآن أبدأ بترتيب زنزانتى . اعد الملابس التى سأرتديها . أخرجها من حقيبة الملابس . وفى هذه اللحظة تبدأ الاذاعة . صوت الراديو هنا أجمل من صوت راديو سـجن الاستئناف . أسمع القرآن وحديث الصباح من سامية صادق ونشرة الأخبار والموسيقى . فى حوالى الساعة السابعة والنصف يفتح السجان باب زنزانتى ، وهو عادة يفتح زنزانتى قبل اى زنزانة أخرى لأنه قارىء قديم من أيام مجلة الاثنين ! أتوجه الى دورة المياه وأعود الى زنزانتى ، وارتدى ملابسى ، وانقل الثلج من الترموس الكبير الى الترامس الصغيرة . ثم أحمل كرسيا الى دهليز السجن ، وفيه نافذة كبيرة تطل على عدد من الأشجار وعلى سجن النساء ! لا أستطيع أن أرى أحدا فى سجن النساء . ولكن منظر الأشـجار جميل . كانت نافذة الدهليز فى سجن الاستئناف تطل على المكان

الذى تلقى فيه الزبالة ، وكان على يمينها المشنقة فى غرفة الاعدام ! المنظر هناك مقبض ، والمنظر هنا يرد الروح . اتمشى قليلا فى الدهليز. فيه أنه ضيق . لا يتسع الا لمرور شخص واحد . يمتاز عن سجن الاستئناف بأنه مفتوح من فوق ، يدخل فيه الهواء وتسطع الشمس باستمرار . أستطيع لأول مرة منذ شهور أن أستنشق هواء نظيفا ومنعشا . كان الهواء فى سجن الاستئناف مزيجا من التراب ورائحة الزبالة . هناك فرق كبير بين الهواء فى السجن والهواء فى الحرية !

فى الساعة التاسعة صباحا تبدأ الفسحة ، وهى فى حوش أوسع عشر مرات من حوش الفسحة فى سجن الاستئناف الذى كان مليئا بالمجارى والروائح الكريهة بينما ، وأنت تمشىْ ، تسمع صوت الراديو تنبعث منه الالحان الجميلة ، أو تسمع موسيقى من فرقة موسيقى المسجونين . وهى موسيقى بدائية ، ومع ذلك فالمسجونون يصرون على أن أطلب الأدوار التى أحبها ليعزفوها لى اثناء الفسحة التى تستمر نصف ساعة . عادة أسأل زملائى عن الأدوار التى يريدونها فأطلبها . لا أريد أن يتحكم ذوقى فى أذواقهم . انهم يريدون الألحان الراقصة ! الطير يرقص مذبوحا من الألم !! أعد لنفسى مائدة الأفطار . ما زلت فى انتظار سعيد فريحة ليصل معه تموين مربى السكر وأطعمة مرضى السكر . أمضى الصباح فى قراءة الصحف العربية . الصحف الأجنبية أوفرها للمساء . زملائى من المسجونين السياسيين يتضايقون من الساعة التى تقفل فيها باب الزنزانة ، الا أنها تسعدنى . انها ايذان بلقائى الغرامى بقلمى ! أتناول غدائى فى الساعة الثالثة ، وفى الساعة الرابعة ننزل الى الفسحة مرة أخرى ، ونمكث بين نصف الساعة وثلاثة أرباع الساعة . ثم نصعد الى الطابق الذى فيه زنزاناتنا ، ونجلس بجوار النافذة ، ونحن نسمى هذه النافذة المعمورة ، اشارة الى بلاج المعمورة فى رمل الأسكندرية ، وتحل الأشجار محل لابسات المايوهات الفاتنات ! فى الساعة السادسة تقفل أبواب الزنزانة . أخلع ملابسى . استلقى على السرير واقرأ الى الساعة التاسعة . ثم أكتب ما أستطيع أن أكتب وأنا أتلفت يمينا ويسارا . أنام عند منتصف الليل . أشعر بأننى أنام هنا أحسن من سجن الاستئناف . الجو معتدل . لهذا السبب اختفى « حمو » النيل من جسمى وقد لازمنى حوالى شهر . وكان أطباء سجن الاستئناف ، غفر الله لهم ، يقولون

انه ارتكاريا ! انا أعتقد أن حكومتنا هى المصابة بأرتكاريا سياسية ! فى كل يوم تهرش باحثة عن مؤامرة موهومة ! التحقيقات والتلفيق والتزييف والتعذيب تجعل جسم الحكومة أحمر ! هذا الهـــرش المستمر يدل على أنها فى طريقها الى كارثة ! الحل فى راى الطب السياسى هو الحرية والديموقراطية والعدالة ! ولكن الأطباء عندنا يفضلون « الهرش » المستمر على الشفاء !

أنا أسعد من غيري!

سجن القناطر

١٤ اغسطس سنة ١٩٦٦

عزيزتي

صحتي الآن جيدة . حرارتي أصبحت عادية . عدت أتناول الطعام . لا أعرف كيف أشكركم على الأدوية . مكثت عدة ايام أعيش على عصير الليمون فقط . المرض مؤلم ولكنه اشد ايلاما في داخل الزنزانة ! ليس في السجن دواء . أدويتكم خففت الأزمة . كنت اتناول الأدوية في موعدها . زملائي كانوا يتصورون أنني سوف أموت هنا . أنا كنت أريد أن أعيش . شعرت بأنني اذا استسلمت للموت فمعنى ذلك أنني أستسلم للطغيان ! قررت ان اعيش لأقاوم ! الذين وضعوني في السجن توهموا أنهم وضعوني في تابوت . أطمأنوا أنني لن أخرج حيا . أنني أعيش الآن صراعا بين العدل والظلم ، بين الحقيقة والزيف ، بين الحرية والطغيان . أعرف أن معسكر المظلومين ضعيف جدا . ما قيمة المقيدين بالسلاسل والأغلال في معركة مع مطلقي السراح ؟ ما قيمة الضعفاء المقهورين مع أصحاب الجبروت والسلطان ؟ ما قيمة البكم مع الذين يملكون الصحف ومحطات الاذاعة ؟ أنها معركة غير متكافئة . ولكني أؤمن أننا بالصمود سوف نستطيع أن نربح هذه المعركة . المهم الا نيأس ولا نستسلم . أنني هنا أحاول أن أرفع معنويات كل زميل من زملائي المسجونين السياسيين . أحاول أن أضيء شمعا في ظلامهم . أحاول أن أجد ثغرة في القبور التي تضمنا ليدخل منها الهواء والأمل . أننا نختنق هنا . ولكننا نتنفس بالأيمان . وسوف نعيش بالحب . الذي يؤلمني أنني أجد أن الرسائل التي يتلقاها زملائي المسجونين السياسيون تتناقص . الزيارات تقل .

ان التراب يغطى تدريجا عـلاقات حلوة ، وزيجات سعيدة ، وصداقات وطيدة ! ان شوقى يقول اننا فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين ! والمسجونون السياسيون يخشون أن ينساهم الناس . لا احد يذكرهم . والصحف مغلوبة على أمرها . الرقيب لن يسمح بذكر اسم مسجون سياسى حتى فى صفحات الوفيات ! بل لقـد حدث أن مات أحد اولاد عم مسجون سياسى معى ، فاذا بأهـل الفقيد يحذفون من تلقاء انفسهم اسم قريبهم المسجون ، وكأنهم يتبراون منه ، او يخشون ان يصاب افراد الأسرة بمكروه اذا عرفوا أن لهم قريبا مسجونا ! أنا لا الوم الأسرة المذعورة ، وانمـا الوم الذين ملأوا البـلاد بالخوف والارهاب ! زمـلاؤنا المسجونون السياسيون ممن لهم اقارب من ضباط الجيش ، فوجئوا بأنهم نقلوا من الجيش الى وظائف مدنية بلا ذنب سوى أنهم أقرباء مسجون سياسى ! تذكرت أن الدكتور أحمد ماهر كان مسجونا ومطـلوب الحكم باعدامه ، فى الوقت الذى كان شقيقه على ماهـر وزيرا للعدل ! وتذكرت أن اللواء نصار كان محكوما عليه بالسجن المؤبـد فى انقلاب عسكرى وعين الرئيس جمال عبد الناصر شقيقه الدكتور نصار وزيراً للصحة . ماذا حدث ؟ ان السنوات الأخيرة شهدت تدهورا فى احترام العلاقات الانسانية .

.

بعض زملائى هنا لا يزورهم أحد . انا لا الومهم . الغائب عذره معه . الخائف عذره معه . الفقير عذره معه . قال لى أحد العمال المسجونين انني اعرف اذا جاءت زوجتى من قنا لتزورنى ، فمعنى ذلك أن يبقى أولادى جائعين عدة ايام . انني افضل ان يأكلوا على أن تجىء زوجتى لتقف معى بضـع دقائق ! ولكن بعض النـاس لا يكلفون انفسهم ان يرسلوا خطابا بطابع بريد بعشرة مليمات ! وهؤلاء أعذرهم أيضا . أن الدولة لا تعترف بالصداقة ولا بالقرابة . ان موظفا بوزارة المالية نقل من القاهرة لأنهم ضبطوا خطابا منه الى شقيقه المسـجون فى السجن الحـربى يسـأله عن الصحة ! ان المسجونين السياسيين فى السجن الحربى مضى عليهم عام لم يتلقوا خلاله رسالة واحدة من اهلهم ، ولم يسمح لهم برسالة واحدة يكتبونها الى اهلهم ! ولو أن المسجونين السياسيين كانوا تابعين لجمعيـة الرفق بالحيوان ، لاحتجت الجمعية على هذه المعاملة السيئة !

أنني أسعد حالا من غيري . لأنني لا أشعر مطلقا بأنني وحدي . احس أنني معكم . لا تنهار قوني ولا أفارقكم . أسمع صوتكم . ارى لمعان عيونكم . استرجع صدى ضحكاتنا معا . أنا لا ارى خيـــالات وأطيافا . ارى حقيقة جميلة أعيشها . لا يمكن ان يمحوها الزمن ، أو تقلل من روعتها الأيام . ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر الانسان بأنه ليس وحده .. وأن هناك من يحبه . ان هذا الحب هو أعظم منحة يعطيها الله لعباده . انه يقوى الضعيف . ويسعد الشقى . ويملأ قلب اليائس بالأمل والرجاء . يحول الظلام الى نور . والدموع الى بسمات .. انني أحس انني أتلقى منكم رسائل حب كل يوم . رسالة الحب ليست فى حاجة الى ان تكتب بالحبر على الورق . أنني أرى هذه الرسالة فى « زرار » يثبت فى البيجاما . فى طبق أحبه . فى فنجان قهوة أشربه من يدكم . فى منـــديل طويتموه بأصابعكم .. فى كيس وسادة . هذه الأشياء كلها تحكى وتتكلم . انها تقول شعرا ونثرا . تغنى أغانى حب وهوى وغرام . تحمل مناجاة وقبلات وأشواقا . ليست الكلمة وحدها هى التى تعبر عن حرارة الشوق . أن طبقا من الطعام أعدته امرأة لرجل تحبه قد يكون فيه من الحرارة أكثر مما فى خطاب غرام ! ان قميصا غسلته فتاة بيدها وكوته ، وطوته ، ولمسته أصابعها ، هو أجمل عواطف الدنيا . هذه الأصابع كتبت على القميص عبارات من الحب قـــد تكون أبلغ من كل رسالة غرام .. فأنا أشعر بأننى فى زنزانتى رجل محظوظ لأننى اتلقى منكم عشرات الرسائل كل يوم . رســـائل أضعها على فمى كأنها قبلات ، أو أضعها على جسدى كأنها عناق . هذا الحب يسعدنى . يملأ وحدتى القاسية . يجعلنى اطل من نوافذ كثيرة على الحياة خارج السجن . يشعرنى بأننى قـــريب منكم . الحب يلغى المسافات بل ويلغى الزمن ايضا . أنا لا أشعر بأننى بعيد عنكم . أن بينى وبين الزمالك ساعة بالسيارة . ومع ذلك اشعر بأنكم جميعا معى فى سجن القناطر . فى نفس المدينة . فى نفس الزنزانة . الأيام الطويلة لا تعنى شيئا . حبنا يختصرها الى دقائق . كلما صمدنا تهاوى الزمن . الحب الصحيح يهزم الزمن ويهزم المسافات .

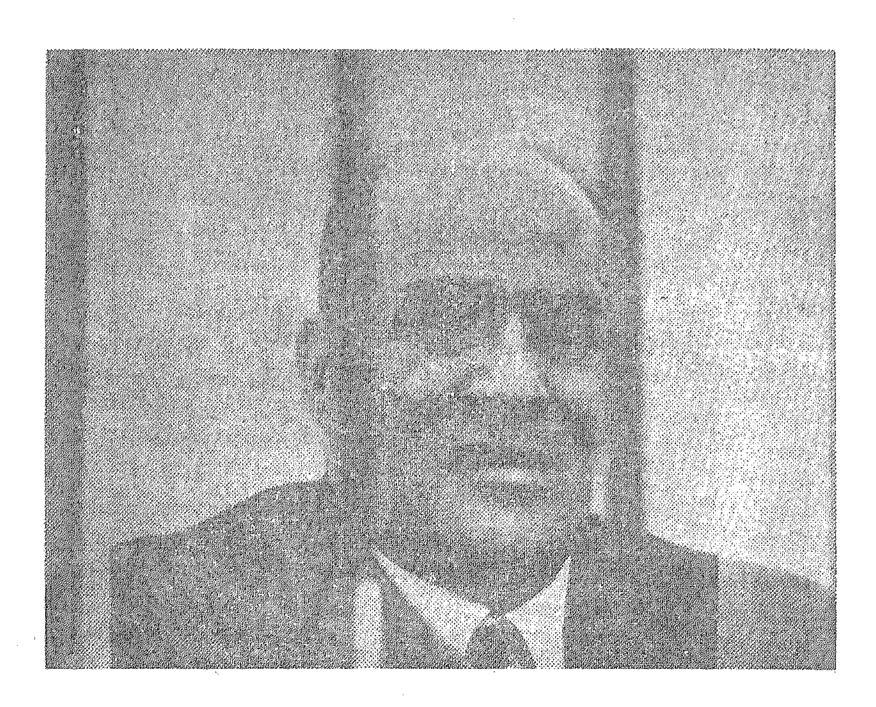
أنا أقدر الظروف التعسة المؤلمة التى تعيشونها ! أنا أحسن منكم حالا . أنا دائما معكم فى بيوتكم وأعمالكم . وأنتم دائمـــا معى فى

الزنزانة !! ايمانى بالله يجعلنى اثق بأن الله لن يتخلى عنـا . الله وقف بجوارنا فى أزمتنا ، ومد يده الينا فى كل محنة صادفناها . اننى رايت الله كثيرا . احسست أنه بجوارى دائما منذ أن دخلت السجن . يبدو أن الله لا يزور كثيرا الحكام فى قصورهم ، ولكنـه يزور دائما المظلومين فى سجونهم وزنازينهم !

ما دام الله معنا ، فان من واجبنا أن نطمئن ، وأن نثق بأنه مهما طال الليل فلابد لشمس الحرية أن تشرق من جديد . بينما أكتب هذا الكلام كانت المطربة سعاد محمد تغنى قصيدة « ابتهـالات الى الله » ثم فجأة صاح المؤذن : الله أكبر ! الله أكبر .

تفاءلت بالأغنية ، بآذان المغرب ! .

الم اقل لك أن الله معى فى الزنزانة ! ؟



وجلست بين قضبان قفص الاتهـــام أتفرج على مهزلة المحاكمة !

الموتى يتكلمون !

سـجن القنـاطر

اغسطس سنة ١٩٦٦

عـزيزتى

أيامى الأولى فى هذا السجن صعبة ، بسبب عدم وجـود شبكة اتصالات عندما يدخل المسجون الى سجن جديد ، يمر بفترة تأديب ، فتغلق عليه ابواب الزنزانة ٢٣ ساعة ونصف ساعة كل يوم . ويحرم من الفسحة عدة أيام ، ويوضع تحت الرقابة المستمرة ، ولا يستمتع بأبسط انواع الامتيازات التى يستمتع بها المسجون « صـاحب البيت » ! كل طلب مرفوض لأنه مخالف للائحة . كل شيء ممنوع. لأن التعليمات مشددة بمعاملتنا معاملة كبار المجرمين والسفاكين وقطاع الطرق ! وقد تدهش اذا علمت أن القتلة وقطاع الطرق يعاملون فى السجون خيرا مائة مرة من المسجون السياسى ، فالقاتل عـدو المجتمع والمسجون السياسى عدو شخصى للحاكم — أو كما قال لى أحد الضباط هنا اذا هرب مسجون سفاح من هنا ينقل مدير السجن من منصبه ، أما اذا هرب مسجون سياسى من السجن فيفصـل المـدير وجميع الضباط وجميع الحـراس ان لم يوضعوا كلهم فى السجن ! وهكذا ترى أن الناس مقامات ! وفى العصور الغـابرة كان المسجون السياسى يتمتع بامتيازات . أذكر أنه عندما قبضت الحكومة فى عام ١٩٤١ على الفريق عزيز المصرى باشا ووضعته فى سجن قرة ميدان أن أصدر حسين سرى باشا رئيس الوزراء أمرا بأن يعطى المسجون عزيز المصرى عشرة جنيهات كل يوم لينفق منها على طعامه وملابسه ويخصص ضابط برتبة ملازم لخدمته ! وكان عزيز باشا يفطـر من جروبى ، ويتغدى من شبرد ويتعشى من سميراميس وأذكر انه عندما كان فؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية

سمح لزميلي جـلال الدين الحمامصي المعتقـل في معتقل الزيتون بالخروج لحضور حفلة قران شقيقه الأستاذ على الحمامصي ! وأذكر أن حكومة سعد زغلول سمحت للدكتور محمد حسين هيكل المسجون بتهمة اهانة رئيس الوزراء سعد زغلول بأن يستقبل يوميا محرري جريدة السياسة ليبلغهم تعليماته ويملي عليهم مقاله الافتتاحى الذى يهاجم فيه الحكومة ! .

ولقد قال لى ضباط السجن صراحة ان التعليمات التى لديهم هى « ان يطلعوا دين المسجونين السياسيين » وأنهم لا يفعلون ذلك خوفا من الله ، قلت لهم ان الأرض كروية ، ولا يقف العز عند باب واحد الى الأبد !

لقد حرمنا من الفسحة عدة ايام ، وحرمنا من أن يوجد كرسى فى زنزاناتنا عدة ايام ، وبدأت بعد ذلك تتحسن الأمور ، بدأنا نحـاور التعليمات . وبدأنا أحيانا نحطم قرارا أصدره وزير الداخليـة بسيجارة ! نعم قرار وزارى بسيجارة . . يا بلاش !

وشيئا فشيئا سوف تعود الحياة الى الحياة الطبيعية التى كنا نعيشها فى سجن الاستئناف .

تفرجت فى التليفزيون على مباراتين من مباريات كأس العالم فى كرة القدم من الأشياء الجميلة هنا اننى أسمع فى الصباح المبكر فى زنزانتى ، الكروان وهو يغنى « الملك لك . . لك لك ! » أن صوته يشرح القلب . فى سجن القبة كنت أسمع يوميا صوت البوم والغربان وأم قويق !

جارى فى الزنزانة اسمه أحمد . قبض عليه واتهموه بأنـه من الاخوان المسلمين . قال انه فعلا كان من الاخوان المسلمين فى عام ١٩٥٤ ثم تاب وليعبر عن توبته الكاملة اشتغل تاجر خمور يبيـع الويسكى والكونياك والشامبانيا والنبيذ ! ومضى عليه ١١ عاما وهو فى هذه التجارة التى يحرمها الدين الاسلامى !

ولم يقتنع ضباط التعذيب ، وقالوا له : انك مكثت ١١ سنة تتنكر تحت مهنة تاجر خمور ، وانك مجرم ومتآمر واخوان مسلمين !

وبدأ الضرب والصفع والتعذيب . .
وأصر أحمد على الانكار !

وفجاة أمر السفاح المحقق باحضار زوجة أحمد الى غرفة التعذيب وادخلها أحد الجنود !

وأمر السفاح الجندى بأن يجردها من ملابسها امامزوجها المكبل بالسلاسل والأغلال . .

ووقفت المراة المسكينة عارية ترتجف !

وأمر السفاح الجندى بأن يغتصب الزوجة العارية .

وهم الجندى باغتصاب الزوجة المسكينة ، وارتمى الزوج على الأرض وراح يقبل أقدام السفاح ويقول له :

— اعترف ، اعترف أننى قتلت جمال عبد الناصر !

قال السفاح :

— لم تقتله . . وانما تآمرت على قتله !

— نعم أعترف !

وأملى السفاح على احمد اعترافا كاملا بمؤامرة ملفقة لا اساس لهـــا . . !

ووقع أحمد على الاعتراف .

وترك السفاح الزوجة ترتدى ملابسها !

ويقسم أحمد بأنه لم يفكر فى ارتكاب اى جريمة ، ولم يشتغل بالسياسة طوال ١١ سنة ، وكان مشغولا طوال هذه السنين يبيع الويسكى والكونياك والشامبانيا والنبيذ !

كان احمد يروى لى قصته وهو يبكى . . كأنه لا يزال يرى زوجته عارية أمامه والجندى يحاول اغتصابها . .

وقال لى وهو يرتجف:

— سنموت وتموت مأساة ظلمنا معنا !

قلت له :

— لن نموت ! واذا متنا فسوف تزار رفاتنا فى القبور !

قال : الموتى لا يتكلمون !

قلت : ولكن الله يتكلم !

وصية إلى أخي

سجن القناطر

اخى العزيز

قد يكون هذا آخر خطاب اكتبه اليك قبل صدور الحكم .

ان عندى وصية لك . وهو ان تخلص ما دمت حيا لهذا الوطن ، ولا تجعل حزنك بسبب الظلم الذى أصابنى سببا فى أن تتوقف عن خدمة هذا البلد ، أو التفانى فى الجهاد من أجله .

اننى واثق ومتأكد أن وطنى ظلمنى ، دون أن يعرف انه ظلمنى ، لأننى مؤمن بعدل هذا الشعب . مؤمن بأنه لا يمكن أن يظلم أحدا اذا كان مؤمنا ببراءته . وكل ما هناك أن الذين يكرهون كلمة الحق ، حاولوا تشويهى أمام أهل بلدى ، مغلبت الشكوك التى اطلقوها على البراهين التى تؤكد اخلاصى وولائى لوطنى .

وأنا لست آسفا على أننى سأسجن . ولكن أسفى على شىء واحد . هو حرمانى من شرف خدمة بلادى .

وتأكد انه سيجىء يوم يعرف فيه الشعب براءتى ، انا واثق أن هذا اليوم سيجىء . ومما يثبت براءتى مع الأيام أن تكافح تحت راية هذا الوطن ، وتعمل تحت لوائه ، وتقبل هذه التضحية نداء له .

انا مستعد لأن اقبل هذه التضحية راضيا اذا انصف الذين ذبحونى الملايين . مستعد لأن أتحمل تقييد حريتى ، اذا كان ثمن ذلك تحرير هذا الشعب كله من العبودية . مستعد لأن ارضى بهذا الظلم اذا منحوا العدل لألوف المظلومين المقهورين المعذبين . لقد كنت فى كل

وقت مستعدا لأن اقدم حياتى من أجل تحقيق هدف واحد من هذه الأهداف .

وانا اعلم انهم اختارونى لأكون رأس الذئب الطائر فى قصة كليلة ودمنة . عندما أطاح المستبدون برأس الذئب ليخيفوا ويرهبوا باقى سكان الغابة . ومع ذلك احس ان رأسى ليس وحده الذى طار ! ان السيف أطاح برؤوس كثيرة ، وسيطيح فيما بعد برؤوس اكثر . واخشى أن تكون النتيجة أن يخاف الظالم ، بدل أن يخاف المظلوم ، وبدلا من أن يتوقف عن ظلمه ، يحاول أن يغطى المذابح القديمة بمذابح جديدة ! دم الأبرياء على أيدى الطغاة لا يغسله الا دم جديد !

انا قابل هذه التضحية ، ولست ساخطا على وطنى الذى حرمنى من ضمانات العدالة . ان وطنى معلق فى المشنقة ، فكيف يستطيع أن ينقذ بريئا فى زنزانة ؟

لو اعدمتنى بلادى فسأقف على المشنقة واهتف تحيا مصر ! ولو وضعنى وطنى فى السجون عشرات السنين ، فسأبقى مخلصا لوطنى الذى أحببته وأحبه ، وسوف أحبه . ولا أستطيع أن اكرهه ابدا .. اننى لو كرهته أكون قد كرهت نفسى ..

لسنا أول من أحب وشقى فى حبه !

العالم في زنزانة!

سجن القناطر

١٧ اغسطس سنة ١٩٦٦

صديقتى

لم اكتب لك منذ وقت طويل . كنت دائما اشعر بأنك فى حاجة الى ان اكتب لك كلمة ، ولو كلمةصغيرة ، لتطمئنك على حياتى الجديدة هنا . انني أعلم ان انتقالى الى سجن القناطر صدمة لك ، وأنك كنت تتوقعين أن يكون شهر يوليو ، هو الشهر الذى سأخرج فيه من السجن ! واذكر فى شهر ابريل الماضى انك قلت لزينب انني لا انتظر شيئا قبل شهر يوليو . ويومها ظهر عليها الفزع وقالت يا سلام ! لسه لغاية يوليو ! وقد انتهى يوليو ، واغسطس فى طريقه الى الانتهاء . وسيجىء اكثر من يوليو واكثر من اغسطس وأنا فى قيودى . كل ما حدث اننى انتقلت من سجن الاستئناف الى سجن القناطر . ولم يكن هذا الانتقال صدمة لى . فأنا أعتبر حياتى محطات فى طريق الفجر . وكل الذى حدث انني انتقلت من محطة الى محطة فى طريقى الى محطة الوصول . المهم الا يتوقف القطار . ان يتحركباستمرار . لا أعرف كم تطول رحلة القطار . ولكنى أعرف أننا سنرى الفجر . ان الظلام الذى يعيش فيه هذا الشعب هو ظلام مؤقت . سنرى الفجر . وسنعيش ونضحك ونعمل . لقد كانت حياتى كلها سجنا . كنت أسجن نفسى فى مكتبى . وفى عملى . وفى المهنة التى اعطيتها حياتى . كنت اشبه بالمتصوف فى معبده . حرمت نفسى شبابى كله ، لأقيم صناعة عظيمة فى بلادى . كانت تمضى على سنوات لا ادخل دار سينما . ولم تكن عندى أجازة سنوية ! ولم تكن عندى اجازة أسبوعية . كان العمال والمحررون يتغيبون فى اجازات العيد وشم النسيم . وكنت انا واخى نجلس فى هذه الأيام على مكاتبنا وحدنا . نعمل . ونشقى . وكأننا لسنا فى عيد . كنت اسجن نفسى

فى عملى باختيارى . انا الذى حكمت على نفسى بالسجن المؤبد فى العمل الصحفى . فكل الذى حدث اننى انتقلت من زنزانة الى زنزانة . كانت زنزانتى الأولى مكتبى فى أخبار اليوم . وزنزانتى الآن فى سجن القناطر . لم تتغير حياتى بين الزنزانتين . ما زلت اعبد بلدى كما كنت اعبدها . وما زلت أحب الصحافة واعشقها .

مازلت أحب الناس كما كنت أحبهم واكثر . الذين اساءوا الى اقلية . واحد فى المليون . والذين أحسنوا الى هم ملايين . ما زلت احلم بأن اعيد صحافة بلادى لتكون كما كانت صحافة عالمية . أحلامى لم تتحطم . ايمانى بالله لم يتزلزل . لم يغيرنى السجن أبدا . لاأشعر بحقد او ضغينة على احد . لا أريد أن أنتقم من أحد . حتى من الذين ظلمونى . كل الذى اتمناه الا يظلموا غيرى كما ظلمونى . ربما لا يستطيع غيرى أن يتحمل العذاب الذى تحملته .

لا ازال أحب الناس كلهم . اتمنى لهم الخير . ارقب نجاحهم . اهلل لكل نصر تحققه بلادى . وكأنه من صنع يدى . انا لا أشعر اننى مسجون . نحن الذين نسجن أنفسنا . نقيم من أوهامنا حراسا على أنفسنا ، نضع من يأسنا سلاسل وحديدا نقيد به ايدينا واعناقنا . ما دامت روحى منطلقة ، وقلبى مؤمنا . فاننى أشعر بأن الزنزانة لم تسجن سوى جسدى . أما روحى فهى حرة . خيالى غير مقيد . أفكارى غير محبوسة . اعيش بينكم . أسمع حديثكم . ان دموعكم تسقط على خدى . جروحكم يدمى لها فؤادى . لست أعرف ماذا أفعل لأخفف عنكم عذابكم . كل ما أستطيع أن افعله أن ارسم لكم صورة صادقة عن حياتى هنا وشعورى واحساسى .

اننى أحس أننى هنا فى اجازة . كنت احلم طوال حياتى بأجازة . أجازة خارج عملى . شاء القدر ان تجىء الاجازة بقرار جمهورى !! اننى اعيش ٢٤ ساعة كل يوم بلا عمل ، وبغير انتاج . خطر ببالى أن استفيد من هذا الوقت الذى امضيه هنا فأدرس اللغة الالمانية واللغة الروسية . كنت طول حياتى أتمنى أن أجيد خمس لغات . وكنت اشعر أن الصحفى العالمى يجب أن يجيد خمس لغات . حتى الآن لم أبدأ هذه الدراسة . كل ما افعله هو ان اقرأ صحف العالم واقرأ بعض الكتب . اننى اقرأ يوميا ثمانى ساعات . اشعر بأن بقية

ساعات اليوم تضيع عبثا . وكلما قرأت شعرت بأننى ازددت جهلا، ان هناك الوف الكتب أريد أن اقرأها . اننى اتابع ابواب الكتب الجديدة فى الصحف والمجلات العالمية . أريد أن أطلع على كل فكر جديد فى العالم . اننى عندما امسك جريدة عالمية اشعر بأننى خرجت من الزنزانة . كأننى أطوف فى العالم . أمضى ساعة فى فيتنام . وساعة فى اندونيسيا . وساعة فى الصين . وساعة فى مشاكل السود والبيض . وساعة فى ازمة حلف الأطلنطى . أتصور أننى عدت صحفيا عالميا من جديد ، وأصبحت أطير من عاصمة الى عاصمة ، اغطى الأزمات ، أدرس المشاكل ، وأحلل المواقف ، وازيح الستار عما يجرى وراء الستار من أحداث .. كل هذا من داخل زنزانة ! .

ان زنزانتى اصبحت جميلة ! بعد التغييرات والتعديلات وعمليات النظافة التى قمت بها فيها أصبحت احبها . انها ليست مقبضة ، ولا حزينة ، ولا قاتمة . على العكس انها « شرحة » . صحيح انها ضيقة ، ولكنها تكفينى وزيادة . فيها كل ما احتاج اليه . كنت فى الماضى ادعو الى حل أزمة المساكن باختراع شقة من غرفة واحدة ، تتحول الى صالون وغرفة طعام وغرفة نوم وغرفة مكتب ، وحمام ، وأوفيس ، ومطبخ . وقد حققت هذا الاختراع فى الزنزانة . أصبحت اراها شقة واسعة ، السرير الذى أنام عليه جديد ونظيف ومريح . اننى لا افتقد السرير الواسع فى بيتى . أصبحت الآن انام على السرير الضيق دون أن اقع من على السرير ! ومشكلة الذباب أمكن حلها . وصوت أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم يصل الى بوضوح من ميكرفون اذاعة السجن . وهكذا أنام على انغام احبها ، وافتح عينى على تلاوة القرآن الكريم فى الصباح . فيستريح قلبى ، وتطمئن نفسى ، واحس أن آيات الله هى بلسم يشفى كل جروح روحى .

احمد الله أن الماء المثلج أصبح الآن يصل الى ! ان الماء المثلج هو مشروبى الوحيد فى الصيف والشتاء . جرعة الماء المثلج تسكرنى وتملأنى نشوة . كتبت مرة اقول ان كوبا من الماء المثلج فى الصيف الذ من قبلة من أجمل امراة فى العالم ! فاذا كان الأمر كذلك فانا اقبل يوميا عشر ملكات جمال ، لأننى أشرب كل يوم عشرة أكواب من المـاء المثلج !!

اذا امكن شراء ترموس احتياطى للثلج اكون شاكرا . انني اشعر بفزع كل يوم ان يحدث لترموس فاتن حمامة مكروه ، ولا اجـد ترموس كبيرا للثلج . وهكذا احرم من تقبيل اجمل امراة فى العالم .

ويهمك ان تعرف شيئا عن الزنزانة التى اقيم الآن فيها . الجـزء السفلى منها مدهون باللون الأزرق ، والجزء الأعلى باللون الأبيض. ومن المصادفات الغريبة ان لون البطانية أزرق ، ولون الباب أزرق ، ولون النافذة ازرق ، وبذلتى المعلقة على الحائط زرقاء وأنا أحب اللون الأزرق واستريح له ، ففيه زرقة السماء ، وانا اشعر بأننى نائم فى السحاب !

رسالة سرية !

سجن الاستئناف

١٩ أغسطس سنة ١٩٦٦

عـــزيزتى

انتقلت اليوم من سجن القناطر الى سجن الاستئناف

جاءتني زيارة أمس بسجن القناطر . تلقيت فيها رسالة سرية بان الرئيس صدق على الحكم وهو يقضي بالأشغال الشاقة المؤبدة . عدت من الزيارة ودخلت عنبر المسجونين السياسيين وانا اضحك ، التف حولي زملائي فرحين مهللين . تصوروا من ضحكي انني علمت انه تقرر الحكم ببراءتي ! قلت لهم انني علمت أنهم سيحكمون على بالأشغال الشاقة المؤبدة . وجموا وذهلوا . دهشوا ان اضحك بعد أن سمعت بالخبر الرهيب . انني ضحكت لانني أعلم ان الرواية لم تتم فصولا ! ليست هذه هي نهاية القصة ولكنها بدايتها . ثم جاءت الأنباء بأنه صدر قرار بنقلي وحدى من سجن القناطر الى سجن الاستئناف ، وذلك حتى أخـــرج من هناك غدا لسماع الحـــكم . أسرعت أجمع أمتعتي . وساعدني زملائي في عملية الربط والعزال . وضعوني في سيارة لوري صغيرة راحت تنهب الأرض من القناطر الخيرية الى باب الخلق ! وجدت وجوها جديدة في السجن ، ولكن صداقاتي القديمة لا تزال موجودة . أمضيت الوقت أجمع معلومات عن ليمان طره وليمان أبو زعبل . قيل لى أننى لن أنقل الى واحد من الليمانين الا بعد أسابيع من صدور الحكم . احساسي الشخصي أن الحكم على سيخرج بطريقة مسرحية . تلقيت رسالة من أحـــد تلاميذى بأن المطلوب أن يحكم على فى زفة .. وتهاجمنى الصحف ، وتلعننى الاذاعة ، وتنشر مقالات مأجورة ضدى فى صحف العالم العربى ! لم أنزعج ! انني لا احب أن أموت « فطيس » ! كل هـــذا

الاهتمام يدل على ان احدا لم يقتنع بادانتى ، وان كل هذه المجهودات تبذل لاقناع الناس بأننى مجرم ! لو كان الرأى العام هو المسجونين والسجانين والضباط ، فهذا يؤكد أن الرأى العام معى . انها معركة بين الحق والقوة . وقد تنتصر القوة فى المعارك الأولي ، ولكن النصر للحق فى المعركة الاخيرة ! اننى اشعر براحة غريبة بعد أن عرفت الحكم . معنى ذلك اننا وصلنا الى قمة المهزلة ! ان قمة الظلم فى رأيى هى دائما بداية الطريق نحو العدل !

ان الله معى ، وهو اقوى آلاف المرات من حكم الأشغال الشاقة المؤبـــدة ! .

محاكمة ...

سجن الاستئناف

٢٠ اغسطس سنة ١٩٦٦

كان اليوم موعد الحكم .. حملونى فى موكب عسكرى الى مجلس الثورة . الحراسة مشددة . الجنود المدججون بالسلاح يملأون الطرقات . رجال الشرطة السريون يقفون على الأرصفة لماذا يريدون اخفائى عن العيون .. لعلهم يظنون أنهم يرتكبون جريمة !

أحكام اعدام بالجملة . أحكام اشغال شاقة بالدستة ! هذا هو الفريق الدجوى قاضى آخر الزمن ! لم يجرؤ الدجوى على مواجهة المتهمين بالأحكام الظالمة التى أصدرها عليهم ، بل أرسل ضابطا صغيرا يتلو علينا الأحكام فى غرفة صغيرة فى مبنى مجلس الثورة واختفى القائد الهمام فى الاسكندرية !!

وكان الضابط يقرأ الحكم من ورقة ، واستطعت أن أقرأها بالمقلوب . قبل ان يتلو الحكم على ! ولم يتصور أحد أننى أعرف الحكم ربما قبل أن يعرفه الدجوى !

وعندما انتهى الضابط من تلاوة الحكم قلت بصوت جهورى :

— أنا برىء .. وسوف يثبت التاريخ أننى برىء . اننى مؤمن بالله وببلادى ، وهذا الايمان هو الذى يؤكد لى أن الحق لابد أن يظهر فى يوم من الأيام ! اننى أعطيت بلادى فنى وفكرى وعمرى وأننى آسف أن هذا الحكم سيحرمنى أن أخدمها أكثر مما خدمتها . وأنا أعتقد أن هذا الحكم رصاصة خاطئة أطلقت أثناء المعركة وأصابت أحد جنود هذا الوطن وليبارك الله فى خطوات بلادى ، ولو داست فى طريقها على حريتى وحياتى . وقد دهش الحراس لقوة أعصابى .

ولاننى قابلت الحكم بهذه الشجاعة وبالايمان بأن براءتى لابد أن تظهر في يوم من الأيام !

وأخرجونى من الغرفة ، ليدخلوا حسين توفيق وزملاءه الذين حكم عليهم الدجوى بالاشغال الشاقة المؤبدة !

قال لى أحد الضباط هامسا ان الذين صدر الحكم ببراءتهم فى القضايا الأخرى لن يفرج عنهم . وأن أحكام البراءة هى أحكام مسرحية للرأى العام ، وأن المحكوم ببراءته سوف يوضع فى المعتقل!

حمدت الله على انه لم يحكم ببراءتى !

عدت الى سجن الاستئناف . قال لى المأمور آسفا : ان الأوامر صدرت بأن أخلع ملابسى المدنيـــة بعد صدور الحكم ، وأن أرتدى ملابس السجن . طيبت خاطره ، وقلت له انى أعتقد أن الملابس لا تهين الرجل ، وانما الرجل هو الذى يهين الملابس ! وانا لا يهمنى أن أرتدى ملابس السجن الزرقاء ، وانها عندى مثل بدلة التشريفة الموشاة بالذهب التى كان يرتديها الوزراء فى العهود الماضية !

ودهش الرجل لاننى أستقبل هذا التغيير الكبيرفى حياتى بكل هذه البساطة . قال لى أحد الضباط انه صدر قرار بنقلى الى ليمـــان طره ، وانه أحيط بسرية تامة وسينشر فى الصحف على انه تقرر نقلى الى ليمان ابو زعبل حتى يضللوا الذين يريدون خطفى .. ضحكت لقلة عقل ولاة الأمور !

قال لى الضابط وهو حزين : ان أمرا قد صدر بأن يجردونى من السرير الذى أنام عليه ، لأنه يجب ان انام على الأرض بعـد أن صدر الحكم بسجنى بالأشغال الشاقة المؤبدة ..

ونمت على الأرض نوما عميقا مستغرقا ، وكاننى كنت انام فى سرير وثير فى فندق جورج الخامس فى باريس !

فى الصباح جاء ضابط من ليمان طرة لاستلامى . تعمد أن يكون رذيلا معى . منعنى أن آخذ ملابسى الداخلية او سجائرى أو مناديلى! تعمد ان يكون رذيلا وقليل الأدب معى . كان يختلف كل الاختـلاف عن كل الضباط الذين رأيتهم فى سجن الاستئناف او سجن القناطر . قررت أن أضبطاعصابى . تحملت وقاحته . قررت الا أشكو منـه لأحد خشية أن يرقوه الى رتبة اللواء !



هرب الدجوى !!
فى اللحظة التى وقف فيها المدعى العسكرى يتلو على الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة ، لم يجرؤ الدجوى على حضور الجلسة ليتلو الاحكام!



بعد سماع الحكم قلت للمدعى العسكرى . اننى بريء .
وسوف يثبت التاريخ أننى بريء

الليلة الأولى

سجن ليمان طره

٣١ اغسطس ١٩٦٦

ادخلونى الى عنبر « الايراد » ! زنزانة صغيرة جدا ! اقرب الى « الجب » منها الى الغرفة . لا نوافذ فيها . طاقة فى اعلى الزنزانة يدخل منها الهواء على استحياء . الشمس ممنوعة من الدخول . لا مقعد . لا كرسى . لا مائدة . لا سرير . نصف بطانية سوداء ممزقة !

اغلقوا الباب دون أن يكلمني احد . لم يحاول أن يخبرني أحد عن التعليمات أو النظام . فهمت أن المدير غير موجود ، ولهذا لا يجرؤ أحد على أن يتحدث معى ! ليس معى القرآن لأقرأ فيه . ولا جريدة ولا مجلة ولا كتاب . ولو كان معى كتاب ، فكيف كنت أستطيع أن اقرأ فى هذا الظلام الدامس . رأيت على جدران الزنزانة جيوشا جرارة من مختلف الحشرات . كلها تمشى فى طوابير منتظمة . ناموس . بق . صراصير . ذباب . أنواع من الحشرات لم أرها طوال حياتى ! أمضيت ساعة كاملة أراقبها ثم بدأت اضع خطة حربية لاعلان الحرب عليها . خلعت حذائى ، وبدأت أقتل الصراصير ، لم البث أن شعرت بتعب . توقفت وأنا أقول لنفسى : هذا عصر الصراصير !

سمعت اقداما تزحف على سطح الزنزانة . أطل مسجون براسه وقال لى : كل المسجونين بقلوبهم معك ! ماذا تريد .. ؟ كان أشبه بالجان فى قصة الف ليلة وليلة يقول : شبيك لبيك عبدك بين يديك !

قلت له : لا أريد شيئا .. اريد اخبارا !

قال : تريد جريدة الأخبار ؟

قلت : لا .. اريد أن اعلم هل سأبقى فى هذا « الجب » باستمرار ..

قال هامسا : انهم سيخلون لك طابقا باكمله فى عنبر واحد .. ان الاوامر صدر للمسجونين السياسيين بالا يكلمك احد ، وستكون وحدك فى هذا الطابق !

قلت : وهل عنبر واحد كويس ؟

قال : جنة بالنسبة للمكان الذى انت فيه الآن !

قلت : ومتى ساذهب الى الجنة ؟

قال ضاحكا : بعد ان تبقى بضعة ايام فى النار !

وانصرف المسجون بعد ان اصبح المخبر الاول فى اخبار اليوم الجديدة التى بدات انشئها فى ليمان طرة !

وبعد ان انصرف تذكرت اننى نسيت ان اطلب منه طعاما ! اننى لم افطر ، فقد نسوا ان يقدموا لى افطارا ، ولم اتناول غدائى فقد نسوا ان يقدموا لى غدائى ، ولماتناول عشائى !

واحسست بالجوع .. وقلت لنفسى فلأعتبر اليوم الأول فى ليمان طره صياما . ولكن عصافير بطنى صرخت وولولت .. ! وحاولت ان اقاوم فعجزت واقبل الليل الموحش فازددت جوعا . واخذت ادق الباب بيدى ، واقبل الحارس ، وقلت له : اريد طعاما .. ! فقال الحارس : ان الوقت متاخر وقد نسوا ان يضعوا اسمك فى قائمة الطعام .. فانتظر الى الصباح ..

قلت : اننى جائع !

واذا بالحارس يدخل لى من ثقب الباب قطع جبن رومى صغيرة ، واجزاء صغيرة من رغيف عيش افرنجى .

والتهمت الخبز والجبن ، وكأننى مدعو الى مأدبة ملكية !

لقد نظرت الى الكوة التى ادخل منها الحارس الخبز والجبن الرومى كأنها طاقة من السماء ..

وعرفت بعد ذلك أن الحارس أعطانى عشاءه .. كل عشائه !

وحزنت لاننى لم استطع ان ارى وجهه . ولكننى سوف أعثر عليه . انى سأعيش طول حياتى مدينا لهـذا الرغيف الافرنجى وقطعة الجبن الرومى !

معركة مع الصراصير

سجن ليمان طره

٤ سبتمبر سنة ١٩٦٦

نقلوني الى عنبر واحد . عنبر المسجونين السياسيين . خصصوا الطابق الرابع كله لي وحدي ! أخلوا خمسين زنزانة من المسجونين حتى أكون وحدي في الطابق كله ! المسجونون يخافون ان يتحدثوا الى . الضابط شومان ضابط العنبر قال للمسجونين السياسيين ان الأوامر تقضي بأنه اذا ضبط مسجون يتحدث معى ، يوضع فورا في سجن التأديب ، ويحرم من جميع الامتيازات !

كدت انسى الكلام .. مضى اسبوعان لم اسمع كلمة من احد !

أنا اسلى وقتي بقتل الصراصير واحصائها ! أحاول أن اقنع نفسي بأن بلادى لن تحقق الخلاص الا اذا قضت على كل الصراصير فيها ! واتصور وأنا اقتل الصراصير على جدران الزنزانة أنني اقوم بمعركة سياسية !! في احدى الليالي قتلت ١٦٤١ صرصارا من مختلف الأشكال والأحجام ، وبعضها أنواع اراها لأول مرة في حياتي ، وفي ليلة أخرى قتلت ٨٩٢ صرصارا ، وفي ليلة ثالثة قتلت ١٠٤٣ صرصارا !

حاولت مقاومة الصراصير بمسح جدران الغرفة بالفنيك ، ولكن يبدو أن الصراصير هنا اقوى من الفنيك ! اكتشفت أن الزنزانات المغلقة تتكاثر فيها الصراصير ، تماما كما يحدث في المجتمعات المغلقة ، ففيها تكثر الصراصير .. ! أنني أفتح النوافذ لتدخل الشمس والهواء !

مضى على في الليمان ١٣ يوما . كل يوم أحسن من سابقه !

في اليوم الأول جاءني في « جب » عنبر التأديب ثلاثة أطباء من

السجن ، كشفوا على كشفا دقيقا ، وجدوا آثار التعذيب ، كتبوا تقريرا قالوا فيه انني مريض بالسكر والنقرس والروماتيزم الحاد ، وفى حالة صحية سيئة ، تستوجب نقلي فورا الى مستشفى السجن لعلاجي والاشراف المستمر على صحتى المتدهورة !

قال مدير الليمان انه يجب أن يستأذن مدير المصلحة !

قال مدير مصلحة السجون انه يجب أن يستأذن نائب وزير الداخليـة .

قال نائب وزير الداخلية انه يجب أن يستأذن رئيس الوزراء .

قال رئيس الوزراء يجب استئذان الرياسة .

وقالت الرياسة « يوضع فى زنزانة عادية ، ويكتب على بابها ورقة « ملحق بالمستشفى » !!

وكان ان نقلت الى زنزانة صغيرة فى عنبر واحد ، وضعوا على بابها ورقة بيضاء مكتوبا عليها « ملحق بالمستشفى » !

وقال لى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء المستشفى أن هذا سوف يصبح تقليدا . كل مسجون سياسى يمرض مرضا خطيرا سنلصق على باب زنزانتـه ورقة مكتوبا عليها « ملحق بالمستشفى » !! واصر الأطباء على أن أنام على سرير ، وسمحوا لى بفسحة ساعتين كل يوم وشربت ماء مثلجا مرتين خلال أسبوعين، ودخنت سجائرى كالمعتاد ، وارتديت بذلة بيضاء بصفتى مريضا « ملحقا بالمستشفى » واصبحت أنام فى البذلة الزرقاء كأنها بيجاما ، وهذا تقدم لو تعلمون عظيم !

وطلبت التصريح لى بقراءة الجرائد اليومية والأجنبية . وأنـا غير مسموح لى حتى الآن بقراءة الصحف ، ولكنى نظمت عمليـة لتهريب صحف الصباح ، وقـراءة الصحف بالنسبة لصحفى مثلى كالهواء والماء . ولولا أننى أسمع الأخبار من اذاعة السجن لاختنقت.

زنزانتى هنـا أصغر من زنزانتى فى سجن الاستئناف أو سجن القناطر . فيها سرير أبيض عليه مرتبة ووسادة وبطانيتان . استعمل بشكير الحمام كغطاء . ليس فى الزنزانة شماعات . أضع حاجاتى

فى صندوق من الورق المقوى . عندى نافذة تطل على فناء السجن ، وهى نافذة ليست عالية . استطيع ان اطل منها دون حاجة الى ان اقف على كرسى ، ولا احتاج ان أتشعبط على حديد السرير لأطـل على الهواء الطلق ، زنزانتى فى الطابق الرابع . استيقظ مع اذان الفجر . أرقد فى فراشى الى أن تشرق الشمس . هنا تبدأ معركتى اليومية مع الصراصير . ثم أسمع القرآن فى الاذاعة وحديث سامية صادق « صباح الخير » وبعض الأغانى .

فى الساعة الثامنة يفتح الحارس باب زنزانتى . كنت لا اتناول الافطار قبل الساعة الثانية عشرة ظهرا فى انتظار وصول الخبز الطازج من مخبز السجن . ومع الأيام تعلمت ان آكل الخبز البايت ! واؤجل العيش الساخن الى الغـداء . وامشى فى ردهة السجن ذهابا وايابا أمام نافذة كبيرة تطل على النيل . منظر النيل هنـا جميل . الأشجار حوله وكأنها تعانقه . هذا منظر كنت محـروما منه فى سجن الاستئناف . وصوت الراديو هنا جميل وليس مزعجا كالاذاعة فى سجن الاستئناف . وهنا حلاق لبنانى يحلق لى ذقنى . والحلاقون مشهورون بكثرة الكلام ، ولكن ميزة حلاقى أنه أخرس ، ولهذا لا يتكلم ابدا !

والأيام الأولى فى السجن هى دائما أصعب الأيام . ولكن الله دبر كل شىء . أصبحت أيامى الصعبة محتملة كثيرا . وكل يوم تحدث لى معجزة . منذ دخولى السجن لم أشرب قهوة . صديق مجهول هرب لى قهوة ! وسأبدأ أشرب القهوة من اليوم . كنت أحمل هم مبلغ الجنيهات الخمسة التى صرحوا لى بها كل شهر . أنها لن تكفى لشراء طعامى وسجائرى وحاجاتى . ولكن الله كريم . النـاس الطيبون أجدهم فى كل مكان . ان كثيرين منهم يحدثوننى بالاشارة لأن الكلام ممنوع . أحيانا يقطع لى مسجون وردة من حديقة السجن ويقدمها لى ويهمس فى أذنى بخبر لا أعرفه .

ما زلت محروما من الكلام مع زملائى المسجونين . قيل لى ان هذا اجراء وقتى سوف يستمر بضعة أسابيع لأننى ما زلت تحت التجربة . وعندما اقارن بين حياتى فى الليمـان وحياتى فى سجن المخابرات او السجن الحربى أؤمن بأننى هنا فى الجنة فعلا !

ستنقصني هنا اخبار اخي على . فقد حرمت منها . تعودت كل ليلة قبل ان انام أن اوجه رسالة روحية ، واتلقى منه ردا عليها من لندن. انني اعتقد أن على لا يزال متفائلا ، ولا يزال واثقا من أن نور الفجر سيملأ حياتنا من جديد .

الواقع أن هذا الحكم ، والحملة الضارية التى شنوها على لم تزعزع ايمانى ببلدى ولا حبى لوطنى ، ولا ثقتى فى أن الحق لابد أن يظهر ، ولقد كنت مستعدا طول حياتى أن أقدم حياتى لوطنى .. أن كل ما قدمته الآن هو حريتى !!

ليمــان طــره

عــزيزتي

في أحد أيام شهر يونيو سنة ١٩٥٧ كنت جالسا في مكتبي في أخبار اليوم عندما اتصـل بي قسم الاستماع بأخبار اليوم وأخبرني أن اذاعات العالم تذيع أنه حدثت مذبحة في سجن ليمان طره ، وأن أكثر من عشرين مسجونا من الاخوان المسلمين قتلوا في زنزاناتهم ، وأن أكثر من خمسين منهم جرحوا ! واتصلت على الفور بوزارة الداخلية وسألت عن حقيقة الخبر ، فأكد لي مسئول كبير في الوزارة أن الخبر كاذب ولا أساس له من الصحة . واتصلت برياسة الجمهورية وسألتهم عن حقيقة النبأ ، فأكدت لي الرياسة أنها أكذوبة استعمارية أطلقتها اذاعات الاستعمار ومقصود بهـا تشويه سمعة مصر في عيون العالم !

وصدقت هذا التكذيب الرسمي الى أن دخلت سجن الاستئناف وإذا بأحد الحراس يعترف بأنه اشترك في المذبحة ، وأن الأوامر التي كانت لديه بقتل جميع المسجونين السياسيين الموجودين في الطـابق الثالث في العنبر رقم واحد بليمان طره ، وفي سجن القناطر قابلت عددا من الحراس الذين حملوا القتلى بعد المذبحة من العنبر الى مستشفى السجن ، وكان الخلاف الوحيد في الرواية أن بعضهم قال أن عدد القتلى كان عشرين قتيلا ، والبعض الآخر قال أن عددهم كان واحدا وعشرين قتيلا !

وعندما نقلت الى ليمان طره لاحظت وأنا أتفحص زنزانتي في الطابق الرابع في عنبر واحد أن جدران الزنزانة فيها عدد من الخروق، وسألت عن هذه الخروق فقيل لي أنها رصاص مذبحة طرة !

وبدأت احقق بنفسي في هذه المذبحة الخطيرة ، وسمعت شهودها الذين بقوا على قيد الحياة . .

ان القصة بدأت قبل اول يونيو سنة ١٩٥٧ ، وهو يوم المذبحة ، بزمن طويل ، بدأت هذه الفترة في اكتوبر عام ١٩٥٥ واستمرت حتى أول يونيو سنة ١٩٥٧ . كانت التعليمات قد سبقت وصول المسجونين السياسيين من الاخوان الى ليمان طره باستعمال أقسى طرق العنف معهم . ونفذت ادارة السجن أوامر الارهاب بدقة تامة . ولم يذق المسجونون السياسيون في تلك الفترة يوما واحدا من الراحة والهدوء . التفتيش مستمر . يدخل الضابط الزنزانة ويرمي محتوياتها في الخارج . يدوس بقدميه على الطعام . يتعمد اثارة المسجونين واهانتهم ومحاولة اذلالهم . اوامر بالاحتكاك المستمر بالاخوان المسجونين الذين يعملون في تكسير الأحجار في الجبل . كانوا يامرونهم بالخروج الى الجبل بعد فتح الزنازين مباشرة . يمنعونهم أحيانا من دخول دورات المياه . أو يؤنبونهم ويحطمون معنوياتهم ويسخرون منهم قبل أن يسمحوا لهم بدخول دورات المياه. وكان مطلوبا من كل مسجون سياسي أن يكسر كمية معينة من الاحجار ، ويكومها ثم يفرغها في عربات السكك الحديدية ، وأي نقص في الكمية يعرض المسجون السياسي لدخول التأديب ، وارتداء الملابس الحمراء ، وفي هذه الحالة يطالبون بضعف المقطوعية المقررة من الاحجار ! ومن يعجز عن تكسير الكمية المقررة يتعرض للجلد !

وفي الجبل الشكوى ممنوعة . لا مراعاة لظروف سجين ضعيف او مريض أو كبير في السن . وفي وقت من الأوقات بلغ عدد الاخوان الذين وضعوا في سجن التأديب اكثر من خمسين مسجونا ، كانوا يخرجون الى الجبل في الملابس الحمراء ويطالبون بمضاعفة كمية تكسير الاحجار !

وتعرض بعض المسجونين السياسيين لضربات الشمس في الحر الشديد . سقط عدد منهم مغمى عليه . رفض المسئولون احضار سيارة اسعاف . قالوا أن سيارات الاسعاف لا تحمل الكلاب ! تذمر المسجونون . نفخ الضابط في البوق يعلن «كبسة على الجبل» ونزل المسجونون السياسيون وهم محاصرون بالجند المسلح وفي

جو من التهديد والارهاب الى أن وصلوا الى الليمان . فى اليوم التالى قامت حملة من الحــراس وهاجمت الزنازين وفتشتها ، وجردت المسجونين السياسيين من كل ما يملكون !

وصدر قرار بمنع المسجونين من الاخوان من تأدية صلاة الجمعة الجماعة . وحدث مرة أن ضبط المدير عددا من الاخوان يصلون العصر ، فى الدور الثالث ، فأمر بعقاب جميع المسجونين فى الدور الثالث . الذين يصلون . . والذين لا يصلون !

وكان المسئولون فى السجن يتلقون أوامر بالاعتداء المستمر على المسجونين من الاخوان ، وكانوا يفتعلون معهم المعارك ، وفى سنة ١٩٥٦ اتهموهم بأنهم تأخروا قليلا فى الخروج الى الجبل ، وقامت فرقة من الحراس بضربهم أمام العنبر ! وكادت تحدث مجزرة ، لولا أن اللواء حسن سيد أحمد مدير الليمان وصل فى هــذه اللحظة ، وأمر بسحب جنود الكتيبة والحراس واقفال العنبر ، وأودع ١٢ من المسجونين السياسيين الذين أصيبوا فى الحادث فى سجن التأديب واستصدر أمرا بجلد بعضهم ٣٦ جلدة ، وضرب الآخرين ١٢ جلدة .

وفى أوائل عام ١٩٥٦ اشتدت المعاملة سوءا ، وصدرت أوامر بالاحتكاك بالمسجونين السياسيين من الاخوان أثناء الصلاة ، وفى أثنــاء زيارة أهلهم ، وكان المسجونون السياسيون يضــعون على رؤوسهم فى الجبل أثناء العمل أغطية للرأس ، شأنهم شأن باقى المسجونين ، فصدرت الأوامر بأن يستثنى المسجونون السياسيون من ارتداء أغطية الرأس ، حتى لا يقوا رؤوسهم من الشمس ! وفى أيام الجمع كان الحراس يفتحون أبواب الزنازين لكل المسجونين ، ما عدا المسجونين السياسيين . وعندما ذهب عدد من الاخوان الى الضابط المسئول يحتجون قال لهم « أنا ح أخلى حجراتكم كلها برك دم » !

وبلغ تعنت المسئولين مع المسجونين السياسيين حدا يؤسف له . كانوا يحرمون عليهم استلام أى طعام أو مأكولات من أهلهم أثنــاء الزيارة . كانت التعليمات الا تزيد مدة الزيارة على دقائق معدودة . وكان المسجونون اليهود المحكوم عليهم فى قضــية فضيحة لافون

يقيمون معهم فى نفس العنبر . وكان يكسر قلب المسجون السياسى المصرى أن يرى الدولة تعامله معاملة المنبوذ ، بينما كان المسجون السياسى اليهودى يعامل فى الليمان باحترام واجلال ! وكان المضحك أن هؤلاء اليهود كان مباحا لهم الانتقال كما يشاءون فى أنحاء السجن . أما المسجون السياسى المصرى فكانت تقفل عليه الأبواب . وكانت الأدوية تصل الى اليهود من الخارج . أما المسجون السياسى المصرى فكان اذا وجد العلاج لا يجد الدواء !

وفى أوائل عام ١٩٥٧ كانت ورش الليمان فى حاجة الى أيد عاملة . وفى هذه الحالة تخفض مدة تكسير الأحجار فى الجبل من ٢٦ شهرا الى ٢٤ شهرا لتوفير هذه الأيدى العاملة . ويمكن لكل مسجون أمضى ٢٤ شهرا فى الأشغال الشاقة فى الجبل أن يطلب « التخزين » أى النزول من الجبل . وتقدم عدد من المسجونين السياسيين الاخوان الذين أمضوا المدة يطلبون انهاء عملهم فى الجبل . واذا بخطاب رسمى يجىء برفض أن يستمتع المسجون من الاخوان بالحق الذى يتمتع به سائر المسجونين ، وأن يستمر عملهم فى كسر الأحجار فى الجبل حتى لو انتهت المدة .

وفجأة يجىء أمر بحلق شعور جميع المسجونين السياسيين ، ويجتثون شعورهم الى رقم زيرو !

وجرت عادة السجون والليمانات منذ عشرات السنين على أن تحترم ادارتها شهر رمضان فتوقف تفتيش الزنازين خلال شهر رمضان .. ! واذا بالأوامر تجىء بوقف تفتيش جميع المساجين ما عدا الاخوان .. !

وجىء لليمان بمدير جديد قيل انه هو الذى أمر بتعذيب المسجون السياسى الشيوعى شهدى بطرس حتى الموت .. وانه أختير لكى يفعل بالمسجونين السياسيين فى ليمان طره ما فعل بهم فى ليمان أبو زعبل .

اننى أسمع الآن تحذيرا بأن أبواب العنبر تفتح ، وانهم سيجيئون لتفتيش زنزانتى !

اتركك الآن وسوف أتم لك القصة فى الخطاب القادم »



الحرس يضع فى يدى القيد الحديدى ، بعد صدور الحكم ، فى الليورى الذى حملنى من المحكمة الى السجن ..

مذبحة طرة !

سجن ليمان طره

أعود اليوم لاستئناف الحديث عن مذبحة طرة . كان ذلك فى يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٥٧ ، وحضر أهالى المسجونين السياسيين من أهل شبرا فى مجموعة واحدة لزيارة أولادهم . الزيارة من وراء السلك كاقفاص القرود بمعنى أنه يفصل بين الأهالى والمسجونين ستار من السلك السميك ، حتى لا يتصافحوا ، ولا يقبلوا بعضهم بعضا . هذه هى حقوق الآدميين . أما المسجون السياسى فى مصر فهو حيوان يجب أن يعامل معاملة الحيوانات . لا يصافح زوجته . لا يقبل أولاده . يفصله حاجز مزدوج عرضه نصف متر ، حتى لا يهمس ، وحتى تناقش المسائل العائلية علنا ! المسجون لا ينفرد بأسرته . كل عشرين مسجونا يدخلون معا الى القفص تختلط الأصوات . تضيع الكلمات . يستمر اللقاء دقائق معدودة . فى هذه اللحظات المكهربة التعسة دخل أحد الضباط وأمسك بالمسجون السياسى عبد الغفار السيد واتهمه بأنه استلم من أسرته بعض المأكولات من خلال ثقب مفتوح فى السلك ! يا للجريمة العظمى . القاتل مسموح له أن يتسلم من أهله طعاما أثناء الزيارة ، أما المسجون السياسى فمحرم عليه أن يستمتع بالحق الذى يستمتع به القاتل أو السفاح ! وذعرت النساء . وبكى الأطفال من صراخ الضابط فى المسجون السياسى الذى خالف التعليمات . وطلب المسجونون السياسيون من الضابط أن يؤجل شخطه ونطره ، وتوبيخه وتأنيبه حتى تنصرف الزوجات والأطفال ! واذا بالضابط يقرر معاقبة جميع المسجونين السياسيين بقطع الزيارة ، وحرمانهم منها ، لأن مسجونا سياسيا واحدا خالف التعليمات وتسلم طعاما من أهله ! وصاح الضابط فى المسجونين السياسيين أمام أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم :

— والله العظيم لأحرقكم بجاز !

ودفع الحراس الاطفال والنساء بأيديهم الى خارج السجن وهم يئنون ويصرخون حزنا على اولادهم وآبائهم واخوانهم الذين أقسم الضابط أمامهم ان يسكب عليهم البترول ويحرقهم أحياء بالنار !

واجلسوا المسجونين السياسيين على الارض أمام عنبر التاديب ، وجاء ضابط كبير يقول لهم كل من تسلم من أهله لقمة عيش يجب أن يسلمها !

وسلم المسجونون السياسيون ما معهم من لحم أو فاكهة أو حلوى للحراس ! ومن سخرية القدر أن الحشيش والأفيون وزجاجات الخمر كانت تهرب الى داخل السجن للمسجونين العاديين ، ويحرم الطعام البسيط على المسجونين السياسيين !

وصدر امر بادخال ١٤ مسجونا من الاخوان فى غرف التأديب ، وقيدت ايديهم بالقيود الحديدية خلف ظهورهم .. وصـدر الأمر بالقبض على الأهالى .. نعم القبض على النساء والأطفـال .. وجروهم مقبوضا عليهم الى قسم المعادى . وحررت لهم محاضر بأنهم خالفوا التعليمـات وهربوا طعاما الى ذويهم المسجونين السياسيين ! وابقوهم مقبوضا عليهم حتى المساء ثم افرجوا عنهم بعد أن هددوهم بالسجن اذا عادوا واعطوا ذويهم من المسجونين السياسيين لقمة عيش !

وفى صباح اليوم التالى صدرت الأوامر بتجريد الأخوان المسلمين فى التأديب من ملابسهم ، وحلق شعورهم ، ثم دخل عليهم مأمور أول الليمان وقال لهم :

ــ احنـا مبيتين لـكم دقة ! ح نخليكم تمشوا على العجـين ما تلخبطوهوش !

وفى نفس اليوم ، ٢٩ مايو سنة ١٩٥٧ استدعى مدير الليمان لطبـاء السجن وأمرهم باخـراج جميع المرضى من المسجونين السياسيين الاخوان من الملاحظة الطبية .

والملاحظة الطبية هى أن يعامل المسجون معـاملة المريض ، ويبقى تحت العلاج خارج مستشفى السجن ، وفى هـذه الحالة لا يخرج الى الجبل يكسر الأحجار ، ويتناول طعاما صحيا .

واعترض الأطباء على هذا الأمر ، وقالوا ان المسجونين السياسيين الموضوعين تحت الملاحظة مرضى فعلا ، وخروجهم من الملاحظة الطبية خطر على حياتهم ! وقال لهم مدير الليمان أن هذه اوامر « من فوق » وأن أى طبيب لا ينفذ هذه التعليمات سيجد نفسه مسجونا فى احدى الزنزانات !

وقال الأطباء أن بعض المسجونين السياسيين المرضى قدموا من سجون أخرى للعلاج ..

وقال المدير أن الأمر يشمل الجميع .. المرضى وانصاف الموتى ! وأن الجميع يجب أن يكسروا الأحجار فى الجبل !

وشاع بين المسجونين السياسيين أن الغرض من ارغام المسجونين السياسيين على العمل فى الجبل برغم مرضهم وسوء حالاتهم الصحية ، ان الأوامر صدرت بقتلهم فى الجبل واتهامهم بأنهم حاولوا الهرب !

وقال لى بعض الحراس انه حدث فى أثناء القبض على أهالى المسجونين السياسيين ان حاول أحد الضباط أن يضع يده فى صدر احدى السيدات من أهالى المسجونين ، فثارت السيدة ، وكان هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير ! ولكن المسجونين السياسيين الذين كانوا موجودين فى ذلك اليوم قالوا أنهم لم يروا شيئا كهذا ؛ وأنه اذا كان وقع فيكون قد وقع اثناء نقل الأهالى المقبوض عليهم الى قسم المعادى .

ولكن هذا الجو المشحون المكهرب الملىء بالارهاب والاستفزاز والرغبة فى اذلال المسجونين السياسيين جعل أعصابهم متوترة ، ينتظرون بين لحظة وأخرى أن تنقض مطارق الانتقام فوق رؤوسهم! وجوه الضباط عابسة مكشرة . عيونهم مليئة بالشرر . الحراس يؤكدون للمسجونين السياسيين أن النيــة متجهة للتخلص منهم ! لماذا ؟ لأن واحد منهم تسلم طعاما من أهله أثناء الزيارة ؟ ! هذا غير معقول .. لابد أن هناك جريمة لا يعرفونها جعلت الأوامر تصدر بالتنكيل بهم ! كل شىء فى السجن يكشر فى وجوههم . حتى القضبان!

لقد قيل لهم صراحة بأنهم « اعداء الدولة » و « ذبحهم حلال » !!
ولم يصدقوا هذا التهديد . تصوروا أن احد الضباط يهز أعصابهم ...
ولكنهم في اليوم التالي فوجئوا بأنه لم يكن تهديدا ، وانما كان أحد أخبار الغد ..

وفي صباح يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٥٧ فتح الحراس ابواب الزنازين ، وطلبوا من المسجونين أن يذهبوا الى طابور الجبل ، وهو الطابور الذي يسيرون فيه كل صباح في حراسة الجنود المسلحين والكلاب البوليسية ليعملوا في تكسير الأحجار ..

ورفض الاخوان الخروج . وأبلغوا ادارة الليمان أنهم يطلبون وكيل النيابة ، ليسجلوا أمامه أنهم يشعرون بأن الخطر يهدد حياتهم، وانه قيل لهم أن أوامر صدرت بذبحهم . وانهم غير ممتنعين عن العمل ويطلبون تحقيقا فيما أعلنه الضباط من نوايا عدائية نحوهم ..

وحضر مدير الليمان فتزروا عليه ملتمسهم ، فوعدهم بعرض الأمر على الجهات العليا ، وطلب منهم أن يدخلوا الى زنزاناتهم . ودخل المسجونون الى زنزاناتهم ، وقد اعتقدوا أن الأمر سينتهي في هدوء ..

وبعد حوالي ثلث ساعة بدأ فتح الزنازين زنزانة زنزانة ، وانزال المسجونين السياسيين الى الدور الأرضي ، وصفهم في طوابير تحت حراسة مشددة وهمس المسجونون العاديون في أذن المسجونين السياسيين انه تعد الآن فرقة من الكتيبة التي تقيم في بناء مجاور لليمان ، وان هذه الكتيبة تتسلح بالبنادق والعصي والجنازير ، وتعد للهجوم على السجن ..

ثم جاء مدير الليمان مرة اخرى وطلب من المسجونين السياسيين أن يعودوا الى زنزاناتهم ! فطلبوا منه أن يتركهم في الحوش كباقي المسجونين العاديين ، ويستدعي النيابة ..

وانصرف مدير الليمان دون أن يلتزم بشيء .

وفي الساعة الواحدة ظهرا فوجيء المسجونون السياسيون بفرقة مسلحة من جنود الكتيبة ورأوا جزءا من الفرقة يصطف في الطابق الثاني ، ويصطف الجزء الثاني من الكتيبة في الطابق الرابع .

وبذلك بقى المسجونون السياسيون من الاخوان محصـــورين في زنزاناتهم بالطابق الثالث ..

ووقف عدد من كبار الضباط أمام مدخل العنبر في الطابق الأول .. وصاح اللواء اسماعيل همت : اضرب !

وانهال الرصاص من كل ناحية على المسجونين الســـياسيين من الاخوان في الطابق الثالث .

بلا انذار !

بلا مقـــدمات !

ولم يكن يخطر ببال أحد من المسجونين السياسيين أن هذا ممكن أن يحدث ، حتى أن المسجون السياسى سعد شوقى كان يقف على كوبرى الطابق الثالث وسمع صوت الرصاص فقال : ان هـــذا ليس رصاصا حقيقيا ! انه فشنك !

وفجأة أصيب سعد شوقى بعدد من الرصاصات وسقط قتيلا .. قبل أن يعرف أن هذا رصاص حقيقى !

وأسرع المسجونون السياسيون ودخلوا الزنازين ، وأقفـــلوا أبوابها محتمين بها !

وصدرت الأوامر الى الجنود باطلاق الرصاص من خلال قضبان نوافذ الزنازين !

وسقط قتلى في داخل الزنازين ..

ثم صدر الأمر باقتحام عدد من جنود الكتيبة والحراس المخـــزن رقم ١٣٦ ، وان يجهزوا على من فيه بالشوم !

والمخزن عبارة عن غرفة كبيرة يسكنها عدد غير قليل من المسجونين السياسيين ولكن عناية الله منعت من تنفيذ هذا الأمر ، فقـــد انكسرت أكرة الباب ، وفشلوا في معالجتها ، وتركوا المخزن واقتحموا باقى الزنازين .

وفى الساعة الثانية ظهرا توقف اطلاق النار .. ونقل المصابون الى المستشفى وهم ينزفون دما !

وكان يقابلهم فى الطريق بعض الحراس فيأمرهم الضابط بأن يجهزوا عليهم .

ورأى الأطباء جثث القتلى والجرحى فذهلوا .. وقالوا ان الحالات خطيرة جدا ويجب نقلهم فورا الى مستشفى القصر العينى !

وقال مدير الليمان ان الأوامر أن يبقوا هنا !

والتف الأطباء حول المسجون السياسى عثمان حسن يحاولون انقاذه من جروحه الخطيرة !

ولكن معدات الانقاذ فى مستشفى السجن لم تكن كافية واسلم الروح !

وصدرت اوامر بنقل الجثث الى خارج الزنازين ، وأن يرصوهم فى طرقات العنبر ، لايهام النيابة بأنهم قتلوا وهم فى حالة تمرد خارج الزنازين ! ولكن عندما جاءت النيابة وجدت الدماء على جدران الزنازين من الداخل مما يؤكد ان عملية القتل حدثت والمسجونون داخل زنازينهم !

ثم صدرت الأوامر بالقاء امتعة واطباق المسجونين على أرض الطابق الأول ، حتى يتوهم المحقق انه حدثت معركة استعمل فيها المسجونون السياسيون الأطباق ، واضطر الجنود الى الرد عليها بالرصاص !

اما القتلى الذين عرفت اسماؤهم حتى الآن فهم :

١ ــ احمد حامد على قرقر بكالوريوس تجارة . موظف بمصلحة التليفونات من دنديط مركز ميت غمر .

٢ ــ عبد الفتاح محمود عطا الله . ترزى من كفر دهب مركز قويسنا .

٣ — على ابراهيم حمزة صاحب محل قمصان بحلوان من ميت بدر حلاوة مركز المحلة .

٤ — محمد ابو الفتوح معوض . عامل مطبعة بهواش مركز منـوف .

٥ — عثمان حسين عيد . صحفى خريج كلية دار العلوم . قلعة الكبش . القاهرة .

٦ — خيرى ابراهيم عطية . طالب ازهرى . الخليفة .

٧ — عثمان عزت عثمان الشهير بعصمت . موظف بالجمارك . السـويس .

٨ — عبد العزيز عبد الله الجندى . موظف بالسكة الحديد . شـبرا .

٩ — ابراهيم محمود ابو الذهب . مدرس . اسكندرية .

١٠ — مصطفى حامد على . طالب . امبابة .

١١ — محمود عبد الجواد العطار . ترزى . اسكندرية .

١٢ — السيد على محمد . تاجر نحاس . اسكندرية .

١٣ — السيد العزب صوان . عامل بشركة النسيج — المحلة .

١٤ — احمدى عبده متولى . بكالوريوس زراعة . شرقية .

١٥ — الحاج رزق حسن اسماعيل . مزارع . قلين . كفر الشـيخ .

١٦ — سعد الدين محمد شوقى . دبلوم تجارة . امبابة .

١٧ — فهى نصر . طالب ثانوى . بهواش . محافظة المنوفية .

١٨ — أنور مصطفى أحمد . مصر القديمة .

١٩ — أحمد محمود الشناوى . العباسية .

٢٠ — محمود محمد سليمان . مهندس بالسكة الحديد . من طمـا .

٢١ — محمد قواره . الدقهلية .

* * *

وفى الخطاب القادم سأحدثك كيف عوقب القتلى . وكوفىء القتلة !!

محاكمة القتيل .. ومكافأة القاتل

عــزيزتى

صدرت الأوامر بمعاملة قتلى مذبحة طرة معاملة المحكوم عليهم بالاعدام . المحكوم عليه بالاعدام لا تشيع جنازته ولا يسمح لأسرته باقامة مأتم له ! . . استدعيت أسر الضحايا ، وتسلمت كل اسرة جثة ابنها . نبهت السلطات عليهم بأن تتم عملية الدفن سرا ، وأن أي أسرة تقيم مأتما لابنها ستتعرض لأشد أنواع العقاب . . صدرت الأوامر باعداد شهود الزور ليحلفوا اليمين بأن القتلى هم المعتدون ! وأنهم كانوا مسلحين بالأطباق ومعلبات الفاصوليا والبامية وغيرها من الأسلحة الفتاكة . وأن المدير الرحيم حاول أن يصرفهم بالحسنى والذوق وأبوا واستكبروا ، ولكنهم اعتدوا عليه بالقول والاشارة . وأن الجنود قتلوا ٢١ مسجونا سياسـيا بالرصـاص دفاعا عن النفس !

وصدرت الأوامر باخفاء انباء المذبحة ، واعتبارها من أسرار الدولة العليا التى لا يجوز الحديث عنها ، والاشارة لها من قريب أو من بعيـد !

وكان معنى هذا القرار أن توارى المذبحة التراب مع جثث الشهداء الواحد والعشرين !

ولكن أوامر جديدة صدرت بالتحقيق مع الجرحى والمصابين الذين تجرأوا وبقوا على قيد الحياة !

وبدأ أغرب أنواع التحقيق . انه التحقيق مع الموتى !

وأراد المسجونون السياسيون المصابون بالرصاص أن يحكوا حكايتهم مع ادارة الليمان ، وكلما فتح واحد منهم فمه ليروى ما حدث اسكته أحد الضباط ، وقال أن الطبيب أمر بألا يتكلم لأن حالتــه حرجة وتمنعه من الكلام . .

وحاول بعض الذين اطلقوا الرصاص أن يتكلموا باعتبارهم جرحى ! وارغم عدد من المسجونين على التوقيع على أقوال لم يدلوا بها ، في ظل الضغط والارهاب والتهديد .

ونصبت ادارة السجن كمينا في طرقات الليمان للاخوان الذين تستدعيهم النيابة ، فاذا اقترب أحدهم من غرفة وكيل النيابة انهالوا عليه ضربا حتى يفقد النطق ، ثم حملوه الى وكيل النيابة وقالوا له أنه في حالة صحية تمنعه من الكلام !

واعترف احد الضباط بانه صدرت الأوامر الى فرقة من الكتيبة للذهاب الى عنبر التأديب حيث يوجد باقى المسجونين السياسيين الجرحى : وكانت التعليمات بأن تجهز عليهم جميعا .. ثم تدخل احد الضباط وأنقذ حياة الباقين على قيد الحياة !

وجاء موظف كبير من وزارة الداخلية وسأل مدير الليمان :

— كم عدد القتلى ؟

قال مدير الليمان .

— ٢١ قتيلا يا افندم .

قال الموظف الكبير :

— ٢١ فقط ! ان التعليمات هي ابادتهم جميعا !

وفى يوم الثلاثاء ٤ يونيو صدر الامر بترحيل باقى الأحياء من المسجونين السياسيين الى سجن القناطر ، وتم نقلهم فى الساعة الثالثة صباحا حتى لا يعرف أحد فى المدينة ماذا يجرى !

وكان المسجونون مربوطين فى جنازير من الحديد . وبعد فك الجنازير نقلوا فى دفعات الى الطابق الثانى ، وكانت كل دفعة تتكون من ثلاثة مسجونين . وصدر الأمر لكل دفعة بأن تجرى حول أسوار العنبر بينما تنهال عليهم السياط والعصى والاحزمة الجلدية من أيدى الحراس وقصدوا بهذا اقامة حفلة استقبال للمسجونين السياسيين لارهابهم ولادخال الرعب الى قلوبهم !

وعاش الاخوان ثلاثة شهور فيما يسمونه « التكديرة » . وعملية التكدير هذه هى مزيج من ضرب السياط والتعذيب والحرمان من البطاطين والأبراش ، ومنع المصاحف ، ومنع زيارات أهالى المسجونين ، ومنع ارسال خطابات لأسرهم أو تلقى خطابات ، ومنع شراء حاجاتهم من كانتين السجن ، وعدم قبول أمانات باسمهم . .

وفى ذلك الوقت كان يمر عليهم ضابط بعريضة تحوى شكر ولاة الأمور على المعاملة الطيبة وتأييد الحكومة فى أعمالها الجليلة !

وفى أثناء عملية التكدير وقعت كارثة ، اذ تجرأ أحد الاخوان من المسجونين السياسيين وأذن لصلاة المغرب !

وقامت الدنيا وقعدت ! هذه جريمة كبرى ! هذه مخالفة للتعليمات ! هذا تحد لسلطات السجن .

وتحول السجن الى جحيم !

وكثرت الأمراض العصبية بين المسجونين السياسيين . أصيب المسجون معوض ابراهيم بانهيار عصبى . أصيب محمد الفاتح بانهيار عصبى . أصيب عبد الحليم شحاته بانهيار عصبى .

كاد يتحول عنبر المسجونين السياسيين بسجن القناطر الى مستشفى للأمراض العقلية !

وصدر الأمر بنقل ١٩ مسجونا سياسيا الى معتقل الواحات .

ثم صدر الأمر بنقل ١٠ مسجونين سياسيين آخرين الى سجن المحاريق !

وكانت جريمتهم انهم رفضوا أن يشكروا الحكومة على معاملتها الطيبة ، كما رفضوا أن يكتبوا تاييدا لها .

لأنها قتلت ٢١ منهم !

التعليمات السرية!!

سجن ليمان طرة

٥ سبتمبر سنة ١٩٦٦

ليس هناك فى الحياة أجمل من أن يشعر المسجون بأن هناك من يحبونه . ان الحب يخفف عذاب الوحدة وألم السجن . وأنا أحمد الله اننى أشعر بحب الناس . هذا الحب يملأ روحى ثقة وهناء وأملا . هذا الحب هو الشىء الوحيد الذى لا يمكنهم أن يؤمموه ، أو يضعوه تحت الحراسة ، أو يودعوه فى السجون والمعتقلات ! وأعتقد أن هذا الحب العظيم قادر على أن يفعل لنا شيئا فى المحنة التى نعيش فيها . اننى أعلم أن الصدمة تهد الجبال . ولكن ايمانى بالله يجعلنى واثقا بأننا سوف نصمد لهذه الصدمة الكبرى ، كما صمدنا لأهوال كثيرة فى الأربعة عشر شهرا الماضية . أنا أعرف ان ايمانى دخل فى امتحانات كثيرة . ولم أعد فى حاجة الى امتحان جديد ، ولكن يظهر ان الأقدار لا تصدق ان ايماننا يمكن أن يكون بهذه القوة وهذا الصمود . وجاءت لنا هذه الضربة الجديدة ، وسوف نتحملها كما احتملنا غيرها . ان الله معنا . لقد أعطانا هذا الايمان الكبير . وأعطانا حب الناس . وهو قادر على أن يعطينا الحرية ، التى نتمناها ، ونصلى لها ، ونعيش من أجلها ! وأنا لا أتصور أن الحرية لن تجىء لى وحدى . وسوف تجىء للبلد كله . سيجىء يوم تفتح فيه أبواب السجون والمعتقلات . سوف تفتح النوافذ كلها والأبواب كلها . سنخرج كلنا الى الهواء الطلق الى الحرية ! اننى لست أحلم . اننى مؤمن بأن هذا اليوم سيجىء . ومن الغريب أن يكتب هذه النبوءة محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، بعد أقل من أسبوعين من صدور الحكم . ولكن العجيب اننى أرى فى هذا الظلام الدامس شعاع الحرية ، وأسمع فى فرقعة سياط الظالمين بشير العدل يقول لنا انه قادم فى الطريق ..

الظلم الكثير يقرب ساعة الظالمين . وانا ارى حولى فى كل مكان جثث المظلومين تتكاثر وتزيد وتتضاعف ، واحس اننى ارى بشائر العدل !

شربت قهوة لذيذة امس واليوم . مضى على وقت طويل لم اذق القهوة . كنت وانا خارج السجن اشرب ١٧ فنجان قهوة فى اليوم . وكم حاول الأطباء دون جدوى اقناعي بالاقلال من شرب القهوة الى ان جئت الى هنا ، ويظهر اننى دخلت الليمان بناء على طلب الأطباء !

المسجونون هنا يسمعون اذاعة القاهرة وصوت العرب وهي تهاجمنى ليل نهار ! يقراون الصحف التى تخصص المقالات الطويلة لاثبات خيانتى . ولم يتأثر المسجونون بهذه الحملة الضارية ، بل ضاعفت من عطفهم على ، وحبهم لى ! ان مئات من الرسائل السرية تدس فى زنزانتى من مسجونين عاديين لا اعرفهم تقول لى « شد حيلك » ! و « لا يهمك » . ! « نحن لا نصدق ما يقولون عنك » « الرأى العام كله يؤمن ببراءتك » !

هذه الكلمات تهزنى من الأعماق . أحس فى وحدتى اننى لست وحدى . اسمع فى هذه الأصوات صوت بلدى !

التقيت هنا بمسجون فلسطينى من غزة اسمه سامى الخطيب . ملتهب حماسا ووطنية . تهمته أنه قتل من أجل الشرف . ذهلت وانا أراه يعرض حياته للخطر من أجلى . فعل لى أشياء مستحيلة . نظم لى طريقة غريبة للاتصال بأصدقائى وأسرتى فى الخارج أسرع من التلغراف !

كنت احمل هم لقاء أولادى وأسرتى فى داخل السلك . انها طريقة للزيارة مهينة ومذلة ومؤلمة . وكنت أخشى من اثر هذه المقابلة على اعصاب اطفالى الصغار الذين رفضت حتى الآن أن يزورونى فى السجن . ولكن أطباء مستشفى السجن أخبرونى اليوم انهم طلبوا أن تكون زيارتى فى حديقة مستشفى السجن لأن حالة الروماتيزم التى عندي تمنعنى من الوقوف . ولكن .. ليس لى حق

الزيارة قبل مرور شهرين من دخول هذا السجن . وقد مر اليوم ١٥ يوما ، أى قطعت ربع المسافة ، ولعل الله يسرع بالثلاثة الأرباع الباقية حتى يحل موعد اللقاء !

كان يضايقنى أن الأوامر تقضى بأن اقرأ خطابات أسرتى وأولادى أمام الضابط ، ولا يبقى الخطاب فى يدى أكثر من عشر دقائق . جاء أمس ضابط طيب وسمح لى أن أحتفظ بخطاب أسرتى لمدة ٢٤ ساعة كاملة . فرحت جداً وعشت طول اليوم اقرأ الخطاب عشرات المرات ومئات المرات . أمضيت الليل والخطاب بين ذراعى !

ويظهر ان « الفقى لما يسعد تيجى له سهرتان فى ليلة » فقد صرحوا لى أمس بكرسى فى زنزانتى ، وينتظر أن أتسلم هذا الكرسى اليوم . وسوف يساعدنى كثيرا . أن الجلوس على الأسفلت مؤلم . وسوف أستطيع أن أستعمل هذا الكرسى كمائدة لتناول الطعام ، ولأضع عليه السجائر وطقطوقة السجائر ، وليكون مكتبا أكتب عليه خطاباتى . . ولكن لن يجلس على الكرسى أحد من الزائرين لأنه غير مصرح لأى مسجون أو حارس أو ضابط بدخول زنزانتى! وكل يوم يحمل لى تقدما جديدا . كل يوم اكتشف ثغرة جديدة فى الحصار الدقيق المضروب على . ان الفضل للناس الطيبين من المسجونين . اننى رجل ضعيف لا حول لى ولا قوة ولا نفوذ . محكوم على بالأشغال الشاقة المؤبدة . الصحف تقول عنى اننى جاسوس وخائن لوطنى . لا أملك سوى خمسة جنيهات فى الشهر . كل ما أملك موضوع تحت الحراسة . اخبار اليوم مؤممة . ومع ذلك أجد من المسجونين — كل المسجونين — تفانيا فى خدمتى وكأننى سأخرج من السجن غدا ! اننى أكاد أطلع على كل ورقة سرية تجىء من وزارة الداخلية الى السجن . أقرأ أحيانا التعليمات السرية قبل أن يقرأها مدير الليمان والضباط ، وأعرف أولا بأول كل التقارير وكل الاشارات وكل الأخبار ! المسجونون الذين يعملون فى المكاتب يتبرعون بنقل الأخبار الى . كل واحد منهم يريد أن يساعدنى أو يخدمنى أو يخفف عنى صدمة قيود جديدة !

أكل السجن لا يطاق . فجأة وجدت طاقة تفتح فى شراعة الزنزانة ويدخل منها طبق فيه بسلة وفراخ ولحم . وعشت يومين على هذا

الطبق اللذيذ . بعد ان امضيت اسبوعين لا آكل الا السردين والجبن ! وبعد يومين انفتحت الطاقة والقى احد الزملاء كميـة من السجائر . صحيح ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولكنى رايتها وهى تمطر فراخا ولحما وسجائر ! تصورت فى اول الأمر اننى احلم . ولكن تكرر العملية وطعم الفراخ اقنعنى انها فراخ حقيقيـة وبسلة حقيقية ! وعرفت بعد ذلك أن أسرة أحد المسجونين زارته ، وانها عرفت اننى مسجون معه فى نفس العنبر فأحضرت طعـاما خاصا بى . الغريب اننى لا اعرف اسم هذا المسجون ، ولا شكله !

هذا هو الشعب المصرى .

اننى فى حاجة الى خمس عشرة خرطوشة سجائر والى معلبات خضار وعلب جبن وكلما كان حجم العلبة صغيرا انتهى فى أكلة واحدة كان ذلك يكفينى . فأنا لا اضمن استمرار تبرعات زملائى المسجونين . والمثل يقول « اذا كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله » ! لست فى حاجة الى علب سردين . ان عندى منها ما يكفينى لمدة الأشـغال الشاقة المؤبدة وهى ٢٥ سنة !! أرجو أن يتذكر اخى أن يرسـل لى أطعمة السكر ، ومربى السكر .

ملحوظة : وصل الكرسى الآن ، وقد وضعت فوقه وسـادة ، واستعملته بصفة مكتب ، وهو أحسن كثيرا من الكتابة على كرسى التواليت ! وهأنذا احتفل بافتتاح الكرسى ، واول شىء افعله عليه هو أن اكتب لك هذا الخطاب .

والى اللقـاء ..

مؤامرة الذبحة الصدرية !

سجن ليمان طره

١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٦

مضى علي فى ليمان طرة ٢١ يوما . عادة الشهر الأول فى السجن الجديد هو أصعب الشهور . كذلك كان الحال فى سجن المخابرات ، وفى السجن الحربى ، وفى سجن الاستئناف وفى سجن القناطر . لقد امضيت هذه المدة أحاول أن أكيف نفسى للحياة الجديدة التى انتقلت اليها . مما يسعدنى أن المصاعب التى صادفتنى فى أول الأمر احاول أن اتغلب عليها تدريجا . أو اتعود عليها اذا لم استطع التغلب عليها . المسائل نسبية فى الحياة . بالأمس كنت استعد ٢٤ ساعة لأطير الى أوربا وأمريكا . الآن أستعد اسبوعا للانتقال من زنزانتى الى مستشفى السجن . هذه المائة متر تحتاج الى اجراءات وتصريح دخول وجواز مرور واذن من الضابط قائد العنبر ، واذن من مدير الليمان وأذن من مدير المستشفى ، كل هذا لأمضى نصف ساعة فى المستشفى لتحليل بول السكر ! لقد اختاروا لى الشاويش ديهوم ليحرسنى . انه أكثر الحراس صرامة . يتبعنى كظلى . الويل لمن يحاول أن يقترب منى . كنت أتمشى فى حديقة العنبر ، وكان يمشى خلفى . وقال لى الشاويش ديهوم : « هيا نذهب الى التواليت » ! قلت له : ولكنى لا أريد أن اذهب الى التواليت ! قال الشاويش ديهوم : ولكنى أنا أريد أن أذهب ! قلت متعجبا : اذهب وحدك ! قال ديهوم : لا استطيع أن اذهب واتركك وحدك ! وتبعته صاغرا ، ووقفت معه الى أن أنتهى من التواليت !

ولم اعرف ماذا افعل للتخلص من الشاويش ديهوم ! وخطر ببالى أن اقنعه بأنه مريض بالذبحة الصدرية ، وأن مرضه يقتضى أن يجلس ولا يتبعنى كظلى اثناء الفسحة . واتفقت مع احد الأطباء

على أن يؤكد له أنه مريض بالذبحة الصدرية .. واضطر الشاويش دبهوم أن يجلس على كرسى وهكذا أصبحت لأول مرة أمشى فى حديقة السجن دون أن يتبعنى ، ولكن مفاجأة حدثت بعد ذلك وهو أن دبهوم ذهب الى مستشفى الجمهورية ليتأكد من الأمر ، واذا بالأطباء يجمعون فعلا على أنه مريض بالذبحة الصدرية !! كيف حدث ذلك لا أعرف ! هل عرف طبيب مستشفى الجمهورية عذابى على يد الشاويش دبهوم فاشترك فى المؤامرة ، أم أنها مصادفة .. أم ان الله اراد أن يخفف عنى البلاء الذى أنا فيه .. لا أعرف !

انتى لا أسمع هنا الا اذاعة القاهرة . شعرت برغبة فى أن أسمع اذاعات العالم لأعرف مالا يقال من اذاعة القاهرة . وجدت أن تهريب راديو صغير داخل الزنزانة مخاطرة مع التفتيش المستمر ليل نهار ! تعرفت الى المسجون زكريا عبد الستار . انه الذى يتولى عملية الاذاعة فى السجن . اتفقت معه على أن يسمع اذاعات العالم ويبلغنى شفويا كل يوم بأهم ما يسمع ! وهكذا استطعت أن أعرف ما يجرى فى العالم .

•

ببعض الصبر ، وببعض التنظيم ؛ وبفضل حب واخلاص وتعاون زملائى المسجونين سوف أنشىء « أخبار يوم » صغيرة داخل ليمان طرة ، كما فعلت فى سجن الاستئناف ثم فى سجن القناطر .

بدأت اتصالات بالمعتقل . عدد المعتقلين يزيدون كل يوم . عشرات الألوف من الشبان . موظفون . طلبة . أساتذة جامعة . عمال . كل الفئات ممثلة فى المعتقل . كل واحد منهم له قصة ديست فيها العدالة والحرية والانسانية بالأقدام !

انهم يظنون أن المعتقلات هى حصون تحمى الحاكم . أنا أراها قبورا يدفن فيها الحكام . قيل لنا أن الناس خائفون . الكل فى رعب . الأبرياء يؤخذون بالشبهات . أسر توضع تحت الحراسة بلا ذنب ولا جريرة ! أسرة فى الاسكندرية وضعت تحت الحراسة لأن ابنتها الطالبة فى كلية الطب بجامعة الاسكندرية رفضت أن تتزوج من شقيق أحد الكبراء ولهذا السبب عوقبت الأسرة : نساؤها وأطفالها ورجالها ووضعوا جميعا تحت الحراسة ! ما هى علاقة

أمن الدولة بزواج طالبة فى كلية الطب .. الغريب أن الذين يرتكبون هذه التصرفات يتصورون أن أحدا لن يجرؤ على الهمس بها . انهم كمموا كل الأفواه . نشروا الارهاب بين الجميع .. ولكن عيبهم انهم جهلاء لم يقرأوا التاريخ ولم يعرفوا أن كل هذا سوف يعرف وينشر فى يوم من الأيام !

اننى اعتقد أن نكبتنا الكبرى أن اكثر الذين يتولون أمورنا الآن جهلاء .. ان الدولة الآن اشبه بطائرة يقودها أشخاص لم يدرسوا الطيران ، ولهذا فلابد أن تقع الطائرة وتحدث كارثة ! هذه النبوءة ليست فى حاجة الى علم . انها أشبه بواحد زائد واحد يساويان اثنين ! لا أستطيع ان أحمد الله اننى لست فى الطائرة ، لأن مصر كلها فى هذه الطائرة .. وهذه هى المصيبة المنتظرة !

استلمت اليوم بذلتى الجديدة . وهى بذلة بيضاء فصلها لى كمال الأبيض ، وهو مسجون معى وترزى من الطراز الأول . وأصبح الآن عندى ثلاث بدل . البدلة الجديدة ، وبذلة زرقاء أنام فيها وبذلة سلف . وهذا عز لم أحلم به فى أى يوم منذ أن دخلت الليمان . وبعد أن كنت أحمل هم السجائر ، استطعت فى خلال هذه الأسابيع أن اقللها وأتغلب على هذه الأزمة الطاحنة . وبعد أن تصورت أن الحياة مستحيلة بخمسة جنيهات فى الشهر ، وضع الله سره فى الجنيهات الخمسة وكفتنى حتى الآن ! وبعد أن كنت أتضايق من وضع الطعام فوق كرسى التواليت وأستعمله بدل مائدة الطعام أصبح عندى كرسى خيزران فوقه وسادة . وبعد أن كنت لا أستطيع أن أشرب الماء لأن جردل الماء تقع فيه باستمرار كمية هائلة من الصراصير ، أصبح عندى أربع زمزميات بلاستيك للماء . صحيح انها كلها سلف من زملائى المسجونين معى ، ولكنى بدأت أعود نفسى على الماء الفاتر ، ولا أشرب الماء المثلج الذى كنت أحبه الا فى الأعياد والمناسبات الرسمية . وبعد أن كانت الزنزانة تغلق ٢٣ ساعة كل يوم ، أصبحت تفتح ساعتين فى النهار . وبعد أن كنت أشكو من اننى لا أجد شيئا أقرؤه فوجئت بتلاميذى يهربون لى التايمز والأوبزيرفر والديلى تلجراف وتايم ونيوزويك والصانداى تيمس والصياد والأسبوع العربى وآخر ساعة .

وقيل لى اننى ما دمت احمل ماجستير فى العلوم السياسية من أمريكا فمعنى ذلك اننى احمل شهادة عليا ، والذين يحملون شهادة عليا نص لائحة السجون على أن يوضعوا فى الدرجة الأولى . وهى عادة تمنح أوتوماتيكا للحاصل على شهادة عليا ، وميزتها أن أصرف عشرة جنيهات فى الشهر بدلا من خمسة جنيهات .. وارسل مدير الليمان يستأذن مدير مصلحة السجون . وارسل مدير مصلحة السجون يستأذن وزير الداخلية . وأرسل وزير الداخلية يستأذن رئيس الوزراء ، وارسل رئيس الوزراء يستأذن رئيس الجمهورية . كل ذلك من اجل زيادة المبلغ من خمسة جنيهات فى الشهر الى عشرة جنيهات فى الشهر !

ولا استبعد ان يدور الورق حول الكرة الأرضية قبل أن يعود الى الليمان ، بل لا استبعد أن يفتى أحد المستشارين فى رياسة الجمهورية بأن شهادة ماجستير من جامعة فى أمريكا تساوى شهادة الاعدادية فى مصر !

وقيل لى ايضا أن نومى على سرير ومرتبة هو قرار مؤقت . أصدره مدير المستشفى لمرضى وننفذه مدير الليمان على مسئوليته حتى يصل الاذن من الجهات العليا بأن أنام على السرير ، ولا فسوف أنام على البلاط ! ولهذا لم أطلب منكم أن تحضروا لى فى الزيارة ملاءة بيضاء . وكيسا للوسادة بعرض سرير مستشفى ، لأننى لا أعرف هل سابقى نائما على السرير والمرتبة أم انتقل الى البلاط الملكى !

وكذلك التصريح بالصحف والمجلات لم يصل بعد . أنا اقرأ الصحف « سرقة » ! واذا جاء التفتيش فجأة القيت بها من النافذة !

وهم يقولون أن التعليمات لن تتأخر كثيرا ، ولكن يبدو أن ولاة الامور مشغولون بالمسائل الكبيرة ولا وقت عندهم للمسائل الصغيرة .

نسيت أن أخبركم اننى استدعيت للمثول فى يوم ٩ أكتوبر أمام محكمة الجنايات فى قضية مرفوعة على بصفتى رئيسا لتحرير

أخبار اليوم . فرحت بتقديمى الى محكمة الجنايات فهذه فرصة لأرى الدنيا ! وهم عادة يسمحون لأقارب المسجون بأن يقابلوه قبل الجلسة وبعدها ، ويستطيع الأهل أن يعطوا المسجون سجائر ، وممكن أن تحضروا بعض الساندويتشات فقد تستمر الجلسة الى ما بعد الغداء . وهناك نظام بأن ينقل المسجون من الليمان الى سجن الاستئناف قبل الجلسة بيوم . ويبيت فى سجن الاستئناف ليلة أو ليلتين . لا أعرف هل سيتبعون معى هذا النظام ، أم سينقلوننى من ليمان طره الى جلسة محكمة الجنايات مباشرة .

وفى بعض الأحيان أفكر : ما ذنب الذين أحبهم فى كل هذا الشقاء ؟ لقد وعدت أحبائى وأصدقائى وتلاميذى بالنعيم وأعطيتهم الجحيم . وعدتهم برحلات بين عواصم العالم وأعطيتهم زيارات لمختلف السجون! وعدتهم بالهناء وأعطيتهم الحرمان . وعدتهم بصحافة مثل ناطحات السحاب ، وتركتها لهم أكواخا وخرائب وقبور !!

أما أنا فلم أفقد شيئا كثيرا . شاء الله أن يعطينى حب الناس ليعوضنى عن كل ما فقدت ، ولست أعرف ماذا تكون حياتى من غير هذا الحب . ان الله قبل أن يقضى بالداء يدبر الدواء . وقبل أن يسمح لليد التى طعنتنى أن تحمل السكين ، خلق الأيدى التى تكون البلسم للجراح !

لو وقفت وحدى فى هذه الدنيا ، فلن أشعر بالوحدة . لأننى أحس بأن الناس بجانبى . لن أقع وهم الى جوارى . لن أسقط وأنا مستند اليهم . لن أشعر باليأس والألم ، وأنا أشعر أن حبهم يحول ضعفى الى قوة . أنا لم أتصور أن حب الناس يستطيع أن يفعل كل هذا فى رجل محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

اننى عشت حياتى كلها أعتمد على نفسى . ولكنى الآن أشعر أننى أعتمد على الناس جميعا . الضعفاء لا الأقوياء . المظلومين لا الظالمين . المسحوقين لا أصحاب النفوذ والسلطان لهذا يهمنى أن تكون أعصاب الذين يحبوننى قوية . مما يسعدنى أن أجدهم صامدين . يعاندون الأحداث التى كان يجب أن تحطمنا جميعا . ولكننا لن نتحطم . سوف نقاوم .

ان الذى صمدنا له حتى الآن هو شيء لا يتصوره العقـل . كأن مطارق الدنيا كلها هوت فوق رؤوسنا ، تحاول أن تحطمها وتدكها ، ولكننا صمدنا لها ، وكأن المطارق هى التى تتحطم .. أما نحن فنزداد صـمودا .

اطمئنى على ! ان راسى ناشف ! ان المطارق لن تحطم رأسى ! رأسى سوف يحطم المطارق !



في ظل المشنقة !
التقطت هذه الصورة وأنا أسمع المدعي يطلب
من محكمة الدجوى الحكم على بالاعدام !

دولة الظلام ساعة !

سجن ليمان طره

١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٦

فرحت جدا عندما علمت ان الكولونيا غير ممنوعة فى اللبمان ! ان الأطباء نصحونى بأن امسح جلدى يوميا بالكولونيا بسبب كثرة البق والبراغيث والجرب ! وقد كانت الكولونيا ممنوعة فى سجن الاستئناف خشية أن يشربها المسجونون بدلا من الخمر !

لا أعرف ماذا يمكن أن تحضروه لى من طعام اثناء الزيارة ! كل ما يهمنى هو السجائر ! منذ أن عذبونى فى سجن المخابرات بمنع السجائر أو التحكم فى عدد السجائر التى اشربها اصبحت السجائر عندي عقدة . اخاف أن يجيء اليوم الذى لا اجد فيه سيجارة ادخنها ! السيجارة هنا مهمة . انها العملة الصعبة . التعامل المعترف به هو السجائر . انهم لا يقولون ان هذا الأمر يكلفك كذا قرشا ، بل يقولون لك انه يكلفك كذا علبة سجائر ! الماركات لا اهمية لها . سيجارة الكنت هنا مثل سيجارة البلمونت تماما ! قيل لى انه من الممكن أن تحضروا فى الزيارة أى عدد من السجائر . اننى استطعت أن ادبر لنفسى سجائر الشهر الأول . ولكنى أحمل هم سجائر الشهر الثانى . أعتقد أن الله مد يده الى فى الشهر الأول وهو اصعب الشهور ، ولهذا أتوقع انه لن يدم . والمفتش يقترح اللغى !

كنت احمل هم خبز السجن . مرض السكر جعلنى لا آكل الا الخبز الخاص بالسكر . وأنا لا أجده هنا . أمرى لله . اننى آكل العيش البلدى . انه يصل الى من الفرن ساخنا ، وهو لذيذ جدا ولكنه مضر جدا بمرضى السكر ! وآكل البيض المقلى بالزيت . هذه أول مرة فى حياتى آكل البيض بالزيت . كانوا يبيعون هنا الزبد فى ثلاجة الكانتين ، ولكن تعطلت الثلاجة قبل حضورى فالغوا بيع الزبد ! ان اصلاح

ثلاجة فى عالم الحرية مسألة بسيطة . ولكنها مسألة عويصة فى عالم القيود والسدود ! يجب اخطار المصلحة . والمصلحة ترسل مفتشا . والمفتش يقترح تأليف لجنة . ويصدر قرار بتأليف لجنة . وتجتمع اللجنة . وتطلب اللجنة بدل انتقال للوصول الى ليمان طره . وتنتقل اللجنة الى الليمان . وتقرر أن الثلاجة معطلة ! وهنا يصدر قرار بعمل تحقيق حول المسئول عن تعطيل الثلاجة . وهنا يقع الاختيار على مسجون فدائى يعترف بأنه المسئول عن تعطيل الثلاجة . فيتقرر اصلاحها على حسابه وتقسيط المبلغ من أجر المسجون اليومى وهو قرشان صاغ كل يوم ! ومعنى ذلك انه يجب أن يكون المسجون محكوما عليه بالسجن المؤبد حتى يستطيع أن يسدد ثمن اصلاح الثلاجة !

اننى أحب أن اذكر لكم ما يباع فى كانتين السجن . عندنا معلبات فيها لربى البرتقال والبلح والمشمش . وعندنا لحم بقرى فى المعلبات « لانشون » من صنع يوغوسلافيا وعندنا جبن ناستو . مشكلتى ان الجنيهات الخمسة لا تكفينى للطعام أو السجاير . اما أن أتوقف عن الأكل أو أتوقف عن التدخين . لموازنة الميزانية . أسهل أن أمتنع عن الأكل . اننى أمقت الاستعباد . ولكنى أشعر أن السيجارة تستعبدنى . ولم أشعر بذل هذا الاستعباد كما شعرت به وانا فى سجن المخابرات أو السجن الحربى !

هرب لى أصدقائى مظروفا كبيرا فيه مجلة الاذاعة وروز اليوسف والمختار والهلال . ختم البريد يوم ٥ سبتمبر . استغرق وصول المظروف من الزمالك الى طره ستة أيام . لو كان اسمى على المظروف لوصل فى ستة أشهر ! تأخير البريد لا يهمنى . الذى يهمنى أن أجد ما اقرأ باستمرار .

أخبار المعتقلات والمعتقلين تهرب الى باستمرار . كل يوم اعتقالات جديدة . ضاقت المعتقلات فصدر أمر بانشاء معتقلات جديدة . أغلب المعتقلين لا يعرفون لماذا اعتقلوا ! لم توجه اليهم تهمة . لم يوجه اليهم سؤال ! . المتهم مجرم حتى لو ثبتت براءته . كانت القاعدة فى البلاد الديمقراطية المتهم برىء حتى تثبت ادانته . الذين تحكم عليهم المحاكم الاستثنائية بالبراءة لا يفرج عنهم . ينقلون من سجن الى سجن . كل ما يحدث لهم أن ينقلوا من قائمة المسجونين الى

قائمة المعتقلين ، وهم دائما فى سجن ، والمعاملة واحدة ، والقيود واحدة . الذى أدهش له أن الذين وضعوا ميثاق الأمم المتحدة وحقوق الانسان لم يسرعوا على تأليف لجان تزور الدول وتبحث عن المسجونين الذين لم توجه لهم تهمة ، أو الذين لم يحاكموا أمام محكمة عادية ، أو الذين حرموا من ابسط قواعد القانون ، وتقدم الدولة التى داست على مبادىء العدالة الى محكمة العدل الدولية . ولقد علمت ان الدول الدكتاتورية عارضت فى ادراج مثل هذا النص فى قانون حقوق الانسان واعتبرته تدخلا فى الشئون الداخلية .

ان الطريق لمنع قيام طغاة ومستبدين وجزارين فى بلاد العالم هو تأليف محكمة عالمية لمحاكمتهم . لا فرق بين الدكتاتور وقاطع الطريق ، كل واحد منهم يعتدى على العدالة .. لو عرف الحكام انه توجد محكمة دولية سوف تحاسبهم على طغيانهم ، لما جرؤ كثير منهم على اقتراف ما ارتكبوه من مظالم !

اننى الاحظ اننا دون ان ندرى نسير فى طريق ستالين . تأليه الفرد . الغاء الحريات . امتهان العدالة . الاعتقالات بالجملة . اتهام من نختلف معهم فى الرأى بأنهم جواسيس! ان خلفاء ستالين عندما ارادوا ان يتخلصوا من الزعيم بزيا وزير الداخلية قبضوا عليه واعدموه ، واذاعوا بعد اعدامه أنه حوكم واعترف بأنه جاسوس لأمريكا ! كذلك فعل هتلر مع بعض خصومه . اننا نمشى معصوبى الأعين فى طريق الطغيان . ولا يعرف الجهلاء الذين يطبلون ويزمرون لطريق « القوة » ان هذا الطريق يؤدى دائما الى الهاوية . ننسى أنهم اخرجوا جثة ستالين من قبره ولعنوه أمام التاريخ !

ان الضغط والارهاب والمحاكمات الاستثنائية والمعتقلات ليست طريق الأقوياء . إنها قصة سوء استعمال السلطة فى كل زمان ومكان . انها لعنة أصابت العالم الثالث عندما تصور أن طريق الاستبداد هو اقصر طريق بعد الاستقلال . عندما تصور بعض الزعماء أن الحرية هى حريتهم هم ، وليست حرية الشعب . وانه مباح للزعيم الوطنى أن يفعل ما يشاء بالشعب ما دام حرره من الاحتلال الأجنبى . وكأنه محكوم على كل شعب أن يضرب بكرباج الحاكم الأجنبى ، فاذا انتزع الكرباج من يد الأجنبى ، أمسك به الحاكم الوطنى ليلهب به ظهور الشعب . كأنه حكم علينا أن نضرب

بايدى اعدائنا وبايدينا . وان نتخلص من قفص كبير يضمنا جميعا ، لنوضع فى اقفاص صغيرة تضم كل واحد منا على انفراد !

ان معسكرات الاعتقال والسجون التى انشأناها فى العالم الثالث اكبر من المصانع التى انشأناها ! لا اجد الا بلادا تعد على أصابع اليد فى أفريقيا وآسيا تتمتع شعوبها بحرية حقيقية . وسوف يستمر مد الاستبداد الى أن تحدث كوارث فى بلاد كثيرة اختارت النظام الديكتاتورى ، وبعد ذلك يبدأ المد الديموقراطى من جديد !

ومصر لن يتغير حالها بثورة ، وانما سوف يتغير حالها بكارثة !! وكثيرا ما نبهت الى هذه الحقيقة ، وكثيرا ما حذرت من أن الطريق الديكتاتورى يؤدى الى انتصارات وقتية ، والى هزائم دائمة ، وحتى الآن لم تصدق ببوءتى ! وقيل لى اننى افكر بعقلية قديمة ! وان الموضة الآن هى الديكتاتورية !

فى مساء الجمعة ٩ سبتمبر امضيت الليلة معك . أتحدث اليك . اناجيك . اعيش ذكرياتنا الجميلة معا . عشت فى تلك الذكريات الحلوة وقتا رائعا ، استعدت احاديثنا معا ساعة بساعة . سمعت صوتك . احسست كاننا لا نزال نعيش فى أحلامنا الحلوة . أسعدتنى هذه الساعات . كان السجن صامتا . الاذاعة توقفت . النور اطفىء . ولكن حبك يتكلم ، ويضىء كل حياتى فى هذا الظلام الدامس .

احب أن تعلمى أننى جزء من هذا البلد . الذى أصابنى أصاب البلد كله . كل ما هناك اننى كنت فى الصف الأول فاصبت برصاصة . لن ينجو احد . كلنا سنصاب ، لأننا كلنا ضحايا . نحن ندفع ثمن غفلتنا . اننا لم نعرف كيف نحافظ على حرياتنا ، لو ان كل واحد منا غضب للظلم الذى أصاب جاره لما امتدت النار الى بيوتنا . اننى اتوقع أياما تعيسة لهذا البلد . اتوقع ظلما اكبر . ان الظالم لا يشبع من الظلم . انه يفتح شهية الظالم لظلم اكبر !

ومع ذلك فمازلت أؤمن بأن دولة الظلم ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة ! هناك مثل صينى يقول :

« اجلس على حافة النهر . وسيجىء التيار يحمل لك جثة عدوك ! » . وانا الآن جالس على حافة النهر .. ولكن فى زنزانة !

المعاملة الخاصة!

ليمــان طــره

اكتوبر سنة ١٩٦٦

أخي العــزيز

اننى لم أكتب لك منذ وقت طويل . كأنها أجيال من التاريخ . نحن الذين كان لقاؤنا اليومى أهم لذات حياتنا . ولكن ما باليد حيلة .. عزائى هذه الرسالة الروحية التى نتبادلها كل يوم وكل لحظه . وهى رسائل تقلقنى حينا ، وتطمئننى حينا . وكنت على ثقة من ان اخبارى تصل اليك . ولكنى شعرت بأنك تريد خطابا بخطى !

ان الحكم لم يكن مفاجأة لى . جاءنى من احد تلاميذى نص الحكم قبل صدوره بأيام . وعندما اخبرت زملائى المسجونين بالحكم نزل عليهم الخبر كالصاعقة . كانوا جميعا يتصورون ان الحكم هــو البراءة ، وكانوا قد قرأوا القضية ، وكانوا يراهنوننى على البراءة !

ولهذا عندما صدر الحكم بعد ذلك بيومين لم اهتز . وسمعته وانا ابتسم . وكنت اضحك بعد سماعى الحكم . وعلمت ان ولاة الامور اصدروا أمرا للصحف بالا ينشروا صورى وانا ابتسم ! وقد تعبت الصحف فى أن تحصل لى على صورة مكشرا . وكانوا التقطوا فيلما ظهرت فيه وانا اضحك بعد الحكم ، فصدر أمر بمنع عرض الفيلم فى التليفزيون ! والصورة التى نشرت فى الأهرام هى صورتى وانا أعلق على الحكم ، وأقول اننى برىء ، واننى أعطيت وطنى فكرى وقلمى وحياتى ، ويسعدنى ان أقدم له حريتى ، واننى مؤمن بأن التاريخ سيحكم ببراءتى .

وكنت اضحك مع المصورين ، واقول لهم بعد الحكم « صوروا كويس » ! واشجعهم على ان يلتقطوا صورا جية !

واعدت مكبلا بالحديد الى سجن الاستئناف . وهناك خلعت ملابسى العادية والبسونى بدلة السجن الزرقاء .. كانت البدلة ضيقة جدا فبدوت فيها فى غصن البان . سحبوا السرير الذى كنت انام عليه وقالوا ان التعليمات أن انام على الأرض . ولكن طبيب السجن صرح لى بمرتبة لمدة اسبوع بسبب حالتى المرضية . كان السجن فى مأتم . المسجونون يتبادلون العزاء . كل واحد منهم يشعر بأن الحكم صدر عليه هو . وكنت أنا الذى اعزيهم ، واطيب خاطرهم ، وارفع روحهم المعنوية !!

وفى الصباح المبكر جاء الضابط نجاتى قائد كتيبة حرس طره ليصحبنى من سجن الاستئناف الى ليمان طره . ولم أكن تناولت افطارى بعد . فرفض أن ينتظر حتى أتناول افطارى ! وحمل الحرس حقائبى ووضعوها فى السيارة البوكسفورد التى ستستقلها ، واذا به يأمر بانزال حقائبى ، ويصدر امرا بأن أذهب كما انا ، بلا غيارات داخلية ولا سجائر ولا أدوية ولا حتى منديل ! ثم نزع ساعتى . ثم فتشنى تفتيشا ذاتيا فوجد مصحفا ، وفى داخله مذكرة طبيب سجن الاستئناف بتصريح لمدة اسبوع لمرضى . فرفض ان أصحب التصريح معى . ورفض أن أحمل المصحف . ثم وضع القيد الحديدى فى يدى . واذا بالقيد ضيق يكاد يكسر معصمى . وبحث عن قيود أخرى فلم يجد . أو على الأصح ادعى ضباط سجن الاستئناف ان ليس عندهم قيود . وعثر على قيود من التى توضع فى الاقدام ، ووضعها فى يدى . وكان كل من فى سجن الاستئناف من ضباط وجنود ومسجونين فى دهشة وذهول من هذه المعاملة التى ليس لها مثيل .. وهمس فى أذنى أحد الضباط : أعذره ! انه يريد أن يترقى على حسابك !

وتركته .. يترقى !!

ثم صحبنى فى البوكسفورد الى ليمان طره . وكانت هذه ثانى مرة ادخل فيها ليمان طره . كانت المرة الأولى قبل القبض على بشهور . عندما ذهبت لالقاء محاضرة بدعوة من وزير الداخلية ! يومها فرشوا لى الأرض بالرمل الاحمر . ووقف مدير مصلحة السجون ومدير الليمان وكبار الضباط فى استقبال امبراطورى ! واقاموا لى سرادقا فخما تكلف ٢٠٠ جنية وعرفت فيما بعد أنهم أخذوه من طعام المسجونين !

والمرة الثانية عندما دخلت مكبلا بالحديد ، ووضعونى فى زنزانة الايراد وهى مخصصة لمعاقبة المسجونين الذين يخالفون النظام . الزنزانة بلا نوافذ . كأنها جب . جلست على الأرض بلا سجائر ولا أدوية ولا طعام جاء طبيب السجن وكشف على وقال ان حالتى الصحية سيئة ويجب نقلى الى مستشفى السجن فورا . ولكنهم رفضوا هذا الأمر وارسلوا طبيبا ثانيا ليكشف على وقال الطبيب الثانى بعد الكشف على كشفا دقيقا أن حالتى تستوجب نقلى الى المستشفى فى الحال . ورفضوا قرار الطبيب الثانى وأوفدوا طبيبا ثالثا اصر بدوره على نقلى الى المستشفى ورفضوا رأيه هو الآخر ، وارسلوا لى لجنة طبية من ثلاثة اطباء قرروا نقلى فورا ! ولكن أمرهم هذا لم ينفذ أيضا .

فى الساعة الثالثة صباحا شعرت بألم لا يطاق فى عمودى الفقرى . لم أستطع ان اجلس ولا أن أرقد . وبقى هذا الألم فى ظهرى أربعة أسابيع . ووقفت طول الوقت فى الزنزانة على قدمى . وفى الساعة الرابعة تصادف أن كان يمر الأميرالاى عبد الله عمارة مدير الليمان . ونظر من ثقب الزنزانة فوجدنى واقفا على قدمى . فأمر بفتح الزنزانة . فسألنى لماذا لا اجلس او ارقد ؟ قلت اننى لا استطيع وان الأسفلت سبب لى آلاما شديدة فى العمود الفقرى ، فأمر بادخال كرسى الى الزنزانة أجلس عليه . وجلست على الكرسى حتى الصباح .

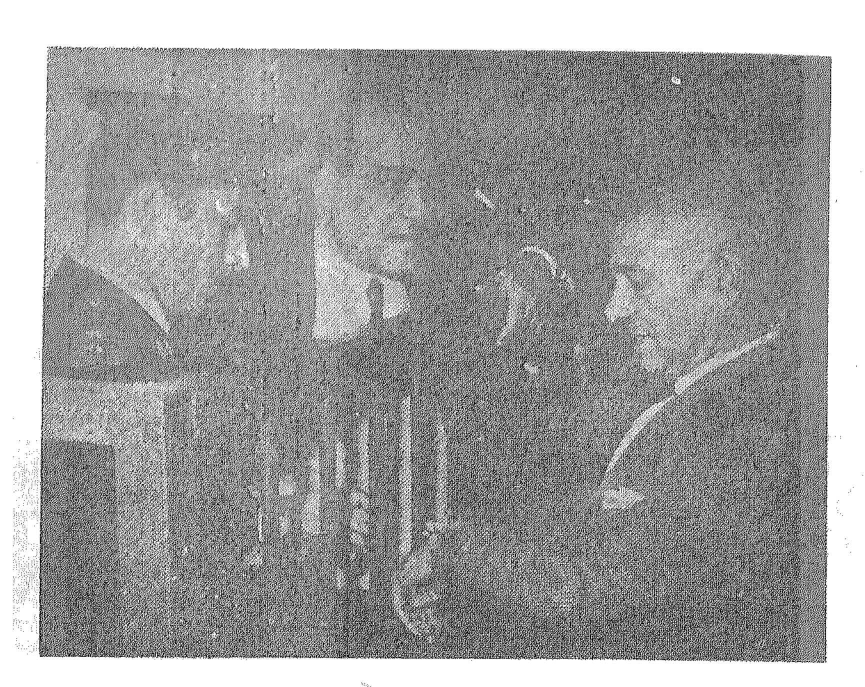
ان المسجونين السياسيين فى دهشة من اصرار الحكومة على نقلى الى الليمان فى اليوم التالى للحكم . عادة لا ينقلون المحكوم عليه الا بعد أربعة أسابيع أو خمسة ثم أنهم سمحوا لجميع المسجونين السياسيين باحضار ملابسهم واطعمتهم وأدويتهم .. ولكن أنا الوحيد الذى نلت امتياز هذه المعاملة السيئة !

الطعام الذى يقدم الى فى السجن لا تأكله الكلاب ! ولكن الله لم يتخل عنى . فى كل يوم تمتد يد مجهولة تحمل لى طعاما . ولهذا لم أمت من الجوع . أحد المسجونين خلع بدلته البيضاء واقرضها لى وبقى هو ببدلة زرقاء . مسجون ثان يصنع لى قهوة مصرية مدهشة . مسجون ثالث كان يحضر لى الصحف المنوعة . مسجون

رابع أرسل لى كمية من السجائر . وكثيرون غيرهم يعرضون انفسهم للعقاب ويخاطرون ويغامرون . كان أعجب ما هناك اننى لم اكن أعرف من اين جاءت هذه الأشياء . كأن الأرض انشقت وخرج منها هؤلاء الذين يقدمون لى كل ما أحتاج اليه .

سبق ان طلبت منك معلبات لأطعمة السكر . وعدنى سعيد فريحة ان يرسل لى معلبات .

امس اكلت ربع فرخة من فاروق عبد القادر المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد . اليوم اكلت ربع فرخة أيضا من لبيب منولى . المحكوم عليه ظلما فى قضية الاستيراد أيضا ! ان الله يفرجها من حيث لا تنتظر طلبت من أسرتى أن تحضر لى ملابس فى الزيارة فى كيس كبير من التروكلين ، كما أوصانى زملائى المسجونون . أخذت الكيس وأعطيته لخياط السجن لعمل بذلة . علم مدير السجن بذلك ، فأمر بعد تسليم هذه البيجاما لأنها مصنوعة من الحرير ، والأوامر أن ارتدى الدمور ! ولكن كثيرين من المسجونين يرتدون التروكلين . نعم هؤلاء مسجونون عاديون قتلة او سفاحون أو تجار مخدرات مسموح لهم بارتداء التروكلين .. أما أنت فمسجون سياسى لا ترتدى الا الدمور !



حماده الناحل : ان الدجوى يقول انه
سيعطى لكل محام عشر دقائق للدفاع !

سجن ليمان طره

عزيزتي

لا اعرف هل ستلحقك هذه الرسالة قبل الزيارة أم لا .. ولكنني أردت أن أسجل فيها بأسرع ما يمكن الأشياء التى ارجو احضارها فى الزيارة ، وهي ترموس للثلج ، ومقص للأظافر ، وكوز بلاستيك ، وكمترايه للنور ، وملاسة لقلى البيض ، وشوكة ، والقلم الحبر ! عجيب أن يكون آخر ما أطلبه هو القلم الحبر . مع اننى أحتاج الى هذا القلم قبل الطعام والملابس ! ذلك اننى اخشى الا تستطيعي تهريبه اثناء الزيارة . اننى اكتب منذ أن دخلت الليمان بقلم سلف ! أول مرة فى حياتى أعيش على السلف . انه ذل ما بعده ذل . ولكنى مضطر فى الشهور الأولى من دخول السجن أن اقترض من زملائي المسجونين كل شيء . ان القاعدة فى السجن انه عندما يأتى مسجون جديد أن يهب زملاؤه لنجدته ، هذا يقرضه صابونة ! وآخر يقرضه علبة سجائر وثالث يقرضه فوطة ورابع يقرضه بذلة . وذلك حتى يدبر نفسه مع مرور الأيام . وأنا مدين لعشرات المسجونين . انهم فقراء وكرماء . محرومون من أبسط ضرورات الحياة ومع ذلك يغمروننى بفيض من الحب والحنان . اننى فى دهشة من أن خطاباتى لا تصلكم ! بدأ الفأر يلعب فى عبى . ولكني أؤمن باخلاص الذين يهربون لى الخطابات . لابد أنهم يحتاطون لأنفسهم ويتخذون تدابير أمن لكيلا ينكشف أمرهم . أرجو أن أحصل فى الزيارة على احصاء بعدد الخطابات التى وصلت لكم . أنا أعرف انه اذا لم تلحقك هذه الرسالة فسوف تحضرين الأشياء التى طلبتها الآن مع ذلك ! تعودني قلبك أن يشعر بما أريد قبل أن ينطق به لساني . لقد نسيت أن أشكرك على طبق الباذنجان المسقعة الذى أحضرته فى الزيارة الأخيرة . ما ألذ المسقعة بعد أسبوعين من الفول المدمس !

الغريب إننى لم اطلب المصقعة . فوجئت بها لأنك تقرئين افكارى باستمرار عجيب . ونسيت أن اشكرك على السجائر البلمونت التى كنت فى حاجة اليها فعلا . ان لاسلكى القلوب بين قلبك وقلبى يحيرنى . اننى لا اكاد افكر فى شىء أطلبه منك حتى اجده امامى . كأننى أدعك خاتم سليمان . اننى اشعر كل يوم بأن أحبائى وأصدقائى وتلاميذى وقرائى بجانبى . فى كل يوم يزدادون قربا منى . وكلما تصورت أن الارهاب والظروف القاسية والبطش ستمزق هـذه الروابط الحلوة ، افاجأ بأن اهتمامهم بي وعطفهم على يزداد ويتضاعف . لقد لاحظت قبل أن أدخل السجن أن الفراعنة الصغار كانوا يطـاردون الصداقة والمروءة والشهامة والوفاء والحب باعتبارها من اعـداء الثورة واعداء الاشتراكية وأعداء النظام ! كانوا يرون خطرا عليهم فى كل علاقة حلوة أو زمالة جميلة او صداقة متينة . كانوا يتوهمون ان لا حياة لهم الا فى جو من الحقد والكراهية والغدر . واذا كانوا نجحوا فى اقتلاع كل الأشجار ، فانهم لم يصلوا الى الجذور . الذى أراه فى محنتى أنه ما يزال فى البلد صداقة ومروءة وشهامة ووفاء وحب .. كل ما حدث أن الناس يفعلون ذلك سرا ، لأنهم يعرفون أنهم يرتكبون جريمة !

ان حرمانى من الحرية طوال هذه المدة لا يساوى حرمانى من حب الناس . اننى أفضل ان أفقد حريتى ولا أفقد هذا الحب . واذا كان القدر سلبنى حريتى ، فانه أبقى حب الناس لى ، برغم كل حملات التشهير والكذب والافتراء ضدى . وهذا شىء احمـد الله عليه واشكره وأقدره . ان خمسة عشر يوما كثيرا ما غيرت الناس . ولكن هذه الخمسة عشر شهرا القاسية المريرة لم تغيِّرهم . بل على العكس ربطتنا أكثر . وملأت قلوبنا بالحب والايمان أكثر وأكثر . وأنا لم اشعر بكل هذا الحب وأنا خارج السجن . وكان لابد من قارعة حتى يخرج من قلوب الناس ما أخفوه من فضائل ! أنا أعذر الخائفين فى دنيا الرعب . أعذر الذين شتمونى لأننى أعرف أنهم اما أن يجرحونى أو أن يموتوا من الجوع . واننى أفضل ان يسيلوا دمى بأقلامهم على ان يموتوا هم وأولادهم من الجوع . أنا لا ألوم الذى شتمنى . وانما ألوم الذى أصدر الأمر لهم بأن يشتمونى ويلعنونى وهو يعلم بأننى برىء !

اخشى ان يرفتوا مدير الليمان . لقد سمح لى بالتفرج على التليفزيون مرتين . من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الخامسة شاهدت مباراة الترسانة والطيران . وفى المساء تفرجت على مباراة الزمالك والاسماعيلى . وبعد ذلك على فصل من مسرحية الريحانى . ولأول مرة منذ ١٥ شهرا سهرت خارج الزنزانة الى منتصف الليل . وقد كان هذا شيئا غريبا ومثيرا بالنسبة لى . ان ابواب الزنزانة كانت تغلق ٢٢ ساعة كل يوم ! ماذا حدث ؟ هل هى اوامر جديدة بتخفيض القيود ؟ من الذى اصدرها ؟ لا يمكن ان تكون اوامر « من فوق » ! انا أعرف أن الأوامر القاسية بتشديد المعاملة تجىء عادة من فوق ! قال لى احد الضباط أن المدير اخذ هذا التصرف على مسئوليته بعد ان قال اطباء السجن بأن صحتى فى انهيار نتيجة اغلاق باب الزنزانة ٢٢ ساعة كل يوم ! آه لو عرف ولاة الأمور ان مدير الليمان شجاع ! المعروف أن الجبن هو سيد الأخلاق فى هذه الأيام ، والرجل الشجاع لا مكان له فى الطابور . ربنا يستر حتى لا يعلم ولاة الأمور بأننى تفرجت على التليفزيون مرتين فى يوم واحد ، واننى عوملت نفس معاملة القتلة واللصوص وتجار المخدرات !

لم يؤثر السجن لمدة خمسة عشر شهرا على ايمانى بالمستقبل . ان ايمانى صمد للأيام وسوف يهزم السنين . فات من الحكم سنة وربع .. باق ٢٣ سنة وثلاثة ارباع السنة ! بسيطة ! سوف أقاوم. سوف انتصر على الأزمات . لن أضيع فى الأحداث . لن يتطرق اليأس الى قلبى . لن يحطمنى القلق . على العكس سوف احطم القلق واليأس . اننى اقاوم كل هذا بالايمان . لا اتصور أن الأيام المقبلة سوف تكون اسوأ من الأيام الماضية . اننى اشعر بأننى شيدت عمارة ايمانى طوبة طوبة . وقد أصبحت الآن قلعة صامدة تتحطم عليها السهام ، وتتكسر الضربات . اننى اليوم اعيش فى زنزانة ضيقة . ايمانى بالله يجعلنى أرى الزنزانة تكبر وتتسع حتى تصبح قصرا من قصور الف ليلة . ان الزنزانة تتحول الى قصر لأن الله يقيم معى فيها ! اننى أعيش فى قصور الايام القادمة . أيام حرية . أيام ربيع دائم . لا رعد فيهولا عواصف . انا لا اعيش فى ضباب الوهم ، ولا اتوه فى ظلال التمنيات . ان ايمانى يضىء لى الطريق بالنور . المؤمن فى داخلى يرى ضوء الفجر . يكاد يلمسه بأصابعه .

اننى أشبه بحفنة من الرمال ترقب الريح لتحملها الى فوق ، لتنطلق بها الى أبعاد جديدة من الحرية . اننى لا أشعر اننى أتخبط . انى أسمع صوتا فى أعماقى يؤكد أن هذا الحال الذى يعيش فيه البلد لن يدوم . انه ضد المنطق . ضد الحسابات العلمية . قد يستمر شهورا أخرى . أو بضع سنوات . ولكن لن يستمر الى الابد والذين حكموا على بالأشغال الشاقة « المؤبدة » سيأخذون لا يعرفون أن الأبد لا يملكه الا الله . لا يعرفون أن الحكم المطلق أشبه ببيت من ورق اللعب . لا تكاد تهب عليه الريح حتى ينهار ! اى انسان يعرف الف باء السياسة سوف يصل الى نتيجة مؤكدة بأن هذا الحال لا يمكن ان يستمر . مما يؤسف له أن المتعلمين لا يشتغلون الآن بالسياسة . انهم اما فى السجون . أو على الرف . أو ينتظرون قرارات بوضعهم فى السجون !

اننى مؤمن بأن هذا الشعب لا يمكن أن يدفن فى زنزانة . سيجىء اليوم الذى تحطم فيه السلاسل والقضبان وتفتح أبواب السجون والمعتقلات . هذا الايمان يسعدنى ، ويخفف عذاب الحرمان من الحرية ، ويجعل الصبر جبارا عملاقا ، يدوس فى طريقه اقسزام اليأس والقنوط . ان أحلامى للحرية لا حد لها . انها تكبر مع الضربات التى تنهال فوق رأسى ولا تتناقص ولا تنكمش . ان الغد مشرق . أخاذ متجدد . مريح وهنىء . مفروش بالورد الجميل . لا غيوم ولا برق . كأنه يقظة حلوة بعد كابوس مخيف . ان احلام الحرية ترقص أمامى من بعيد . اننى أسمع اقتراب اقدامها . ان صوت دبيبها يتجاوب مع خفقات قلبى . ان مرارة الواقع لا تنسى حلاوة الغد . كل يوم يجىء يقربنى من الحرية ولا يبعدنى عن الاستبداد . لا أرى شعب بلدى أبدا فى سلاسل دائمة . اننى أتوقع أن يجىء يوم يزف فيه الى الحرية . زفاف دائم وفرحة لا تنتهى . ان عقلى هو الحصان الذى أركبه حوافره لا تسعفنى ، وايمانى يجعل له أجنحة، يطير بها الى الحرية ! ان الذى بينى وبين حرية شعبنا هو وثيقة غير مكتوبة ، ولكنها أبقى على الأيام من كل ورق مكتوب . وثيقة حارة ، لا تبرد أبدا . لا يجف حبرها . لا تموت كلماتها . حروفها تنطق وتغنى وتصلى . وتملأ حياتى الباردة داخل الزنزانة ، دفئا وثقة وتصميما وأملا .

ان كل شيء حولى منكم . يحمل لمساتكم . فيه رائحتكم . يحدثنى عنكم ويذكرنى بكم . حتى الكوب الذى أشرب فيه . السيجاره التى ادخنها . ملاءه السرير التى انام عليها . الفوطة التى أمسح بهــا وجهى . حتى ورق البواليت ! اننى القاكم فى كل جريده اقرؤها . فى كل كتاب أمسك به . فى كل طعام اذوقه . انفاسكم معى فى كل شيء . معى فى الزنزانه . فى الطابور . فى المستشفى . فى الحــلم واليقظة . هذا يجعل أيامى الخالية مملوءة ، ولحظاتى الحزينــة القاسية والوحدة مليئة بالأمل .

ان الله معنــا !

ليمــان طــره
٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٦
عــزيزتى

يظهر أن صديقى سعيد فريحة تصور أن عنــدى فى الزنزانة فريجيدير وبوتاجاز ! لانه أرسل معلبات أطعمة تحتاج الى التسخين والتبريد ! ان حياتنا هنا بدائية . ويجب أن ترسل لنا الأطعمــة الخاصة بسكان الصحراء التى لا تحتاج الى تبريد أو تسخين !

علمت انه ممكن أن يكتب لى اخى مباشرة على عنوانى فى السجن. لا يوجد تقييد على عدد الخطابات التى أتلقاها فى السجن . الخطابات المحددة بخطابين فى الشهر هى التى أرسلها من السجن . وهكذا أستطيع أن اعرف أخبار على مرة كل أسبوع ، بدلا من عذاب انتظار شهر كامل حتى أعرف أخباره يوم الزيارة .

على الرغم من اننى محروم من التمتع بامتيازات المسجون العادى الا اننى أحمد الله على أن حيــاتى تحسنت عن الفترة الأولى فى الليمان . تنقصنى أشياء كثيرة بطبيعة الحال . مثلا الحياة مؤلمة بدون ساعة . وبدأت أعلم نفسى كيف تكون الحياة بدون ساعة ! فاذا سمعت القرآن فى اذاعة السجن فى الصباح فمعنى ذلك أن الساعة السادسة وخمس دقائق ، واذا سمعت صوت سامية صادق فى برنامج صباح الخير فمعنى ذلك أنها السابعة وخمس دقائق ! وهكذا أعرف الساعة من برنامج الاذاعة المنشور فى الصحف . فاذا توقفت الاذاعة عرفت الساعة بالاستنتاج . إلا اذا وجدت أحــد الحراس ومعه ساعة ، وهذا أمر نادر جداً .

انهم يطفئون الانوار فى الساعة الثامنة مساء ، ثم أصبحوا يطفئونها فى الساعة التاسعة . اردت ان اعود نفسى على النـوم المبـكر والاستيقاظ المبكر . تعودت الآن ان اكتب واقرا على نور الفجـر ، اقترضت شمعة وانتهت . ارجو أن ترسلى لى شمعة . وبذلك اوفر الكبريت الذى اشعله كلما أردت أن اعرف طريقى فى الظلام . الترموس الذى اهدته لى فاتن حمامه حل لى مشكلة الثلج . اصبحت استطيع أن اتناول افطارى وغذائى فى الساعة التى اريدها . لا فى الساعة التى يجىء فيها الثلج . واصبحت مستعدا للطـوارىء فى حالة عدم وصول ثلج فى احد الأيام . وأنا كما تعرفين أعتبر الثلج احدى لذات الحياة . والثلج عندى يعتبر هو الفارق بين الحضارة والتأخر ! وكانت مشكلة القهوة فى وقت من الأوقات مشكلة عويصة . قبل السجن كنت أشرب ١٧ فنجان قهوة كل يوم . الآن اكتفى بفنجان واحد تبرع به أحد الزملاء المسجونين ! أصبح البيض المقلى معقولا ، بسبب طبق البيض الصاج . كان البيض يجىء دائما أشبه بالعجة أو الأومليت او اى شىء آخر الا البيض المقلى . هربنـا الزبد الى داخل السجن ، ونجوت من طعم البيض بالزيت !

بدأت اشعر بالبرد داخل الزنزانة . النوافذ بلا زجاج ولا شيش! استطعت أن أركب شباكا من الورق المقوى فى احدى نوافذ زنزانتى . وسوف أحاول ان اركب شباكا آخر فى الناحية الأخرى فوق باب الزنزانة . لا يزال البرد يدخل من القضبان الحديدية . الوحـدة والسجن يزيدان برودة الزنزانة . المفروض أن يدخل النسيم العليل من الشباك المفتوح ، ولكن حرارة النسيم بدأت تنخفض واصبح كالرصاص ! حلت مشكلة الوسادة القاسية التى صرفوها لى . حولتها الى ثلاث وسادات . وسادة انام عليها . ووسادتان أضعهما بجوار جدار الزنزانة القاسى لأخفف من برودة الجدار !

كانت من مشاكلى الكبرى مشكلة الغسيل والمكوى . امى نسيت أن تعلمنى كيف اغسل الملابس واكويها . كان يجب أن اتعلم هاتين الصناعتين ما دمت قد قررت الاشتغال بالصحافة ! تعرفت بمسجون محكوم عليه بالأشغال الشاقة فى حادث قتل من اجل بقرة . ولكن لم يكن الغسيل يرضينى . حاولت أن اغسل ملابسى واكويهـا ، ففشلت فشلا ذريعا على الرغم من أن الدكتور محمد صلاح الدين

وزير الخارجية السابق الذى حكم عليه الدجوى بالأشغال الشاقة المؤبدة جعلوه يعمل مكوجيا داخل الليمان ! وجدت أخيرا مسجونا محكوما عليه بالقتل من أجل الثار يتولى غسل ملابسى ، ووجدت مسجونا محكوما عليه بالمؤبد لأنه قتل حمانه يتولى مهمة المكوجى ! ادفع فى الغسيل علبة سجائر بلمونت ، وفى المكوى علبة سجائر بلومنت ، مسجون فلسطينى تبرع بأن يصنع لى البيض المقلى ويسخن لى الطعام . ومسجون اسمه محمد يحضر فى الصباح وينظف أرض الزنزانة ويغسلها ، ويغير الماء فى الجردل ، ويفرغ جردل البول ، ويغسل الأطباق ويكسر لوح الثلج ليدخل فى الترموس . وهكذا تحولت الزنزانة الى قصر ضيق فيه خدم وحشم وحاشية ! والذين يقومون بهذه المهام كلها هم من أصدقائى المسجونين الذين يعطفون على بسبب أمراضى وسنى ! آه لو علمت الحكومة بطيبة الناس معى ، لعلقوهم فى المشانق . ولكنى أحرص على الا يعرف كل مسجون ما يعمله الآخر ، لضمان السرية والكتمان ! اننى افضل أن أرتب فراشى وأعده بنفسى . وقد أصبح النوم فوق ملاءة ، والغطاء بملاءه وبطانية ، ووضع الرأس على كيس وسادة رفاهية رائعة كنت محروما منها أسابيع طويلة ! واستعمل ورق الجرائد على المائدة بدل المفرش ، واستعمل علب الكرتون بدل الدواليب والادراج ، وكلما اتطلع الى السجائر الكثيرة التى هربها أصدقائى لى أتذكر أيامى الأولى فى الليمان عندما كنت فى فزع من تصور الحياة بدون سجائر ، وكنت أحيانا اقطع السيجارة الواحدة الى نصفين لتكفينى .. وحدث فى أيام ان انتهت السجائر ورحت أبحث فى أرض الزنزانة عن أعقاب سجائر كنت القيها على الأرض ودستها بقدمى ، فأعود والتقطها من الأرض ، وأحاول اشعالها من جديد فقد أجد فيها نفسا أو نفسين ! شاء الله أن تنتهى هذه المحنة بفضلك وفضل أصدقائى كنت أشعر بخجل شديد عندما اقترض مقص الأظافر من زميل . أن أظافرى تتسخ بسرعة بسبب كثرة الصحف التى أتصفحها ورداءة الحبر ، ولكن الحمد لله نجحنا فى تهريب مقص أظافر ، وهو يعتبر فى الليمان من الأسلحة الفتاكة الممنوعة ، وأصبحت أستطيع أن أقص أظافرى . كما أشاء . ان بعض الناس يتصورون أن السجن هو فقط الحرمان من الحرية . انه الحرمان من أبسط ضرورات الحياة . إنه التحكم فى مأكلك وفى مشربك وفى قراءاتك وفى خطواتك . الحرية الوحيدة المباحة هى حرية الأحلام !

ان اخبار السجن الحربى تقول انهم يتحكمون الآن فى عبادة المسجونين وفى صلواتهم . انهم يمنعونهم من الاحتفاظ بالقرآن ! ولهذا أجد متعة فى مقاومة هذه التعليمات الصارمة . أشعر عندما أهرب خطابا اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اشرب فنجانا من القهوة اننى اتحدى الظالم . اشعر عندما اتحدث مع زميل لى اننى اتحدى الظالم واذا كانوا يقولون أن نوم الظالم عبادة ، فان تحدى الظالم فى رأيى هو عبادة ايضا . واذا كان الأمر كذلك فاننى اعبد الله ليل نهار ، لأننى أحاول أن اخالف الأوامر والتعليمات الظالمة بالليل والنهار ! اننى لم أرتكب اثما وحكموا على بالسجن المؤبد ، وهاأنذا الآن أرتكب يوميا جرائم مخالفة تعليمات وزير الداخلية ، كأننى اسحب من رصيد براءتى من بنوك الظالمين !

وكل ما آسف له الآن أن النور ينطفىء فى زنزانتى الساعة التاسعة مساء .. فلا اقرأ اكثر مما اقرأ ، ولا أكتب أكثر مما أكتب .. بدأت اكتب قصة مطولة ، وكتبت منها أربع صفحات . القصة عن حياتنا ونحن أطفال . وهذا يعود بى الى أيام طفولتى ، وأحاول أن استجمع الأحداث التى وقعت أيامها . لست أعرف ما الذى يجعلنى اذهب الى أيام طفولتى ؟ هل أنا أهرب من الحاضر . هل أريد أن اكتب عن الأيام التى كان يقتلنا فيها الانجليز ، ولا أريد أن اتحدث عن الأيام التى أصبح فيها المصريون يقتلون المصريين . هل يعز على أن انسب الى مصريين الجرائم التى رأيتها بعينى ترتكب ، والفظائع التى شاهدتها تحدث ، ورأيت أن أنسبها للاجنبى حتى لا الوث بها تاريخ ابناء وطنى ؟ أن تاريخ مصر يجب أن يكتب من الآخر ، ولكن قلبى لا يطاوعنى ، ولهذا أحاول أن أكتبه من الأول !

كنت اتصور اننى أستطيع أن أكتب هنا عشرات الكتب . حتى الآن لم انظم وقتى .

كنت احتج بعدم وجود مائدة اكتب عليها . الآن صرح لى الأطباء بمائدة . ثم أعتذر لنفسى بأن قلمى الحبر ليس معى . والآن لا حجة لى بعد أن هربت قلمى الحبر . لم يبق الا ان اطلب بلكنوت كبيرا ؟ حتى اخدع نفسى بأن ليس لدى الورق الكافى للكتابة . ان فى راسى عشرات الموضوعات تصلح قصصا . فكرت فى أول الأمر أن اكتب قصصا قصيرة ، ولكنى رأيت أن وجودى فى السجن فرصة ذهبية .

لكتابة قصص طويلة . لأن القصص الطويلة تعيش اكثر مما تعيش القصص القصيرة . ويمكن أن تتحول الى افلام فى يوم من الأيام . ولقد فكرت أن أكتب تاريخ بلادى فى شكل قصص غرامية ، ليقرأها الجيل الجديد الذى يجهل تاريخ بلاده الحقيقى ، والذى صدرت الأوامر بتشويه تاريخه وتشويه رجاله وأبطاله حتى يخلو تاريخ مصر من الرجال والأبطال . وستكون هذه القصص نوعا من المقاومة . منشورات ضد الظالمين . ردا على افتراءات مؤرخى السلطة على تاريخ مصر الحقيقى .

وفكرت ايضا فى ان اكتب قصة حياتى بصراحة كاملة . ولكن هذه القصة تحتاج الى مراجع ، ولا استطيع ان أكتبها معتمدا على الذاكرة وحدها . ان هذا يقتضى ان اتردد باستمرار على دار الكتب ، أوعلى مكتبة أخبار اليوم وعلى أرشيف أخبار اليوم وعلى مذكرات سعد زغلول ، وأرجع الى الصحف والمجلات القديمة التى كتبت فيها .

انها احلام كبيرة والعمر قصير .. ومع ذلك فسوف أكتب واكتب واكتب ..

أريد ان اموت والقلم فى يدى !

تفرجت على تشييع جنازتي

سجن ليمان طره
٦ نوفمبر سنة ١٩٦٦

صديقتي العزيزة

قبل أن أسجن بسنوات ، كنت أحيانا أجلس وحدي أفكر في اللامعقول ! أفكر مثلا في أن أسافر الى بلد بعيد ، ثم أرتب حادثا ازعم أنه وقع لي ، وأنشر في الصحف ووكالات الأنباء أنني قتلت في هذا الحادث ، وان جثتي اختفت في قاع المحيط .. ولم يبق سوى ملابسي وجواز سفرى !

ثم اجلس في جزيرة مجهولة اتفرج على ما سوف يحدث بعد وفاتي . الذين سيبكون والذين يهللون . ماذا ستقول الصحف بعد وفاتي . ماذا سيفعل أصدقائي وقرائي .

ما هي القصص المختلفة والأقوال المخترعة التي سوف ينسبونها الي بعد وفاتي ؟ ويظهر أن أبواب السماء كانت مفتوحة وأنا يخطر برأسي هذا الخيال المجنون . وتحققت الفكرة مع فارق واحد ، وهو أنني دفنت في قبر فعلا وأنا ما زلت على قيد الحياة ! واسمع أصوات الذين يقفون حول القبر وأتتبع مناقشاتهم . ولا يستطيع صوتي أن يخرج من القبر ليشترك في المناقشة . ولم أكن أتخيل أن أغلبية الناس العظمى هي من الناس الطيبين . انني أسمع من داخل قبري زفراتهم وتنهداتهم . ولا أستطيع أن أطل برأسي من تحت التراب لأشكرهم . ولا يوجد أحد من أهالي الفقيد يتقبل العزاء بالنيابة عن أسرة المرحوم ! ولست أنكر انني استمتع أحيانا بهذه التجربة الفريدة . ولكني أشعر بعذاب الذين تركتهم خارج القبر ، يتعذبون أكثر مني أنا الذي في داخل القبر .

اشعر احيانا بأننى مثل اهل الكهف الذين بقوا فى داخله ٣٠٠ سنة مع فارق واحد أن اهل الكهف كانوا ثلاثة أو اكثر ، وانا اعيش وحدى فى سجن انفرادى . وليس معى كلب كأهل الكهف !! واكذب عليك اذا قلت اننى اشعر دائما بأننى وحدى داخل الكهف . اننى أحس فى كثير من الأوقات أن الذين يحبوننى معى داخل هذا الكهف .

وهكذا لا أشعر بالوحدة ابدا . احساسى ببراءتى ، وايمانى بالخدمات التى قدمتها لبلدى يجعلنى لا أحس بتعاسة . لا أظن أن المسيح كان تعسا وهو مصلوب على الصليب . بل لعله كان سعيدا بأن مسئولية خلاص هذا العالم سوف يحملها عنه آخرون !

اننى اشعر بأننى خدمت بلادى وثورة بلادى وشعب بلادى باكثر من جهدى ، وأكثر من عمرى ، وبكل ما فى من دم وفكر وعرق وأعصاب . وعندما أمسك بيدى الصحف والمجلات التى أصدرتها أو اشتركت فى اصدارها ، اشعر بعزاء ان القلاع التى بنيتها لا تزال قائمة فى مصر وفى خارج مصر .. وعندما أرى أسماء تلامذى تحتل الصفحات الأولى من صحف بلادى والبلاد العربية أحس بهنائى وفخرى . وعندما أسمع أم كلثوم تغنى « مصر التى أحبها » أتذكر ان كلمات هذه الأغنية التى يرددها الملايين كتبتها نثرا لأم كلثوم وحولها أحمد رامى شعرا . وأن قصيدة سلوا قلبى أو رباعيات الخيام أو السودان أنا الذى أخترت لأم كلثوم ابياتها ، وأن قصيدة الهمزية اشتركت فى اختيار أبياتها ، وأنا الذى غيرت موسيقاها ، ووضعت مقطع دقات الدفوف فى بداية الأغنية وكان رياض السنباطى قد وضعها فى منتصفها . وأتذكر أن فكرة اغنية السد العالى التى لحنها كمال الطويل وعبد الحليم حافظ بدأت فى بيتى ، من أسطوانة أجنبية كانت عندى .

وهكذا ترين اننى كلما قرأت جريدة ، أو سمعت الراديو ، وجدت أن آثارى لا تزال على قيد الحياة لم تدفن معى . وهذا الشعور يسعدنى كثيرا .. الذين يموتون هم الذين تموت آثارهم . وهكذا ترين ان الذين وضعونى فى القبر عجزوا عن ان يسدوا منافذ النور . اننى أرى نفسى فى مرايا الظلال .. ضباب الزمن لم يغطها ، ولم يخف صورتى تحت التراب .. تراب الزمن !

كانت حياتى مرجيحة . تعلو وتهبط . ترتفع وتنزل . ولم يكن يهمنى الارتفاع او الهبوط ، كل الذى يهمنى ان الارجوحة لا تزال تتحرك . وليس عندى الآن وقت لاتعذب واتألم واتوجع واحترق . اننى اخصص وقتى لأقرأ واكتب . لأتذكر واحلم . وبين ذكرياتى واحلامى امضى أغلب ايامى .

يقول مثل صينى « انك لا تستطيع أن تمنع طيور الهم والغم من ان تحلق فوق رأسك ، ولكن تستطيع على الاقل أن تمنعها من أن تعشش داخل دماغك » ! ولا أستطيع أن انكر ان الهم والغم لم يحاولا أن يعششا فى رأسى او يستقرا فى دماغى ..

ولكن روحى لم تستسلم . ان راسى ملىء بالذكريات الحلوة والأحلام التى هى أحلى من الذكريات . وهى تتحرك بسرعة شريط سينمائى فى فيلم سريع ، ولهذا فان حركة راسى المستمرة تمنع طيور الغم واليأس ، وخفافيش الهم والظلام من أن تعشش فيه .

اننى احيانا اسخر من المظالم . اننى مثلا تفرجت على تشييع جنازتى . فقد ارادت الحكومة أن تجعل من الحكم على جنازة رسمية . اشتركت فيها الصحافة والاذاعة والتليفزيون . وكان المفروض أن ينشر نعيى فى صفحة الوفيات ، ولكن الحكومة نبهت على الصحف أن تنشر النبأ بالعناوين العريضة على ثمانية اعمدة فى الصفحة الأولى . وكان المفروض أن يكون المأتم ليلة واحدة ، ولكن المأتم استمر اربعين يوما . فى كل يوم تكتب الصحف عنى وتهاجمنى وتلعننى وتشتمنى ! وكذلك تعليقات محطة الاذاعة والتليفزيون . كل ذلك ليتأكد الناس اننى مت ، ودفنت ، ولن أخرج من القبر الى الأبد !

ولكن الذين رسموا خطة الجنازة والدفن والمأتم ، نسوا أن الله قادر على أن يحيى الموتى . وقادر على أن يجىء فى أى وقت بيوم قيامة جديد !

وانا أؤمن بأنه لابد ان تقوم القيامة فى مصر ، واذا كان ظهور المسيح الدجال من عمليات الساعة ، فان الدجل الذى الاحظه

فى سياستنا وفى تصرفاتنا ، وفى عمليات الارهاب المستمرة ، وفى الاعتقالات ، وفى التلفيقات وفى حكم الفرد كل هذا من علامات الساعة التى تؤكد انه لابد ان يجىء يوم يخرج فيه الموتى من القبور التى حكم عليهم الدجوى ان يبقوا فيها الى الابد !

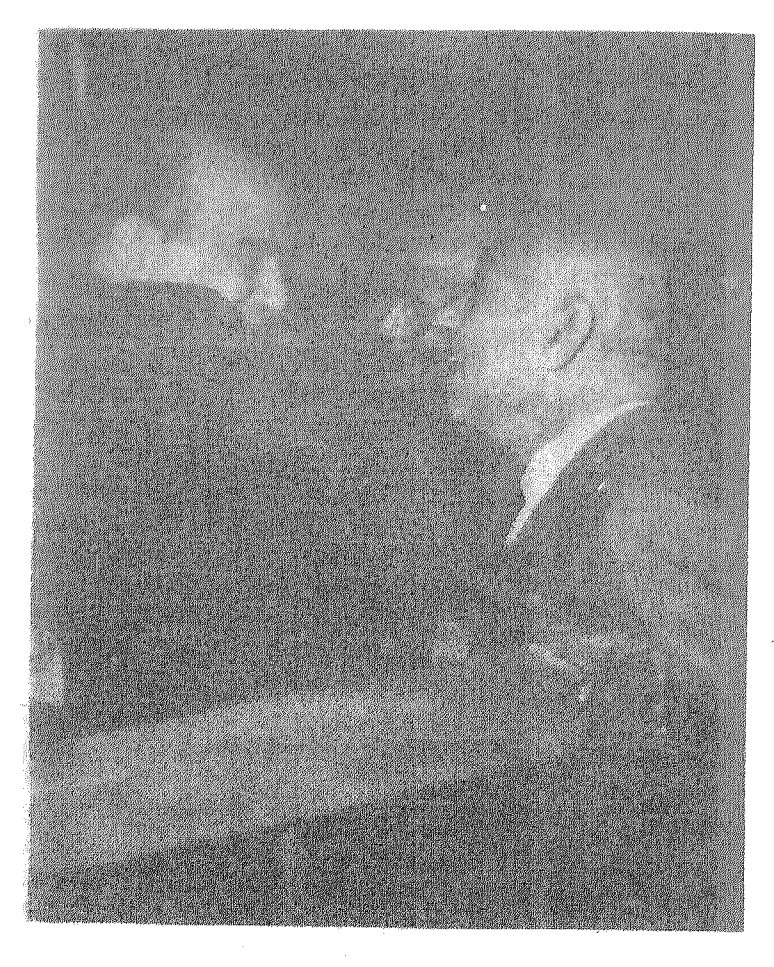
من الطرائف التى حدثت لى انهم يرسمون لوحات على جـــدران القبر الذى فيه زنازين المسجونين السياسيين . وطلب منى مأمور السجن ان افكر فى موضوعات لوحات صور يرسمها المســـجونون على الجدران لتزينها !

قلت لهم : اننى لا اتصور ان المسجون يزين السلاســـل التى تقيدونه بهـــا !

واعتذرت عن تقديم افكار لتزيين القبر !

علقت على جدار زنزانتى مرآة صغيرة بحجم الكف . وهى مرآة حقيرة جدا ، ومع ذلك استطعت أن أرى فيها وجهى لأول مرة منذ شهور طويلة . لم اكن استطيع ان أرى وجهى الا فى نافذة غرفة الضابط . فهو الوحيد فى العنبر الذى يوجد زجاج فى نافذته .

عندما رايت وجهى فى المرآة اطمأننت .. اننى لم أتغير . ان الشعر الأبيض زاد فى راسى . لا ازال احتفظ بابتسامتى وحيويتى رغم الاهوال التى تعرضت لها . لا اظن ان المرآة تخدعنى . أنا اشعر بأن قلبى لا يزال شابا . روحى مليئة بالحيوية . الأمل يملأ نفسى .. كل هذا من علامات الشباب .



ستقول الدجوى ان السفير المصرى فى أمريكا اختارنى للدفاع عن كرامه الجيش المصرى فى ٢٤٠ محطة اذاعة وتليفزيون امريكى ، عندما ظهرت صور الدجوى فى التليفزيون - يستسلم وهو قائد غزة للجيش الاسرائيلى سنة ١٩٥٦ ويشكر الجيش الاسرائيلى على انسانيته !

الكرباج أساس الملك!

ايمـــان طـــره

نوفمبر ســـنة ١٩٦٦

صـــديقى العـــزيز ...

الساعة الآن قبل السادسة صباحا . لأول مرة اسمع صوت العصافير فى النافذة ، وكأنها تقول لى صباح الخير . لم اسمع صوت العصافير تغنى سوى صباح اليوم . لست أعرف هل هى تغنى أم تبكى ؟ تغنى لنا أم تبكى علينا ؟ قلبى يحدثنى بانها تغنى . انها تحمل لى من خارج السجن كلاما واحلاما وامانى ودعوات . ربما كانت تغنى كل صباح ولم التفت لغنائها سوى اليوم . اننى كنت فى سجن المخابرات أسمع فى الصباح صوت أم قويق . لست أعرف هل هى ام قويق حقيقة ، ام انهم يطلقون أصوات البوم كجزء من وسائل التعذيب . ما أعظم الفرق بين الغربان والعصافير . او لعل هذا هو الفرق بين السجن الأول والسجن الأخير . انا أسمع صوت عربات النقل القادمة من حلوان ، او المتجهة الى حلوان . صوت ديك يصيح . دبيب اقدام تمشى . بدأت القاهرة تفتح عينيها وتستيقظ . ولكن السجن لا يزال نائمـــا . اننى انتهز فرصة نوم السجن لاكتب اليك فى هذا الهدوء . ان لون الفجر يخترق الستارة المعلقة على النافذة . ضوء النهار لم يدخل بعد . ولهذا انا اكتب على ضوء شمعة . بعد لحظات سوف تمشى الاحذية الثقيلة فوق أرض السجن . معنى ذلك أن حراس الصباح وصلوا . فى كل لحظة نتوقع صوت المفتاح الكبير وهو يدخل فى ثقب الباب ، ويدخـــل وراءه حارس ، وأحيانا ثلاثة حراس ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول ، وأحيانا ثلاثة حراس وصول وضابط . يقلبون الزنزانة رأسا على عقب بحثـــا عن ممنوعات . كل ما رتبته فى الليل يتلخبط فى النهار . كل شىء يقلبونه ويعبثون به . فبعض الاحيان يجىء حراس مؤدبون يحرصون بقدر جهدهم على أن يعيدوا الملابس كما كانت بعد تفتيشها

آخرون يشبهون دخول الثور فى متحف الخزف . غيرهم أشبه بجيش الجراد عندما يهاجم حقلا من المزروعات . الممنوعات هى الشاى . ومنذ أن علمت أنه ممنوع أضربت عن شرب الشاى . والسكر وأنا ليس عندى سكر لأننى مريض بالسكر . والحشيش وأنا أحمد الله على أننى لم أدخنه أبدا . ولكن أخطر الممنوعات هو الورق والقلم . وأنا أخفيهما عند مسجون يبعد عنى ١٣ زنزانة . مسجون غير سياسى يجهل القراءة والكتابة ، ولهذا لا يهتم أحد بالبحث عنده عن ورق وقلم !

من الممنوعات أيضا الصور الجميلة فى الصحف والمجلات . فاذا رأى الضابط صورة لفتاة جميلة ترتدى المايوه فى صفحة كمال الملاخ بالأهرام قطع الصورة !

بدأ المسجونون يتجرأون ويدخلون زنزانتى . فى الزنزانة مقعد واحد . أحيانا أجلس على السرير . ويجلس اثنان على طرف السرير . على المقعد يجلس مسجونان ، ثم يجلس البعض على السجادة المفروشة على الأرض . وهكذا تتحول الزنزانة التى عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار الى « بيت الأمة » !

السجن فى بعض الأحيان يحبس الأفكار . فتصبح الأفكار متكررة كأيام السجن . تسمع الحكاية الواحدة عشرات المرات . المسجون ينسى أنه قال لك حكايته فيعيد تلاوتها من جديد . أنا أحرص على أن أتكلم مع كل زميل من زملائى . أقسم وقتى عليهم جميعا . أصبحت أحفظ كل قضية عن ظهر قلب . ما أكثر المظلومين هنا . ان أشنع ما يصيب أمة أن يضيع العدل فيها . كان العدل أساس الملك فأصبح الكرباج هو أساس الملك . كان الحاكم راعيا ثم أصبح جزارا . كان الأشراف يضعون المجرمين فى السجون ، وأصبح الآن المجرمون هم الذين يضعون الاشراف فى السجون ! كانوا يضربون المثل بعدالة القضاء المصرى . والآن يضربون المثل بظلم محكمة الدجوى ! كان القانون سيدا والحاكم خادما ، فأصبح الحاكم سيدا والقانون خادما ! القصص التى أسمعها هنا عن انتهاك العدالة والعبث بالقانون تذكرنى بقصص محاكم التفتيش .

اعتاد زوار المسجونين السياسيين أن يحملوا لهم أخبـارا مع الأطعمة فى الزيارة . أغلب الأخبار تقسم بالطلاق أن الفرج قريب . الأهالى يحاولون أن يكذبوا على أقاربهم المسجونين ليخففوا عنهم آلام السجن . من سوء حظى أننى بحكم مهنتى كصحفى أستطيع أن أفرق بين الخبر الصحيح وبين الاشاعة الكاذبة . ثم ان اتصالاتى مع تلاميذى خارج السجن تجعلنى أعرف الأخبار الصحيحة أولا بأول . ان معلوماتى أن الحال ستسوء ، ولن تتحسن . الاتجاه الى بطش أكثر . لا توجد نية للافراج ولكن للتضييق . الحـكام استعذبوا طعم الطغيان ، لأنه يسكرهم . ولكنى لا أجرؤ أن أقول لزملائى المسجونين السـياسيين الحقيقة المـرة . اننى أتركهم يعيشون فى قصور أوهامهم . أشفق عليهم أن أخرجهم من القصور الباسمة لأعيدهم الى زنزاناتهم الكئيبة !

كثيرون من المسجونين الذين فى داخل السجن أسعد حالا من أسرهم خارج السجن . ان متاعب الأسر المالية هى سبب تسعة أعشار شقاء المسجونين ، فعندما ينقطع دخل عائل الأسرة يحدث لها ما يحدثه سقوط قنبلة ذرية . فى الزيارة تسمع أحاديث بين زوج وزوجته عن السوار التى رهنته . أو أنها حاولت أن تقترض خمسة جنيهات فلم تجد من يقرضها . ثم تجيء فى المرة القادمة وتقول ان ربنا فرجها . ويسألها الزوج كيف فرجها . فتقول انه فرجهـا والسلام . وتحس من صوت الزوجة الذى اختلطت فيه الكلمات بالدموع ، انها بدأت ببيع السوار ، وانتهت ببيع مالا يباع !

وتسمع فى الزيارة أسر المسجونين السياسيين وهى تتحدث عن أثاث البيت الذى باعته . فى الزيارة الأولى باعت الدولاب ، وفى الثانية باعت الصالون وفى الثالثة باعت السرير ! ثم تسمع عن زوجة أحد المسجونين السياسيين التى كانت تعبد زوجها ترسل له تستأذنه فى الطلاق لأن أولاده سيموتون من الجوع ! ان الدجوى حكم على كثير من الناس بالسجن . ولكنه حكم على أسر كثيرة بالاعدام ! وقـد سمعت مسجونا سياسيا يقول : يا بخت سيد قطب الذى حكم عليه الدجوى بالاعدام !

ان مآسي اسر المسجونين السياسيين تصلح كل واحدة لتكون مأساة تمثل على المسرح ..وعندما يراها الناس لن يصدقوا ان فى مصر من يموت من الجوع . وان أم أحد المسجونين السياسيين ماتت لأنها لم تجد اجر الطبيب . وان زوجة مسجون سياسي آخر ماتت وهى تلد لأن الأسرة لم تجد فى البيت ريالا تدفعه للقابلة !

ومن العجيب ان الذين اصدروا هذه الأحكام القاسية لم يفكروا فى البيوت التى خربوها ، ولا الأطفال الذين شردوهم ، ولا الأسر التى دمروها !..

واذكر ان أحد الكبراء قال لى ان عيب اسرة المسجون السياسى فلان الفلانى أنها تحقد علينا !

وقعت فى يدى صحيفة امريكية بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٩٦٦ جاءت لأحد الزملاء وقد لفوا فيها حذاء ! قرأت فيها حكما هاما للمحكمة العليا فى امريكا ، وهو انه ليس من حق المحقق ارغام شخص على أن يشهد ضد نفسه ، وان هذا الحق الدستورى يبدأ منذ لحظة القبض على المتهم . وانه يجب على المحقق أن يبين للمتهم بوضوح ، وقبل التحقيق معه ، أن من حقه أن يسكت ، ويرفض الكلام . وأن يوضح له أن أى شيء سيقوله الآن قد يستعمل ضده فى المحكمة .. وأن ينبه رجل الشرطة المتهم عند القبض عليه أن من حقه أن يكون معه محام يحضر التحقيق ، فاذا لم تمكنه حالته المالية من توكيل محام ، فان على الدولة أن تدفع أجر المحامى . وانه اذا لم يقدم المتهم اعترافه من تلقاء نفسه ، وبعد أن يعلم بحقه الدستورى فى الامتناع عن الاعتراف ، فان الاعتراف يصبح باطلا .

وعلى هذا الأساس حكمت المحكمة الأمريكية العليا بالغاء حكم الاعدام على قاتل اعترف بخط يده ، لأنه بقى خمسة أيام بدون محام .

وحكمت ايضا محكمة اخرى بالغاء حكم بالأشغال الشاقة ١٠

قاتل معترف بخط يده ، لأنه مكث ١٧ ساعة مقبوضا عليه ، دون أن يستطيع الاتصال بمحام أو بأحد من أقاربه !

وتذكرت كيف أنني مكثت فى سجن المخابرات الأيام الباقية من يوليو ، وكل أغسطس ، وسبتمبر وأكتوبر ونوفمبر ، بغير أن يسمحوا لى بالاتصال بمحام ، أو أن يعلم أحد من أقربائى أين أنا !

لو طبقت هـــذه القواعد الدستوريةفى بلادنا لمــا بقى مسجون واحد فى السجون المصرية !

من الذى قتل رئيس محكمة أمن الدولة

ليمان طره
نوفمبر سنة ١٩٦٦

عزيزتى ..

سيجىء يوم تضاء فيه الأنوار . وتكشف الأسرار ، وتظهر الحقيقة ، ويختفى الزيف والبهتان : سيعرف الناس جرائم بذلت جهود جبارة لاخفاء معالمها . ولكني مؤمن بأنه سيجىء يوم يزاح فيه الستار عن خفايا أسدل عليها ستار الظلام . ولو عرف الظالمون أنه سيجىء يوم ينكشف فيه ظلمهم ، لترددوا ألف مرة قبل أن يرتكبوا ما ارتكبوه !

فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦١ عرفت القاهرة أن كامل لطف الله رئيس محكمة أمن الدولة انتحر ، بأن صعد الى سطح عمارة فى مصر الجديدة والقى بنفسه منها ومات على الأثر !

ودهش الناس أن ينتحر رئيس محكمة أمن الدولة ! ودهش أكثر الذين يعرفون كامل لطف الله،ويعرفون أنه رجل قوى الأعصاب. ثم دهشوا أكثر وأكثر عندما علموا أنه اختار ليوم انتحاره يوم نظر قضية مشهورة اسمها قضية المليونير فهوم المتهم برشوة الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة وعدد من كبار الموظفين ، وهى قضية ثارت حولها أقوال واشاعات . وكان كامل لطف الله سيرأس هذه المحاكمة ، وكان قبل ذلك يقول لأصدقائه أنها قضية هامة جداً ، وأنها من أكبر القضايا التى نظرها فى حياته ! وحرص على أن يدعو ابنته الوحيدة سميحة وزوجها الدكتور نبيل وديع من أسيوط خصيصا ليحضرا هذه المحاكمة الهامة ، فتحضر الابنة الوحيدة من أسيوط وتفاجأ بأن أباها انتحر !

وبدات الصحف تتساءل هل انتحر رئيس محكمة أمن الدولة أم قتلوه ! وفجأة تدخلت الرقابة واكدت للصحف ان رئيس المحكمة انتحر ، وانه ممنوع الاشارة الى مقتله ! وبعد أن كانت العناوين « مصرع رئيس محكمة أمن الدولة » أصبح انتحار رئيس محكمة أمن الدولة !

وقيل للصحف أنه ثبت من التحقيق أن كامل لطف الله كان على خلاف مع زوجته .. وأن هذا هو سبب انتحاره . .وظهر أن كامل لطف الله منفصل فعلا عن زوجته ، ولكن الانفصال حدث في عام ١٩٥٦ فهل معقول أن ينتحر انسان في عام ١٩٦١ بسبب خلاف وقع في عام ١٩٥٦ أى منذ ٥ سنوات ! ؟

قد يقال أن رئيس محكمة أمن الدولة كان مفتونا بزوجته ملكة الجمال ، وأنه رآها فجأة فتجدد الحب وانتحر . ولكن ظهر أن الزوجة لم تكن ملكة جمال ، بل كانت سيدة مفرطة في السمنة ، وكان ضغطها ٣٢٠ ، وكانت مريضة بالسكر وتصلب الشرايين وهبوط في القلب وترهل في الأعصاب ...

وكان كامل لطف الله في تلك الأيام سعيدا لأنه أصبح جدا للمرة الأولى في حياته .

واهتم شقيقه القاضي منير لطف الله — المستشار فيما بعد — بالحادث ، وبدأ يتولى تحقيقه ، وظهر أن كامل لطف الله يحتفظ دائما بمسدس ، فلماذا لم يطلق على رأسه المسدس ، بدلا من أن يلقى بنفسه من سطح عمارة الى أرض الشارع . ولاحظ القاضي أن طباخ رئيس محكمة أمن الدولة شهد شهادة غير حقيقية تؤكد أن كامل لطف الله انتحر ! ثم فوجيء بالطباخ يعترف بأنه تقاضى ٢٠٠ جنيه من شخص مجهول ليشهد هذه الشهادة !

وكان القاضي منير لطف الله يعلم أن شقيقه درس أوراق قضية قهوم دراسة دقيقة ووصل الى نتيجة : هي أن المجرمين الحقيقيين ليسوا في القضية ، وأن المتهمين في القضية هم الأبرياء ... ! وأن القضية تمس شخصيات كبيرة في الدولة ..

وكان المستشار كامل لطف الله يقيم فى نفس البيت الذى يقيم فيه خليل حسين عم الرئيس جمال عبد الناصر : وسمع عم الرئيس بما يقــوله رئيس محكمة أمن الدولة . وذهب وأبلغ به الرئيس عبد الناصر .

وفوجىء رئيس محمــكة أمن الدولة ذات يوم بدعوته لمقابلة الرئيس فى بيته بمنشية البكرى . على بعد خطوات من شقة رئيس محكمة أمن الدولة وسأله الرئيس : هل حقيقة أنك ترى أن الدكتور السمنى وكيل وزارة الزراعة برىء ..

قال كامل لطف الله : أعلم أن سيادتك خطبت فى خطبة علنيــة واتهمته بأنه حرامى ، ولكن أوراق القضية تبين أنه برىء .. وضميرى كقاض يحتم على أن أظهر هذه الحقيقة .

قال الرئيس : افعل ما يمليه ضميرك .

قال كامل لطف الله : وأحب أن تعلم أن القضــية ستجىء بأسماء كبيرة .

قال الرئيس : لو كان اسمى موجود فى القضية هاتنى !

قال كامل لطف الله : أن من قراءة الأوراق تدل على أن بعض الوزراء « حرامية » .

قال الرئيس : قل لى على أسمائهم وأنا سأقطع رقبتهم !

قال كامل لطف الله : لا أستطيع أن أحكم على أحد قبل أن أنتهى من نظر القضية وأسمع الدفاع والاتهام ..

وانصرف كامل لطف الله سعيدا بهذا اللقاء ..

ثم حدث بعد ذلك أن هوجمت شقة كامل لطف الله وسرقت منهــا

أوراق القضية ، وعليها ملاحظـــات رئيس محكمة أمن الدولة بخط يده .

فمن هو صاحب المصلحة فى سرقة هذه الأوراق .. لا يمكن أن يكونوا المتهمين الذين قال عنهم رئيس محكمة أمن الدولة انهم أبرياء ..

لابد انهم أشخاص عرفوا أن القضية سوف تصل اليهم . ولابد انهم بعد ذلك عرفوا بأن يد العدالة ستصل اليهم ، ولهذا رأوا أن يتخلصوا من رئيس محكمة أمن الدولة بخطفه فى صباح المحاكمة ، والقائه من سطح العمارة !

ولاحظ الأطباء من اقارب كامل لطف الله ان تقرير الطبيب الشرعى مهلهل ، ولاحظوا أن الاسعاف لم يحضر فورا ، بل حضر بعد نصف ساعة .

وتردد بينهم أن كامل لطف الله مات بسم لا يترك اثرا ، وبعد أن تناول السم القوه من السطح !

وفجأة تلقى القاضى منير لطف الله رسالة بلا امضاء تقول له : « لا تتكلم ! والا فسوف يكون لك نفس المصير » .

وذهبت الطالبة سميحة كامل لطف الله الى عمها القاضى منير لطف الله تقول له : اننى قررت أن التحق بكلية الحقوق ، وأتخرج محامية ، وأطالب باعادة التحقيق فى مقتل أبى !

قال لها عمها هامسا : اسكتى ! لا تفتحى فمك . لقد جاءنى تهديد بألا اتكلم والا فسيكون لى نفس المصير !

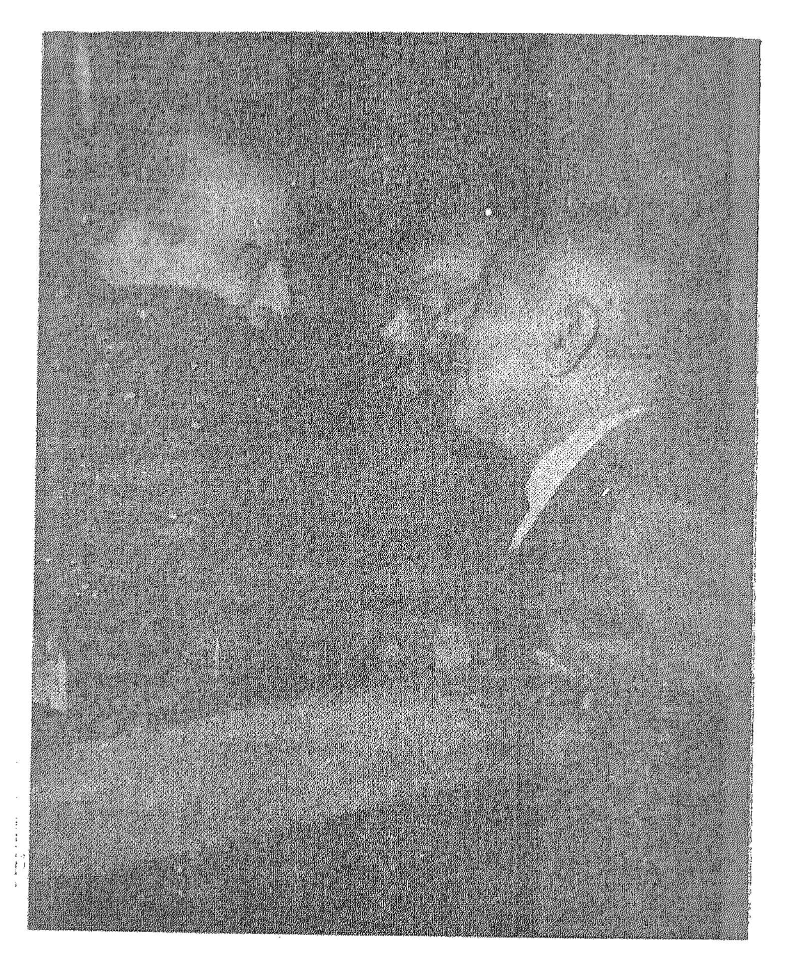
وأطبقت الأسرة فمها رعبا !

وعرضت القضية على دائرة المستشار رياض رزق الله وبزات الدكتور السمنى وزملاءه .

انني أعرف كامل لطف الله شخصيا . أعرفه وهو شاب . كان قاضيا فى القاهرة ولفقت احدى الحكومات قضية ضد أخبار اليوم ، وارسلت مظاهرة تحاول تحطيمها ، ثم اتهمت عمال أخبار اليوم بأنهم هم الذين تجمهروا وقتلوا أحد المتظاهرين وقبضوا على ١٧ من عمال ومحررى أخبار اليوم ووضعوهم فى السجن . عرضت المعارضة على القاضى الشاب كامل لطف الله . جاءه من يبلغه أن الملك يرغب فى مد حبس المتهمين . رفض القاضى أن يخضع لأمر الملك وأفرج عن المتهمين . عوقب القاضى النزيه بنقله الى قنـا . نشرت القصة فى أخبار اليوم . عاد كامل لطف الله بعد الثورة الى القاهرة . هذا القاضى الجرىء ليس بالقاضى الذى يخاف ، انه رفض أن يخضع لأمر الملك ، وهو بالتالى لا يمكن أن يخضع لتدخل أى كبير فى الدولة يريد أن يوقف سير العدالة !

سيجىء يوم تجتمع فيه الجمعية العمومية للمستشارين فى هيئة جمعية غير عادية ، وتؤلف لجنة تحقيق ، لتعرف من الذى قتل رئيس محكمة أمن الدولة !

ان الحقيقة لا يمكن أن تموت !



حمادة الناطل يقول لمصطفى أمين : سوف اعارض فى أن تكون المحكمة سرية .. ولكن الاوامر صدرت للدجوى بان تكون المحاكمة سرية !

من الذي سرق خزانة سفارة الكويت؟

سجن ليمان طـره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

عــزيزتى ..

اؤمن ايمانا عجيبا بأنه سيجىء يوم ، قريب أو بعيد ، ستضاء فيه الانوار على هذا الظلام الدامس ، وتنكشف الحقائق ، كل الحقائق ، ويزاح الستار عن كثير من الخبايا التى يتصور أصحاب السلطان انها لن تعرف أبدا .

فى يوم ١٩ اكتوبر الماضى سرقت خزانة سفارة الكويت فى القاهرة وهى خزانة اعتادت السفارة أن تودع فيها مجوهرات الكويتيين الذين يسافرون الى الخارج ويضعون هــذه المجوهرات أمانة لدى السفارة .

وفيها كذلك « رزم » من أوراق البنكنوت ..

واستوقف النظر أن « رزم » أوراق البنكنوت تحولت الى رزم من أوراق النشاف الذى يستخدم فى تجفيف الحبر فى السفارة . ووضعت فى كل رزمة ورقتان ماليتان احداهما أسفل الرزمة والأخرى فوقها ، ليظن من يفتح الخزانة انها ورق بنكنوت !

ووضعت بدل قطع المجوهرات المسروقة مجوهرات مزيفة ، بنفس العدد والشكل والحجم ..

وابلغت السفارة اللواء أحمد مرتضى مدير أمن الجيزة وقامت الدنيا وقعدت . وانتقل محافظ الجيزة ورجال البوليس وشعبة البحث الجنائى ورجال النيابة .

وقيل لسفير الكويت فى القاهرة ان الدولة كلها تبحث عن اللصوص وسوف تسترد المجوهرات الثمينة والمبالغ الطائلة !

وكان أغرب ما حدث ان فى السفارة عدة خزائن لم يمسها أحد ، مما يدل على ان الذى فتح الخزانة يعرف أين توجد المجوهرات وان الأوراق والمستندات الموجودة فى الخزانة المسروقة لم تمس.. مما يؤكد أن الغرض هـو سرقة المجوهرات وليس سرقة مستندات سياسية !

وفى يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٦٦ صدرت جريدة الأهرام ، وفيها صفحة كاملة بعنوان « من الذى سرق خزانة سفارة الكويت ». سلطات الأمن لم تعثر على أى دليل يثبت أن أحدا اقتحم السفارة أو تسلل منها . اختفاء محتويات الخزانة فى نظر سلطات الأمن « سرقة محيرة » وليس حادثا غامضا وهذه هى الأسباب : أوراق النشاف التى وضعت مكان ٨ آلاف جنيه نقدا .. من نفس النوع المستعمل فى السفارة ! كيف يمكن أن يدخـل لص مرتين ليأخذ المجوهرات الحقيقية التى تقدر بعشرة آلاف جنيه ثم يعود ليضع مكانها مصوغات مزيفة » !

وحاول تحقيق « الأهرام » أن يثبت ويؤكد أن السرقة تمت من داخل السفارة وقالت بالحرف الواحد « أنه مما لا شك فيه أن السرقة من الداخل ، يعنى أن شخصا من داخل السفارة هو الذى ارتكب الجريمة أو على الأقل اشترك فى ارتكابها . يؤيد ذلك أن هناك ٧ خزائن أخرى فى السفارة ليست فيها نقود ، ولذلك فان اللص سرق هذه الخزانة بالذات ، وهو بدون شك يعرف أن هناك غيرها ولكن ليس فيهـا ما يسرق . يؤيد ذلك أيضـا ما ظهـر من حقيقة « النشاف » وأن الجريمة تمت فى وقت يعلم فيه السارق أن صاحب الخزانة سافر الى لندن .. وأنه حتى بعد أن عـاد — منذ شهرين — فانه يقضى فترة نقاهة فى منزله ولا يتردد على مكتبه . يعنى أن هناك وقتا لاعداد أوراق النشاف والمجوهرات المزيفة .. واتمام السرقة التى لن تنكشف الا بعد فترة يكون فيها السارق قد استرد انفاسه وأعد أسلوب المراوغة .. أيضا كيف

يمكن لغريب أن يدخل من باب السفارة ، وهى حتى الساعة الثانية ظهرا خلية تشغى بموظفيها والمترددين عليها . وبعد الظهر حتى صباح اليوم التالى تغلق وبها خفير وعلى بابها حارس ؟ كيف يمكن الدخول « للمعاينة » ولاعداد النشاف والمجوهرات المزيفة ووضعها فى مكانها ثم الخروج بهدوء ؟ ان هذا لا يتأتى الا لشخص يعرف السفارة جيدا . ويعمل بها .. ويقف على كل ظروفها ..

وانتهى التحقيق باتهام موظفى وعمال السفارة وقال بالحرف الواحد « من الذى يعمل بالسفارة من غير الدبلوماسيين .. اى من السعاة ؟ انهم ١٧ ساعيا — مصريا — وسودانيا — ولهم رئيس » .

انتهى التحقيق الخطير المنشور فى الاهرام .

وجاءت الأنباء أن الدولة قبضت على جميع السعاة المصريين والسودانيين .. وأن جميع الكويتيين من موظفى السفارة وزوجاتهم تحت الرقابة الشديدة ، وكذلك تليفوناتهم لمعرفة السارق منهم !

ثم حدثت مفاجأة مذهلة ..

تلقيت رسالة مهربة من احد تلاميذى خارج السجن ، وهو شخص اثق كل الثقة بصدق معلوماته أن السعاة المساكين ابرياء ، وأن موظفى السفارة الكويتية ابرياء ، وأن اللصوص ايضا ابرياء وأن السرقة تمت بأمر شخصية كبيرة فى الدولة . وأن عددا من كبار موظفى الدولة اشتركوا فى عملية السرقة !

وأن الذى أمر بالسرقة هو صلاح نصر .. فقد جاءت أنباء تؤكد أن فى الخزانة مجوهرات ثمينة جدا لا تقدر بثمن !

وتمت السرقة تحت اشراف صلاح نصر .

وتسلم صلاح نصر المجوهرات والمبالغ المسروقة ، وقسم المجوهرات الثمينة الى ثلاثة أقسام متساوية : اعطى القسم الأول منها الى شخصية معروفة فى الدولة واعطى القسم الثانى منها الى شخصية معروفة فى الدولة أيضا واحتفظ بالجزء الثالث من المجوهرات المسروقة فى خزانته !

وجاءتنى الأنباء بعد ذلك تؤكد هذه الرواية الخطيرة المذهلة التى لم يحدث لها مثيل فى اى بلد فى العالم !

اعرف ان بعض الدول سرقت مستندات هامة من سـفارات اجنبية !

ولكن هذه اول مرة فى التاريخ تسرق دولة مجوهرات من خزانة سفارة اجنبية !

ترى هل سيجىء يوم يكشف الشعب فيه هذه الحقيقة المذهلة المرعبـة .

وهل سيعرف الشعب حقيقة صلاح نصر والجرائم التى ارتكبها او امر بارتكابها ؟

وهل سيجىء يوم يجرى فيه تحقيق معه فى سرقة سفارة الكويت واين ذهبت المجوهرات المسروقة !

هذا ما كان يمكن ان يحدث لولا الظلام الذى نعيش فيه ..

الحرية وحدها تضىء الانوار ..

وفى الانوار لا يمكن ارتكاب مثل هذه الجريمة الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل !

اما المفاجاة الكبرى فهى ان كاتب التحقيق فى الاهرام الذى يحاول ان يضلل القراء ويخفى السارق الحقيقى هو مندوب جريدة الاهرام عند صلاح نصر !



في قفص الاتهام اسمع الدجوى
يتلو التهم الموجهة الى !

أصابعي .. تأكلني !

سجن ليمان طره

١١ ديسمبر سنة ١٩٦٦

قامت الدنيا وقعدت ! اتصل وزير الداخلية بمدير مصلحة السجون وقال انه وصلت اليه معلومات بأننى أعيش فى الليمان مرفها ومنعما ! الصيت ولا الغنى !!! واسرع كبار موظفى مصلحة السجون الى زنزانتى ليضبطوا الجريمة الفظيعة .. واكتشفوا اننى اعيش كأى مسجون اقل من العادى .. وان حياتى بسيطة جدا .. وكما قال مدير الليمان ان هناك الف مسجون فى الليمان يعيشون مثلى ! وقيل لى ان الذى اثار غيظ ولاة الأمور ان التقارير قالت اننى اضحك باستمرار فى السجن ! وان هذا الضحك دليل على اننى منعم ومرفه وأعيش كملك . ولو كنت أعيش ككلب كما نصت التعليمات لما ضحكت ولما ابتسمت ! وطلب منى بعض الضباط ان اتظاهر بالحزن والبكاء لأسعد الحكام ! وقلت لهم اننى لا اضحك وانما اسخر ! وسوف اقف على المشنقة وانا اسخر بالظالمين ، لأننى اعلم ان دورهم سيجىء بعدى !

وقيل انه لابد من عمل شىء حتى لا ينزل كلام سيادة الوزير الى الأرض . وبهذا منعوا أغلب الأطعمة التى احضرتها فى الزيارة . وسمعت انك بكيت . والذين رأوك تبكين تأثروا كثيرا ، وكانت قلوبهم تتقطع وهم يصفون لى حزنك وتعاستك . ولكنى لم أتضايق ابدا . اننى عودت نفسى الا اشكو من شىء ، ولا أحتج على شىء ، ولا اطالب بشىء .. اننى على استعداد أن اعيش على العيش الحاف ، ولو كان طعام السجن عبارة عن فول مدمس يوميا لما ترددت فى ان آكله كل يوم . اننى أستطيع أن أعيش على أى طعام، وأجد لذة ان اكيف نفسى فى أى وضع . واحمد الله على أن التحقيق

الدقيق الذى جرى اظهر اننى أعيش فى مستوى دون كثير من المسجونين . وقد فتشوا غرفتى عشرات المرات ، ولم يحدث مرة واحدة أن وجدوا فيها شيئا ممنوعا . ولقد سحبوا الصندوق الذى كنت اضع فيه ملابسى ، والآن اضع ملابسى داخل ورق الجرائد . وقد تضايقت فى أول الامر ، ثم لم ألبث أن عودت نفسى على ان ورق الصحف يصلح أن يكون دولابا أنيقا ! وسحبوا المائدة والكرسى فجلست على الارض . وسحبوا برنس الاستحمام، وتعودت أن انشف نفسى بالفوطة . وعادوا يضيقون على الخناق ويمنعون المسجونين من التحدث معى . وكل هذا وغيره مسائل بسيطة جدا . الانسان فى بعض الأحيان يعتبر اشياء تافهة من ضرورات الحياة ، ولا يلبث بعد مدة أن يكتشف أنه يستطيع أن يستغنى عنها ، ويعيش بغيرها . وكل هذه الأشياء التى حرمت منها لا تساوى وصول خطاب من انسان أحبه !

ان وزير الداخلية لم يشفنى ! احسست أننى أنا الذى ضايقته عندما لم يجدوا فى زنزانتى ممنوعات أو مخالفات ! استطعت أن اعرف نبأ حملة التفتيش قبل وصولها الى زنزانتى بنصف ساعة . اشترك كل زملائى المسجونين السياسيين فى عملية اخفاء الممنوعات .. انهم لم يكتفوا باخراج القلم والورق من زنزانتى ، بل أخفوه فى عنبر آخر !

وامر الوزير بمنع دخول الثلج ! وبعلبة سجاير واحدة استطاع أحد الزملاء أن يلغى قرار الوزير ! كل ما هناك أن الثلج أصبح يصل الى الزميل فى زنزانته ، ويرسله لى الى زنزانتى ! وقد استمر حرمانى من الثلج عدة أيام . وعودت نفسى على شرب الماء العادى، وحمدت الله اننى وجدت ماء عاديا أشربه ، وتذكرت الأيام التى كنت لا أجد فيها نقطة ماء فى صيف يوليو وأغسطس ، ولا أجد ما أشربه سوى ماء التواليت !

ولم اتضايق من أن الوزير منع خبز السكر وطعام السكر ، ومن أوامره تجريد زنزانتى من كل شىء واساءة معاملتى لأكون عبرة لباقى المسجونين !! ولقد أمضيت خمسين عاما من حياتى أدخل أعظم القصور . واقيم فى أفخم فنادق العالم . وأتناول طعامى فى أرقى

مطاعم الدنيا ، واستمتع بكل ما فى الحياة من جمال ، فلا يجوز أن احزن لاننى امضى بضع سنوات فى زنزانة على البلاط ! لقد تعلمت كثيرا فى هذه الزنزانة . واستفدت من كل يوم أمضيته فى السجن ، لاعرف الحياة كلها . كانت حياتى ناقصة قبل ان ادخل السجن . وطبعا لن يوافق اصدقائى على هذه الفلسفة . ولكنى مازلت مصمما على رايى من انه لابد أن هناك حكمة الهية لكل ما حدث لى . الله يعلم أننى برىء . قد يعلم الله أن البلد سيتعرض لكارثة فأخفانى فى هذا المجرور حتى لا تصيبنى قنابل غارات قادمة . ربما ابعدنى عن الحكم والحاكمين حتى لا أصاب فى مكانى بجانب القيادة اصابة مباشرة ! ربما أراد الله ان يحفظنى مما هو شر من السجن فوضعنى فى هذا المخبأ .. فى اثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت الغارات تنهال على باريس كان اهلها يفضلون الاختفاء فى مواسير المجارى !

اننى أعيش على معلبات السردين . السردين هو الشيء الوحيد المصرح بدخوله الآن . وقد فهمت من تاخير ارساله أنه غير موجود فى السوق ! اننى اتغدى فى بعض الأحيان « فول وبيض » .

هذه ثالث مرة اشهد فيها التليفزيون فى اسبوع واحد . وزير الداخلية نسى أن يمنع التليفزيون !! فى التليفزيون انسى اننى فى ليمان طره . اشاهد مباريات كرة القدم واتصور أننى فى الملعب . ألعب مع اللاعبين ، وأجرى معهم ، واسجل معهم الاهداف وتمضى الساعة والنصف فى مشاهدة المباراة كأنها دقيقة ونصف .

ارجو ان ترسل لى زجاجة حبر .. ان اصابعى تأكلنى .. ومعنى ذلك اننى أريد ان اكتب كثيرا !

المأدبة الإمبراطورية

سجن ليمـان طـره

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٦

يا عزيزتي ..

هذه آخر رسالة اكتبها فى عام ١٩٦٦ ، من سخرية القدر اننى كنت احلم بسنة ١٩٦٦ هذه ، وأتصور انها السنة التى ساستريح فيها من الاعباء الكثيرة التى كدت اسقط تحت اثقالها .. كنت أتصور اننى ساحصل فيها على اجازة طويلة . انطلق فيها الى انحاء الدنيا ، بغـير ان اشعر بمسئوليات ، ولا بضرورة موافاة الجريدة بأخبـار ولا ضربات صحفية كل يوم . كنت أعتقد انها ستكون سنة الراحة من عذاب العمل اليومى . لقد حملت على كتفى مسئوليات فى سن مبكرة جدا . كنت نائب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف ، عندما كانت اكبر مجلة سياسية فى مصر ، وعمرى ١٧ سنة ! وهكذا لم يكن لى شباب . ولم تكن لى أجازات . وكان تصميمى أن أعتزل رياسة مجلس ادارة اخبار اليوم عندما أتم الخمسين . وكتبت فى أخبـار اليوم معلنـا اعتزامى على اعتزال العمـل . وغضب الرئيس عبد الناصر . وقال لى كيف تعتزل العمل والبلاد تمر بظروف صعبة، وكيف تنشر فى الصحف انك قررت الاستقالة قبل أن اوافق على قبول الاستقالة .. وضحك يومها الرئيس وقال « أنا ليس عندي استقالات .. عندي اقالات فقط » ! ووافق الرئيس على أن أبقى فى العمل حتى بداية سنة ١٩٦٦ ولكنى فى سنة ١٩٦٦ كنت فى السجن !! وهكذا أصبحت سنة الراحة هى سنة الأشغال الشاقة ، وسنة الانطلاق هى سنة السجن ، وسنة الاحلام هى سنة الكابوس . كنت احلم بأن هذه السنة ستكون مفترق الطرق بين عملى كصحفى عربى وعملى كصحفى عالمى . كنت أتصور اننى سأملأ صحف العالم

بتحقيقات صحفية عالمية ، فاطير الى عواصم الاحداث ، واذا المطافة ينتهي بي الى أن كل ما أكتب هو أخبار الزنزانة التي أقيم فيها ! ولا ادعي أن هذه السنة ضاعت من عمري . فقد تعلمت فيها أشياء كثيرة ، لم تعلمها لي الجامعات التي تخرجت فيها . ولا درجة الماجستير التي حصلت عليها . رأيت في السجن عالما جديدا . كان مجهولا لي . على الرغم من أنني توهمت أن عملي في الصحافة أكثر من ثلاثين سنة جعلني أعرف كل خبايا الحياة . ولكنني أشبه برجل وضع في صاروخ ، وأطلقوه الى كوكب من كواكب الفضاء . واذا بي أكتشف عالما مختلفا . مخلوقات آدمية أخرى . لغة لم أعرفها تقاليد وعادات . فهو مجتمع قائم بذاته .له مساوئه ومزاياه .قوانينه ونظمه . أحلامه ومآسيه . ضحكاته ودموعه . ولا أزعم أن العام ونصف العام اللذين أمضيتهما في السجن جعلاني أعرف كل شيء عن أسرار هذا العالم الجديد ، فهو عالم واسع . يتوه فيه الباحث عالم تحت الأرض . قاع المدينة . ولو أنهم طلبوا مني اليوم أن اكتب كتابا عن حياة السجن لترددت . ما أعلمه أقل كثيرا مما يجب أن أتعلمه .

كانت متعتي في الحياة أن أزرع الأمل في قلوب اليائسين . كنت أرى القلوب اليائسة أشبه بالصحراء الجرداء . وأنا لا أحب الصحراء . سعادتي أن أراها تتحول الى حقول خضراء ومزارع يانعة . وكانت متعتي أن أقطع بسيارتي الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية ، وأحصي الكيلومترات التي تحولت من رمال الى حقول . من العدم الى الحياة . والناس عندي كالصحراوات . نعم انك تحتاج الى جهود جبارة لتحول الرمال الى أرض حدائق . ولكني كنت أجد متعة ولذة في أن أقوم بهذه العملية . أن أحول القانطين الى حالمين .. أن أحول اليائسين المسحوقين الى أشجار وأزهار وورود ! وأنا أعتقد أن في روحي مياها كثيرة من التفاؤل والايمان تكفي لأن تروي أراضي كثيرة جرداء . وكنت أخشى أن يسحق السجن تفاؤلي وايماني وصبري وحبي للناس . والواقع أن الذي حدث هو العكس تماما . تضاعف تفاؤلي . توطد ايماني . زاد صبري . كنت أحب الناس كثيرا وأصبحت أحبهم أكثر . كان بعض أصدقائي يتهمونني بالغفلة لأنني أقول دائما أن الأغلبية العظمى من الناس طيبون والأقلية المسحوقة شريرون . وانه لا يجوز

الحكم على كل الناس بخطايا بضعة افراد . وكان بعض أصدقائي يعتبرون رايي هذا سذاجة ويتهمونني بأنني احكم على الناس وأنا جالس في برج عاجي . والمدة التي امضيتها في السجن لم تزعزع هذه العقيدة ، بل قوتها . مما يساعدني على الايمان بهذا الرأي انني اعطي دائما عذرا للطبيعة البشرية . دائما أعطي للناس أعذارا لانني اقدر ظروفهم . ليست كل المعادن قادرة على ان تحتمل نسبة واحدة من الحرارة . بعض الناس كالورق يحترقون اذا لمسهم عود ثقاب ، وآخرون كالذهب يتوهجون في النار ! انا مثلا اجد لذة في الاحتمال وفي الصمود . وغيري قد يجد نفس اللذة في الشكوى والأنين . ومن الطبيعي أن يجد كل مسجون في السجن أشياء تضايقه وتنكد عليه الحياة . ولكنني انظر الى الامور التي تضايقني نظرتي الى اشياء صغيرة بسيطة تافهة : لا تستحق الشكوى . الحرمان من الحرية في رايي اشبه بمرض السرطان . والمضايقات الأخرى اشبه بالصداع او الزكام . ومن غير المعقول أن احتمل آلام السرطان ، واشكو من متاعب الزكام !! بل على العكس ان متاعب الزكام تنسيني احيانا آلام مرض السرطان . انشغالي بحل مشاكلي الصغيرة ينسيني المشكلة الكبيرة . كان من مشاكلي الصغيرة مثلا انكم نسيتم في الزيارة السابقة احضار الصابون . وقرأت في الصحف أزمة اختفاء الصابون فعذرتكم . وعندي الآن صابونة احافظ عليها، لتستطيع ان تتحمل الى موعد الزيارة القادمة ! ومع بساطة هذه المشكلة وتفاهتها الا انني أشغل نفسي بالاهتمام بها . فالف الصابونة بعناية في ورقة سولفان . واحسب المدة التي تستغرقها في الذوبان . وفي بعض الأحيان أستعمل الصابون الملعون الذي يوزعه السجن . وبذلك اكسب لصابونة غسيل الوجه التي عندي بضعة ايام في عمرها القصير . فالصابون مثل الانسان يذوب من كثرة الاستعمال . وكل واحد منا « يرغى » !.

انا مثلا اسخر من متاعبي وأفلسفها . وعندما تسخر من شيء يتضاءل امامك . يصغر وينكمش . اشياء كثيرة كانت تبدو لي في الماضي كأنها من ضرورات الحياة ، ثم وجدتني محروما منها. لا البث ان اشعر بأنني لست في حاجة اليها . كل شيء مادي أصبح لا قيمة له عندي في الزنزانة . يكفيني ما عندي من ايمان وعاطفة وصمود. هذه الأشياء كبرت في داخلي . لم تتضاءل . الخيال يحول الأشياء

الصغيرة الى اشياء ضخمة . الآن اتناول غدائى وعشائى معا فى الساعة الخامسة . غدائى غالبا عبارة عن علبة سردين واحـدة وعلبة خضار من كانتين السجن . فاصوليا أو بسلة . كنت فى اول الامر افتح علبتى سردين ما دمت اكتفى بأكلة واحدة . ثم رايت الاكتفاء بعلبة سردين واحدة من أجل الاقتصاد .

اهدانى مسجون مخدرات علبة « صوص هاينز » . واهدانى مسجون آخر فى قضية اختلاس زجاجة كاتشاب ! اضع الصوص هاينز على السردين ، واضع الكاتشاب على الفاصوليا ، وبذلك تتحول المـائدة المتواضعة الى مأدبة فاخرة ! ولم اكن اتصور فى يوم من الأيام اننى استطيع ان أعيش ٢٤ ساعة على علبة سردين ! ولم البث ان أحسست انها تكفينى وزيادة . كل ما أحاوله الآن ان اجعل علب السردين التى عندى تكفينى حتى الزيارة القادمة . وفى بعض الاحيان اوفر الصوص الذى اهداه المسجون لى للمآدب الرسمية ! نعم .. فأنا اقيم لنفسى مرتين فى الأسبوع مأدبة رسمية ، فاضيف الى علبة السردين قطعة جبن او برتقالة . وهنا أطلق على هـذه الاكلة الفاخرة لقب الاكلة الامبراطورية . وآكلها بلذة وشهية ، وكاننى اتناول غدائى فى قصر فرساى على مائدة الملك لويس الرابع عشر !

قبل دخولي السجن كنت اتمنى أن الغى طعام العشاء من قائمـة حياتى اليومية . فشلت محاولاتى المستمرة . الآن اشعر بسعادة لان ضرورة الاقتصاد فى السجن جعلتنى اتعلم أن الغى طعام العشاء! وكان يحدث فى الماضى أن أحس بالجوع اثنـاء الليـل فأقوم الى الفريجيدير واتناول قطعة من الجبن أو شوكلاته السكر . ولـكن الآن اكتفى بالافطار والغداء ، واحسد نفسي عليهما ، واتذكر أن هناك فى العالم ملايين لا يجدون علبة السردين التى افتحها !

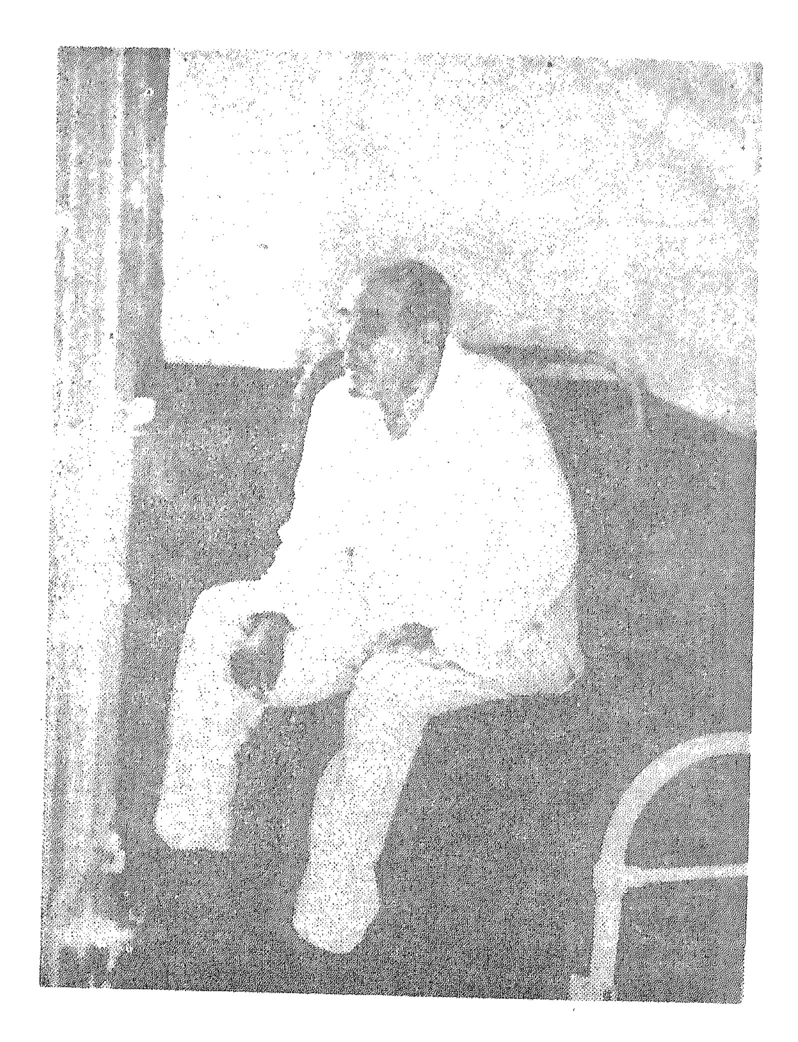
اول ينـاير سنة ١٩٦٧

هذه اول كلمة اكتبها فى العام الجديد . هذاا الخطاب استغرقت فى كتابته عامين ! بداته فى سنة ١٩٦٦ وانتهيت منه فى سنة ١٩٦٧ ، وفى خلال هذه المدة اصبت ببرد شديد وبسعال حاد ، لأنهم خلعوا

الشباك الذى ركبته فى نافذتى بحجة انه مخالف للتعليمات ! أمضيت ليلة لا اذوق النوم لحظة واحدة ، بسبب السعال المستمر . ولكنى اليوم أحسن ولله الحمد . امضيت ليلة راس السنة فى الفراش مع الحمى والأدوية والاسبرين والنوفالجين ، ولـكن المرض لم يكن بالسوء الذى كان فى سجن القناطر الخيرية ، مع فارق واحد وهو اننى فى سجن القناطر كنت اجد زملائى حوالى ، يقومون بخدمتى ، ويضعون المكمدات على رأسى . أوامر الوزير الا يتصل بى أحـد من المسجونين . ولهذا توليت تمريض نفسى بنفسى وأمرى الى الله . زارنى الطبيب وقال لى : لو كنت مسجونا عاديا لنقلتك فورا الى مستشفى السجن . أما وانت مسجون سياسى فلو فعلت لك أى شىء فسيضعوننى فى الزنزانة المجاورة !

من اسوأ الأمور أن يمرض الانسان فى السجن ، ولقد بذلت كل مجهودى لأحافظ على صحتى ، ولكن البرد ، والنوافذ المفتوحة كانت اقوى منى فصرعتنى !

الله معنـا !



مصطفى أمين

التهمة الخطيرة!

سجن ليمان طره

٣ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتي ..

الشهر الماضي كان شهرا صعبا . ربما كان من اصعب الشهور التي مرت بي منذ ان دخلت الليمان . بعد ان كنت احسست ببعض الاستقرار وبالهدوء ، وبعد ان تصورت انني رتبت حياتي هنا ، فوجئت بأن كل شيء تلخبط .. وفي عصور الظلام تقيد حرية الأشراف ، وتطلق حرية النصابين والأفاقين . وعندما تطفأ الأنوار يلزم الناس بيوتهم ، وينطلق قطاع الطرق واللصوص . وفي يوم من الأيام ستعرف مصر أن كثيرين من النصابين المحليين والعالميين انتهزوا فرصة الارهاب والسجون والمعتقلات والخوف العام ونصبوا على الدولة بملايين الجنيهات ! والحال في السجن كما هو خارج السجن . انتهز احد النصابين الأفاقين فرص الارهاب الموجود هنا وتقدم الى المسئولين بتقرير سري ادعى أنني أعيش في السجن في ترف ونعيم ، بل انني أعيش في السجن خيرا مما كنت اعيش في بيتي ، وأن الأطباء يجاملونني ، والموظفين يهتمون بي ، والضباط يحسنون معاملتي ، والحراس يحيونني التحية العسكرية . وانني المدير الحقيقي للسجن !

وصدقت رياسة الجمهورية هذه الأكذوبة ، وانقلبت الدنيا راسا على عقب . واصبح مطلوبا من كل من يعمل في السجن أن يثبت انه يسيء معاملتي حتى يبقى في وظيفته . وبدأ تحقيق مع الأطباء وثبت أنهم أبرياء من حسن المعاملة . وجرى تحقيق مع الضباط وتبين أنهم يعملون ليل نهار على أن ينكدوا على الحياة ! وجرى تحقيق مع الحراس فأقسموا أنهم جميعا الشاويش ديهوم ! وتقرر نقل مأمور

السجن عباس لبيب لأنه ثبت انه ابتسم فى وجهى ، وأنه كان فى يوم من الأيام محررا فى القسم الرياضى بأخبار اليوم ! واصبح حسن المعاملة تهمة ، يجب ن يدفعها الانسان ، ويتبرا منها كتهمة التعذيب فى العصور غير الحره ! .. ثم جاء وزير الداخلية ، واهتم بأن يسأل عن معاملتى ، ونرك الجميع يشعرون بأن المطلوب هو أن يجعلوا حياتى كالجحيم .. ووعده بعض كبار موظفى المصلحة أن يكونوا عند حسن ظنه !!

واصبح السجن يعيش فى هلع . خشية أن يوجه الى أى مسئول التهمة الخطيرة ، وهى أنه يحسن معاملتى . أصبح الحراس يخشون التحدث معى . ان المغضوب عليه من الدولة فى عصر الارهاب يتحول الى مريض بالجرب ، يخشى الأصحاء الاقتراب منه .

ولكن بعد ايام سوف ينسى الحراس تعليمات وزير الداخلية ، وسوف اقنعهم بأن الوزير هو المصاب بالجرب !

وهذه الاتهامات الظالمة هى التى تجعلنى أتمرد على الأنظمة واتعمد مخالفتها ، ولقد كنت الوحيد فى السجن الذى ينفذ الأوامر والتعليمات . الذى يقبل اى شىء بلا اعتراض . الذى لا يشكو ولا يحتج . ومع أن التحقيقات التى جرت أثبتت بجلاء أن هذه الاتهامات الظالمة لا اساس لها ، الا أن سياسة التنكيل استمرت ! اننى وجميع المسجونين السياسيين لا نأخذ حقنا ! لقد وصل خطاب سرى الى مدير الليمان يوم أن جئنا الى السجن يقول أن جميع المسجونين السياسيين اساءوا للوطن ، ولهذا يحرمون من جميع الامتيازات التى يتمتع بها القتلة واللصوص والسفاحون ! أن معنا جواسيس اسرائيل محكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ! وهم يقيمون فى المستشفى الذى حرمت منه ، وتدخل لهم أطعمتهم كما يريدون ، ويتجولون فى أنحاء السجن بلا رقابة ولا حراسة . ويتحدثون مع المساجين كما يشاءون . أن فيكتور وروبير وفيليب ، الاسرائيليين المحكوم عليهم فى قضية لافون ، يعاملون كأسياد . والمصريين من المسجونين السياسيين يعاملون كعبيد . ذلك لأن جريمة الاسرائيليين انهم أساءوا الى مصر ، وجريمة السياسيين

انهم اساءوا الى الحاكم . والخيانة العظمى فى بلادنا هى اغضاب الحاكم او معارضة الحاكم !

ان الذين ينسجون هذه الضجة والاكاذيب حولى هم اول من يعلم انني مظلوم وانني برىء . وأنني لم اتصل بالحكومة الامريكية الا بأمر من رئيس الجمهورية شخصيا وبتكليف رسمي منه ، وان كل اتصالاتي معها كان بعلم رئيس الجمهورية . وهذه هى الحقيقة التي عذبوني حتى لا اقولها فى التحقيقات ولكنهم فشلوا . اننى تحملت كل هـذا ، بعد أن قدمت لبلدى ما قدمت من خدمات ، وما اعترف به رئيس الجمهورية أمام مجلس قيادة الثورة ، وانا احمل هذه المتاعب الصغيرة اليوم واعتبرها ضريبة يجب أن ادفعها لبلدى ثمنا لنجاحى . دفعت لبلدى قبل ذلك كل ما عندى من فكر وعلم ودم واعصاب وقلم ولسان . ولم يبق عندى سوى حريتى ، وشاء القدر ان اقدمها ايضا . انا واثق أنه سيجىء يوم تعلن الحقيقة كاملة . ويعرف الذين ظلمونى انهم حكموا على برىء ، وطعنوا رجلا بخناجر فى ظهره ، بينما هو يقدم لبلاده أعظم الخدمات . اشعر اليوم بأسى عندما أجد بلادى محرومة من القمح ، وقد مكثت سنوات عديدة أحصل عليه لبلادى بلا ثمن . وبذلت من أجل هذه المعونات جهدا قدره رئيس الجمهورية وأشاد به ، وتصورت أن ما فعلته لبلادي ولشعبها هو شيء لا يمكن أن ينكره الذين تنكروا لى . ولكن آخر خدمة العز علقة كما تقول الحكم والأمثال .. لقد كذبوا على رئيس الجمهورية وقالوا له اننى قلت للامريكان الا يعطونا قمحا . وكل الذين قرأوا أوراق القضية يؤكدون انه ليس موجودا فيهـا هذا الكلام الفارغ على رغم كل التزييف والتغيير والتبديل فى اشرطة التسجيل . لا أحد اليوم يجرؤ على أن يقول للرئيس الحقيقة !

ان السجن لا يعذبنى . وانما الذى يعذبنى أن بلادى تتعرض لحصار اقتصادى ، وأشعر فى زنزانتى بأننى عاجز أن افعل من أجلها كل ما فعلته من قبل . كل ما أتمناه أن تجد بلادى من يخدمها اكثر مما خدمتها .. بشرط الا يضعوه فى نهاية الأمر فى الليمان !

ولقد قيل لى أن خطئى الاكبر اننى لا اشكو ولا أحتج . لقد كان الرئيس يتوقع أن اكتب له خطابا أطلب العفو ، وهو متضايق لاننى

لم اكتب . انا ليس عندى ما اقوله لعبد الناصر ، لان كل ما اريد أن اقوله لعبد الناصر يعرفه هو شخصيا أكثر من أى مصرى آخر . كان عبد الناصر يستطيع أن يختار لى تهمة أخرى أشرف من التهمة التى اختارتها لى مخابرات صلاح نصر .

ويعود اصدقائى ويقولون لى : اذا كنت لا تريد ان تطلب العفو ، فلماذا لا تكتب اليه تشكو من سوء معاملتك ! وهم يعتقدون أن الذى اثار هذا الجو ضدى اننى لا اشكو من شىء ، ولا أطالب بشىء، وان هذا الموقف يثير نحوى الريب والشكوك !!

اننى لم اتقدم بشكوى ضد الظلم الكبير الذى أصابنى ، فكيف اشكو من الظلم الصغير ؟ ! اننى لم أشك من التهمة المهينة الظالمة الكاذبة التى وجهت الى ، ولا من الطين الذى القوه على ، ولا من التراب الذى أهالوه على رأسى ، فكيف أشكو من متاعب صغيرة ؟ كيف أشكو اننى لا اجد طعاما آكله ، لأن طعام السجن لا يصلح لمرض السكر والنقرس الذى اصبت به ؟ فكيف اشكو لأنهم يغلقون باب زنزانتى ٢٣ ساعة كل يوم ؟ كيف أشكو اننى وقعت على قدمى ورأسى واصبت بأربعة جروح ، وبقيت أكثر من أسبوعين بلا علاج، لأننى ممنوع بأمر وزير الداخلية من الذهاب الى مستشفى السجن؟ كيف اشكو من أننى المسجون الوحيد الممنوع من التحدث الى أى مسجون آخر ؟ كيف اشكو من أننى اصبت ببرد شديد فى السجن لأننى حرمت من دخول بطانية من بيتى ، فى نفس الوقت الذى سمحوا فيه لبقية المسجونين بدخول بطانيات ؟

كل هذا هو ظلم صغير تافه ، بجوار الظلم الكبير الذى وقع على .. الذى احتمل العاصفة لا يجوز له أن يشكو من هبوب الرياح . الذى لم تغرقه الموجة العاتية لا يجوز أن يخاف من الغرق امام بعض رذاذ الأمطار ! لهذا انا مصمم على الا اشكو ولا أحتج ولا استرحم . اننى تركت مصيرى لله وحده : اذا شاء أنقذنى ، واذا شاء أبقانى فى هذا الجحيم .. واذا مت فاننى اريد أن اموت واقفا ، لاننى ارفض ان اعيش راكعا ! واذا كان ثمن الحرية أن اقبل احذية الطغاة ، فاننى أفضل زنزانة مع الكرامة ، على عرش مع الهوان !

ويجب الا تتصوروا اننى تعس فى حياتى هنا ، على العكس اشعر بان ضميرى مستريح . انهم يخجلون تواضعى بالاهمية التى يسبغونها على . يسعدنى انهم يضعون كل هذه الاهمية لمسجون ملقى فى زنزانة ، ويخلقون حولى كل هذه الأوهام . انهم مثلا يراقبون كل نسخة من جريدة « الأخبار » تصل باسمى ، متوهمين أن محررى اخبار اليوم يرسلون لى خطابات داخل الصحف . وعلى هذا يصلنى كل عدد من جريدة الأخبار ومكتوب عليه كلمة « مراقب » اى ان الرقيب فحص النسخة وتاكد ان ليس فيها خطابات سرية من المحررين ! ولابد انهم عرضوا النسخة على آلات خاصة ليعرفوا اذا كانت هناك رسائل مكتوبة فوقها بالحبر السرى ! آه لو علموا ان الرسائل تصل الى من تلاميذى تحت انوفهم ، ولسنا بالسذاجة حتى نجعل رسائلنا داخل نسخ الأخبار !

ولو عرفوا الحقيقة لعرفوا اننى أطلب من تلاميذى الا يتصلوا بى ، لاننى لا اريد أن يتحمل واحد منهم اى متاعب من أجلى . اننى لا احافظ على أصدقائى فقط ، بل احافظ على السجان الذى يغلق على باب الزنزانة بالضبة والمفتاح . أحافظ على الضابط الذى يشرف على تطبيق التعليمات الصارمة — لا أريد أن أكون سببا فى ضرر اى انسان من أجلى .

والغريب أن الذين يقومون الآن بعمليات فدائية من أجل تهريب الرسائل هم أشخاص لم أعرفهم من قبل !

انهم تلاميذ جدد جندتهم فى السجن !

ان مدرسة أخبار اليوم لها فروع فى كل مكان .. حتى فى الليمان !

خطة للهروب من السجن !

سجن ليمان طره

٢ يناير سنة ١٩٦٧

اختى العزيزة ..

اقبلك ، وارجو أن تكون السنة الجديدة سنة خير وبركة .

بدأ العام الجديد بتشديد المعاملة . ومنع ما كان مباحا . والعودة الى سياسة اغلاق الزنزانة ٢٣ ساعة كل يوم . ورفض المأكولات التى كانوا يصرحون بها فى الزيارة . الغريب أنهم يسمحون لجميع المسجونين العاديين بكل شىء . ما عدا المسجون السياسى !

وحدث ان ذهبت الى محكمة الجنايات لحضور قضية صحفية مرفوعة على اخبار اليوم عندما كنت رئيسا لمجلس ادارتها . واركبونى سيارة لورى تهتز بشدة وعنف اثناء سيرها . وقعت على الأرض . جرح وجهى وساقى . أصبت بجرحين فى ساقى . وجرح فى رأسي وجرح فى أصبع يدى . ولكنى لم أحتج على وضعى فى هذه السيارة التى تشبه المرجيحة . لم تلتئم الجروح بعد بسبب مرض السكر الذى يطيل فى عمر الجروح . ولكن جروح الحياة وجروح السجن لابد أن تلتئم فى يوم من الأيام .

وفجعت عندما قيل لى أن الزيارة سوف تتم وراء السلك ، مع أن الطبيب أمر بأن تتم الزيارة فى المستشفى . وكنت أنوى أن أرفض الزيارة فى هذا الوضع المهين . واصر الطبيب على أن جروحى اثناء وقوعى فى السيارة اللورى تمنعنى من الوقوف اثناء الزيارة ، ولهذا تمت المقابلة فى غرفة الضابط على ألا تستمر اكثر من خمس دقائق !

ثم صدرت الاوامر بالا أذهب الي التليفزيون ، ولا اذهب الى المستشفى ، وباخلاء الطابق الذى أنا فيه مرة أخرى ، وخصص الطابق لخمسة مسجونين سياسيين . اثنان منهم مريضين بالسل ، وثالث مريض بالقلب ، ورابع مريض بالكلى وأنا ! ومنعوا اتصال اى مسجون سياسى أو غير سياسى بى . وأحضروا لى حارسا من أشد حراس السجن ، ويسمونه « قفل » لأنه لا يتفاهم مع أحد ، ولا يقبل مناقشة ،وهودكتاتور صغير يجد لذة فى أن يستبد بنا . ولكنى أحاول الا اصطدم به . ان الطبيب صرح لى بالمشى ساعة . ويحدث بعد ربع ساعة من ابتداء الفسحة أن يعلن الشاويش انتهاء الفسحة ، فلا أعترض ، وأطيعه طاعة عميـــاء ، وأجد لذة فى الخضوع لاستبداده . ان الطغاة الصغار ضعفاء فى داخلهم ، هم ديكور من الخارج وأصفار من الداخل . لا يتحملون ضربة واحدة . يخيفون الناس وهم أشد منهم رعبا . يسعدهم أن يضعوا أقدامهم فوق رقاب المظلومين فترتفع قامتهم . لقد رأيت فى خارج السجن كبراء ووزراء من أمثال هذا الشاويش . وهم فقاعات هوائيـــة الاصطدام بها يزيدها طغيانا ، ويفيدها عند الطغاة الكبار . هذا الشاويش وأمثاله يجب أن نتركهم للزمن حتى يدوسهم بالأقدام !

لقد جاء شعراوى جمعة وزير الداخلية لزيارتى فى الزنزانة ، وسألنى اذا كنت أريد شيئا فقلت « متشكر » وسألنى اذا كنت أشكو من شىء فقلت « متشكر » وعاد يكرر السؤال وعدت أقول متشكر ! ودهش الضباط اننى لم أطلب تحسين المعاملة . لم أطلب معاملتى معاملة القتلة واللصوص والسفاكين . والواقع أننى شعرت بأن شعراوى جمعة لا يملك أن يفعل لى شيئا ! اننى لا أريد أن أعطيه لذة الرفض ، أو أعطيه متعة اننى أطلب منه أو أرجوه !

وكنت بعيد النظر ، فقد ظهر أنه جاء الى زنزانتى ، لا ليسأل عن صحتى . وانما ليفتش عليها ، وليعرف هل أعيش فى ترف ، ثم وجد بنفسه أنه لا يوجـــد شىء مخالف ، واكتفى بأن طلب التشديد فى المعـــاملة .

ثم حدث ان أحد الحشاشين ابلغ المسئولين أن هناك مؤامرة لاختطافى من السجن ، وفوجئت بتشديد الحراسة على ، وبمدير الليمان يدخل زنزانتى فى الساعة الواحدة صباحا ، ليتأكد أن قضبان

الحديد فى زنزانتي سليمة ولم أنشرها بمنشار ! وفوجئت بحالة ذعر فى الليمان ، فى كل خطوة أخطوها ، وقد ضحكت كثيرا من هـــذه الأوهام . ولابد ان هذه العاصفة سوف تهدأ بعد فترة من الوقت ».

ولكن هذه الاكذوبة احدثت اثرها . فوجئت بعد أيام بأن زميلى المسجون عيد عبيد وهو ابن شيخ قبيلة كبيرة فى سيناء ، ومحكوم عليه بالسجن المؤبد فى قضية مخدرات . فوجئت به يقول لى أنه وضع خطة كاملة لتهريبى من السجن . وان اشـــاعة خطفى ، وتشديد الحراسة على ، هى الفرصة الذهبية لتنفيذ خطة الهروب.

وفوجئت به يقدم لى خطة متكاملة ، بالخرائط والرسوم ، وبعدد السيارات التى سوف تشترك فى عملية الهروب ، وكيف أعد مفتاحا لفتح ابواب زنزانتي وزنزانتـــه ، وفتح باب العنبر ، وفتح باب السجن ، والسيارة التى سنهرب بها الى المعادى ، والطريق الذى سوف نسلكه الى البحر الأحمر ، وكيف سنعبر البحر ، والمكان الذى سنختبىء فيه فى سيناء . ثم كيف يمكن بعد ذلك الهروب الى اى بلد اسلامى أو أوربى يقبلنا كلاجئين .

درست الخطة فوجدتها خطة رائعـــة . ولكن اذهلتنى دقـــة التفاصيل ، وأنه لم يترك أى شيء للصدفة . .

وقال لى ان الخطة تتكلف حوالى خمسين الف جنيه .

قلت له : اننى لا أملك مليما واحداً .

قال : انا واصدقائى سندفع هذا المبلغ ولن تدفع قرشا !

قلت : وماذا يجعلك تقوم بكل هذه المخاطرة وكل هذه التضحية ؟

قال : ايمانى بأنك مظلوم .

قلت له : ان الخروج من السجن لا يهمنى ، وانما الذى يهمنى هو اثبات براءتى . لو هربت من السجن فاننى بذلك سأؤكد التهمة الظالمة التى يعلم الله أننى برىء منها . ان الذى يهمنى أن يقتنع الذين ظلمونى بأنهم ظلمونى . السجن نفسه لا يؤثر فى ، وانمـــا

الذي يؤثر في هو الظلم . هو أن اقدم هذه الخدمات الضخمة لبلدي طوال عمرى ، ثم ينتهي بي الأمر الى ان تلصق بى هذه التهمة الظالمة . عزائى اليوم أن الأغلبية العظمى تعلم أننى برىء ، وكل ما أتمناه هو ان يعرف هذه الحقيقة الذين خدعوا بالتلفيق والأكاذيب ضـــدى .

قال لي شيخ العرب عيد عبيد : ان هروبك سيمكنك من الدفاع عن نفسك واثبات براءتك .

قلت : اننى اطمع فى أن اثبت براءتى وأنا مسجون .

وكان الصديق عيد متحمسا لتنفيذ الخطة . وقد عرض الفكرة على بعض اخوانه واعوانه خارج السجن فتحمسوا لها .. بل ان بعض الذين يعملون فى داخل السجن أبدوا استعدادهم للاشتراك فى الخطة ..

واغرب ما حدث أن الدولة هى التى أوحت لهم فكرة تهريبى ، فلولا الاحتياطات التى اتخذت لمنع خطفى من السجن ، لمـــا خطر ببال أحد ان يفكر فى تدبير عملية الهرب .. وأعجب من هذا أن بعض الذين كلفتهم الدولة بالتشديد فى مراقبتى ، كان أول من اقترح على عيد عبيد فكرة تهريبى .. وكان حماس عيد لى لاعتقاده أنه مظلوم ، وأن قبيلته أدت الى مصر فى سيناء خدمات وطنية كبيرة ، وأنه جزاء هذه الخدمات لفقت له قضية تهريب مخدرات .

قال عيد : اذن سأهرب وحدى .

واقنعت عيد بأن يعدل هو الآخر عن الهرب ، ويحاول أن يثبت براءته من داخل الزنزانة ، وبدأنا معا نعد خطة اقناع المسئولين ببراءته ونحن داخل الأسوار !

وهكذا ترين أن الأزمات لا تجعلنا نركع على ركبنا . انها على العكس تزيد رغبتنا فى التحدى والانتفاض . اننى أستقبل الأزمات والمحن بابتسامة ، وما دامت هذه الابتسامة على شفتى فاننى قادر على أن أحتمل اضعاف أضعاف ما أنا فيه .

كنت اتسور أن الذين وضعونى فى السجن اكتفوا بالظلم الذى ادى الى دخولى السجن . ولكن يبدو انهم لا يكتفون بذلك . ايديهم تمتد الى داخل الزنزانة تحاول أن تضيق على الخنـــاق . كنت اذهب يوميا الى مستشفى السجن لعمل تحليل للسكر ، ولعمل اشعة على العمود الفقرى ، وصدر أمر بالا اذهب الى المستشفى ، وان يجىء ممرض الى زنزانتى لتسلم البول ، وحمله الى المستشفى . وصدر أمر بالغاء العلاج بالاشعة . كل مسجون فى السجن من حقه ان يتكلم مع مسجون آخر ، ولكنى الوحيد الممنوع بأمر وزير الداخلية من ان اتحدث الى اى مسجون فى الليمان . وهذا هو الذى يجعلنى أجد لذة فى تحطيم أوامر الوزير ، واللف حول تعليماته ، والسخرية بقراراته . آه لو علموا أنه لولا تعنتهم فى التنكيل بى ، لمـــا تفننت فى الهـــزء بهم ومخالفة قراراتهم الالهيـــة ! وهم يتصورون أنهم يقتلوننى باغلاق باب الزنزانة ٢٣ ساعة كل ٢٤ ساعة .

آه لو علموا أننى أنتهز هذه الساعات التى أنفرد فيها بنفسى ، لاقرأ ما منعونى من قراءته ، واكتب ما لا يتصورون أننى أكتبه . لولا الظلم والقهر والالم والضغط والارهاب لمـــا كتبت أحسن ما كتبت فى حياتى !

معتقل سياسي
عمره ١٤ سنة!

سجن ليمان طره

٤ يناير سنة ١٩٦٧

عزيزتى ..

رايت سطور خطابك مليئة بالأسى ، لانك رايتني يوم الزيارة ارتجف من البرد . خطابك ملأني بالدفء . حرارته أشبه بجهاز تدفئة فى زنزانتي المثلجة ! جسمى كان يرتجف من الخارج . أما روحى فهى مليئة بحرارة الايمان . دمى يتجمد من برد السجن ، ولا يلبث أن يذوب ويسيل ، بفضل ما أشعر به من حب .. الشمس تشرق فى بلاد القطب الشمالى مرة كل ستة أشهر . وأنا أرى الشمس مرة كل شهر عندما يزورنى الذين احبهم . اراهم ، المسهم ، اتحدث اليهم . أنا أحسن حظا من سكان القطب الشمالى !

عندما ارتعش من البرد فى الليمان القارص ، احاول أن أدفئ نفسى بالخيال والأفكار . أقول مثلا أخى على يقيم فى لندن الآن ، والبرد هناك لا يحتمل ، ولما كنا توأمين فيجب أن أشاركه البرد الذى يحس به وهو يمشى فى شوارع لندن التى يغطيها الجليد . صحيح أن الجليد فى شوارع انجلترا ، والثلج فى فراشى فى الزنزانة ، ولكن يمكن التجاوز عن عدم تطابق هذا التشبيه فى سبيل أن احس ببعض الدفء ! عندما يتضاعف احساسى بالبرد أصبر نفسى بأننا الآن فى شهر يناير ، ولم يبق من شهور البرد سوى شهر واحد وهو شهر فبراير وينتهى البرد ، ويبدأ الربيع . صحيح اننى اغالط نفسى فى الحساب فنحن لا نزال فى أول يناير ، والربيع لا يجىء الا فى الأسبوع الأخير من مارس ، ومعنى هذا ان المسألة هى ثلاثة شهور من البرد لا شهر واحد ، ولكن أحس وأنا ارتعش من البرد

داخل الزنزانة القاسية أن مصلحتى أن ألغى منطق الأرقام لأوهم نفسى بأننى فى طريقى الى الدفء أصبت فى المدة الأخيرة ببرد شديد ، وكان صوت سعالى يشبه زئير الأسد فى أول أفلام شركة مترو جولدوين .

وحدث أن كنت اشعل عود كبريت ، وعلى الرغم من انه مكتوب على العلبة « شركة النيل للكبريت . كبريت أمان » فقد انفجر عود الكبريت فى عينى ، ولكن الحمد لله لم تصب عينى ، وانما أصيب جفن عينى . وبالاضافة الى الجروح التى فى أصبعى وفى جبهتى ، وفى ذراعى أصبحت اشبه بمشوهى الحرب ، فاذا أضيف الى ذلك مرض السكر والنقرس والضغط والروماتيزم والعمود الفقرى فقد أصبحت أشبه بمستشفى عام !

اننى أقاوم كل هذه الامراض ضاحكا ، ساخرا من نفسى ، فأنا أكره الشكوى ، ولا أحب أن أذهب الى الأطباء ، وقبل دخول السجن كان الأطباء هم الذين يجرون ورائى ، ولم أكن أنا الذى أجـرى وراءهم ، ومازلت أتبع هذه العادة ، ويظهر أننى ورثتها عن أجدادى من بقايا عصور الجاهلية ، وأنا أعلم أن وزير الداخلية لا يريد أن أذهب الى الأطباء فى مستشفى السجن ، خشية أن أعلم منهم مايجرى فى البلد . والمسكين لا يعرف أننى أعرف كل ما يجرى فى البلد وأنا جالس فى زنزانتى لا أتحرك . وحتى اذا أمكن منع الرسائل التى تهرب لى فسوف أعرف ما يجرى فى البلد . يكفى أن أحملق فى وجوه المسجونين السياسيين الذين يزيدون كل يوم لأعرف حقيقة ما يحدث فى مصر ! ان معتقـل طـره امتـلأ بالمسجونـين السياسـيين والمعتقلين السياسيين ، ولم يعد فيه موضع لقدم . رجال من كل نوع . نشاط معاد . وفديون . اخوان . شيوعيون . يمينيون . يساريون ، أساتذة جامعة . طلبة جامعة . أطبـاء . مدرسون . علماء . عمال . ان البعض يقول أن المسجونين السياسيين والمعتقلين وصلوا الى مائة الف ، وانا أقدرهم بأكثر من خمسين الفا . ذات يوم رأى بعض كبار المحامين المعتقلين ولدا فى داخل المعتقل يبلغ من العمر ١٤ سنة ، وتصوروا أنه ابن أحد الضباط ، ولكنهم لاحظوه موجودا فى المعتقل فى الأيام التالية . وتقدموا منه بدافع من الفضول وسألوه :

— من أنت ؟

قال الولد : معتقل سياسى !

سأله المحامون فى ذهول : انت معتقل سياسى ؟

قال : نعم .

فسألوه : وكم عمرك ؟

قال : ١٤ سـنة !

قالوا فى دهشة : معتقل سياسى وعمرك ١٤ سنة .

قال الولد ببساطة : نعم .. وهذه هى المرة الثانية التى اعتقلونى فيها ! وقد مضى على فى المعتقل الآن ثلاث سنوات !

وقص عليهم الولد ، انه فى المرة الأولى كان عمره ٤ سنوات ، وكان يقيم مع أسرته فى حى شبرا ، وكان ذلك فى سنة ١٩٥٤ ، وجاءت الشرطة العسكرية تقبض على شقيقه وكان من الاخوان المسلمين ، ولم تجد الشقيق ، فقد هرب الى الصعيد . فما كان من ضابط الشرطة الا أن قبض على الطفل البالغ من العمر ٤ سنوات ، واودعه فى قسم الشرطة ، وقال انه سيفرج عنه عندما يظهر شقيقه الهارب . وبقى الطفل فى القسم يلاعبه الجنود والضباط شهرا كاملا الى أن عرف الشقيق الهارب ما يحدث لشقيقه الصغير ، فتقدم الى القسم وسلم نفسه ، وعندئذ فقط افرجوا عن الطفل وعـاد الى أهله .

وفى سنة ١٩٦٥ صدر قرار جمهورى بالقبض على جميع الاخوان الذين اعتقلوا سنة ١٩٥٤ .. وكان الطفل قد كبر وأصبح عمره ١٤ سنة .. وجاءت الشرطة وقبضت عليـه من جـديد وأودعته المعتقل !

وصمم اساتذة الجامعة المعتقلون على أن يعلموا هـذا الولد الصغير ، فكانوا يتناوبون على التدريس له ، حتى نال شهـادة الاعدادية بتفوق .

وكتب الأساتذة مذكرات الى ولاة الأمور بامضاء الولد يتظلمون من قرار اعادة اعتقاله ، ويروون ما حدث .. ولكن أحدا لم يقرأ ولم يهتم أن يقرأ .. لأن كل الذين فى المعتقلات والسجون مظلومون !!

شعرت بسعادة لا حد لها عندما قرأت اعلانات فيلم معبودة الجماهير ، وعرفت انهم أفرجوا أخيرا عن قصتى ، بعد أن سجنوها أكثر من عامين ، واشترطوا لعرضها أن يحذف اسمى من الفيلم كمؤلف الرواية . ان ولاة الأمور سذج حقيقة . ان قصتى نشرت مسلسلة فى مجلة المصور ، ونشرت بعد ذلك فى كتاب طبعته دار الهلال ونفدت طبعته فى أيام . والناس كلها تعرف أننى مؤلف القصة . وكل من يتفرج على الفيلم سيذكر أننى انا المؤلف . ان حذف اسمى هو اعلان عنى . لا أصدق أن فراعنة أقوياء لهم النفوذ والسلطان والهيل والهيلمان يخافون من مسجون مقيد فى الأغلال فى زنزانة ! انهم يخشون أن الناس سوف تذكرنى ، وهم يريدون أن ينسانى الناس ، وكلما تصرفوا هذه التصرفات الصبيانية سوف يتذكرنى الناس أكثر ! اشعر بهناء عندما يضربونى كل يوم . لأن هذا دليل على أننى لازلت على قيد الحياة ..

وانا زاهد فى ذكر اسمى . كان اسمى يظهر فى الصفحات الأولى من صحف الشرق الأوسط منذ أكثر من ثلاثين سنة . وكثيرا ما كنت لا أوقع ما اكتب . أو أخترع امضاء أوقع به على ما اكتب . انا لا يهمنى أن يظهر ما اكتب تحت اسمى . كل ما يهمنى أن ينشر ما أكتب . هذه أكبر متعة أشعر بها . عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرى كنت اشعر بسعادة لا حد لها عندما كان الناس يقرأون ما اكتب بلا امضاء ويؤكدون أن الكاتب هو التابعى أو فكرى أباظة أو عبد العزيز البشرى . لقد مكثت من عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٣٨ أكتب بلا امضاء . الذى يحدث اليوم أننى عدت الى أيام طفولتى . أصبحت اشعر بنفس السعادة ونفس النشوة . وفى لحظة شقاوة تمنيت أن تصدر الحكومة أمرا للنقاد بأن يشتموا القصة ويهاجموها ، وبذلك يزداد الاقبال عليها !

انهم يقولون لى أن ايمانى الراسخ ، وضحكى الدائم يضايقان بعض ولاة الأمور وانهم يقولون « ما دام لا يزال يضحك فليبق

يضحك فى الليمان » ! اى المفروض أن أبكي لأستحق العطف . الراكعون على ركبهم لا يخيفون احدا ، وهم يقولون أن ارتفاع باب الخروج من السجن « واطى » فيجب أن أحنى رأسي حتى أخرج ! ولا أعرف ماذا أفعل .. ان الله خلقنى طويلا ، ولو ركعت على قدمى فسابقى اطول من المطلوب . المطلوب أقزام . أو رجال يزحفون على بطونهم . او رجال بلا عمود فقرى .. كل هذه الشروط غير متوفرة . ولهذا أعتقد أن سجنى سيطول ، فاما أن يطيلوا ارتفاع الباب ، واما أن يقطعوا رأسى لتستطيع قامتى أن تخرج من باب السجن !

وعلى كل حال انا مؤمن بأن الله معنا ، وأنه لن يتخلى عنا ، وأنا أعرف أن هذا الايمان الغريب يضايق الذين يريدون أن « يؤدبونى » . ولكن هذا الايمان يمتزج بـدمى . اننى أتصور أنهم اذا وضعونى على المشنقة ولفوا الحبل حول رقبتى فسوف أقول : انا متفائل !

انا لا أحسب عمرى بالسنوات التي أعيشها . اننى أعتبر أن التاريخ كله هو عمرى . حياتى كانت أطول من اللازم واعرض من اللازم . الأعمال التى قمت بها أكثر من عمرى . العواصف التى تعرضت لها ، وأتعرض لها الآن ، وسوف أتعرض لها فى المستقبل لا تخيفنى . لا تشقينى بل تسعدنى . انها تؤكد أننى مازلت حيا ، وأننى لم أنته بعد . لو كنت انتهيت لما هبت هـذه العواصف والزوابع . انا اشكر العواصف ولا ألومها . أرحب بها ولا أهرب منهـا .

صوت العواصف فى أذنى أشبه بالطبول تعلن قدوم موكب الحرية!

أخشى على بلادي
من الهزيمة !

سجن ليمان طره

٣٠ يناير سنة ١٩٦٧

اخي العزيز ..

لم أكتب لك منذ وقت طويل . آخر خطاب كتبته لك منذ حوالى العام . فى كل لحظة اشعر بأن أصابعى تأكلنى ، لتكتب اليك كل يوم خطابا . ما باليد حيلة . تعليمات وزير الداخلية الا اكتب لك . ولهذا فسوف احاول أن أهرب لك هذا الخطاب . شاء القدر أن يفترق التوأمان اللذان لم يفترقا أبدا . جمعنا الله فى بطن أمنا وعندما خرجنا من بطن أمنا كانت الدنيا بالنسبة لنا هى بطن أمنا . بقينا خمسين سنة ملتصقين أشبه بتوأمى سيام . ثم جاءت هذه العملية الجراحية لتفصل بيننا . عندما أجريت عملية مماثلة للتوأمين الملتصقين مات الاثنان على الأثر . شاء الله أن نعيش . ولعل الله يرتب لنا فى المستقبل أن ينهى هذه المحنة ونلتصق من جديد . فى بعض الأحيان أتصور أننى أحلم . غير معقول أنه مضى على فى السجن سنة ونصف . وأنه بعد ثلاثة شهور سيكون قد مضى على فراقنا عامان كاملان ! قرأت عن اللامعقول . كنت أسخر من قراءاتى . ولكن شاء القدر أن أعيش فيه . أهم ما يهمك هو حالتى النفسية . الواقع أنها عالية جدا . اكثر مما تتصور . اذا كان الحاضر ضدى فالمستقبل معنا . التاريخ سوف ينصفنا .

كنت أعيش قلقا على بلادى . كنت اخاف عليها . كنت أعتقد أن أى شىء يصيبها سوف يصيبنى . ان أول رصاصة ستطلق عليها سوف تقتلنى وتقتلك . لأننا كنا نحارب فى الصف الأول دائما . من الطبيعى أن الذين يحاربون فى الصفوف الأولى هم الذين يقتلون

اولا . حينا برصاص العدو . وحينا برصاص الذين يحاربون في الصفوف الخلفية . ومع ذلك فعندما أصابتنى الرصاصة لم احقد على أحد . سواء اصابتنى عن قصد او عن غير قصد . اننى احببت بلادى واحببت كل من فيها، حتى الذين اصابونى برصاص دمدم !

كثيرا ما قلت للرئيس عبد الناصر اننى أخاف عليه من المعارك المتوالية . لا نكاد نخرج من معركة حتى ندخل معركة . كنت اقول له اعط البلد فرصة ليسترد أنفاسه قبل أن تدخله معركة جديدة . وكان يقول لى أنه يحب المعارك ، وعندما يلاحظ أن البلد هادىء ولا حركة فيه يفتعل معركة ليتحرك كل شيء .

وكنت أقول له أننا فى حاجة الى بضع سنوات لنبنى بلدنا من الداخل . لنرفع مستوى عمالنا وفلاحينا المطحونين المهزومين .. فكان يقول ضاحكا ان المعارك الخارجية الذ من المعارك الداخلية . الثانية نتائجها لا تظهر الا بعد عشرين سنة والأولى تظهر نتائجها فى اليوم التالى !

وكان عبد الناصر يتضايق أحيانا من اصرارى على أن ندرس كل خطوة قبل أن نخطوها ، فكان يسألنى : انت خايف ؟

وكنت اقول له : انا لست خائفا على نفسى أنا خائف على البلد .

ومع أننى فى السجن ،فاننى أعيش مع بلادى لحظة بلحظة .. كأننى لا ازال أشترك فى معاركها ، أتمنى لها النصر . أقلق عليها . أخشى عليها من الهزيمة . كل ما أشعر به هــو الأسف . اننى لا أستطيع أن أشارك فى معاركها ، لسبب خارج عن ارادتى . ان يدى مقيدتان بالسلاسل ، ولا تستطيعان أن تحملا مدفعا دفاعا عنهــا !

ومع ذلك فاننى أنتهز كل فرصة لاحذر من الخطوات الطائشة . أخشى على عبد الناصر من الذين يزينون له المغامرات ، وهم لايعرفون أن أعداءنا يتربصون بمصر ، وسوف ينتهزون أول فرصة لضربها . هذا الكلام قلته لهيكل فى كل مرة جاء لمقابلتى ليبلغه للرئيس . ولكن

هيكل هز كتفيه استخفافا . وهو يتصور اننا قادرون على أن نسحق اسرائيل والولايات المتحدة . ان الذى درس التاريخ يعلم أن ما أصاب هتلر وموسوليني كان نتيجة عدم حصولهما على معلومات حقيقية عن قوة أعدائهما . ان اتصالاتي طوال هذه السنين بالرئيس جعلتني أعرف أن أجهزة معلوماته لا تقدم له الدقيقة ، وانما تقدم له مايسعده أن يقرأه . فاذا اختار مثلا احد الاشخاص لمنصب كبير تنافست الأجهزة في وصف الصدى الطيب لدى الرأى العام ، واذا غضب الرئيس على شخص ورفته من وظيفته انهالت التقارير على الرئيس تقول ان الشعب من الاسكندرية الى اسوان يلعن سنسفيل هذا الموظف المرتشي الجاهل الحقير !

حالتي الصحية جيدة . واجب السجين أن يحافظ على صحته بأى ثمن . الويل له اذا مرض . مقاومة البرد كانت مسألة عويصة . كنت اتعرض للبرد فى شقتي بالزمالك وفيها تكييف ساخن وفوقي عشرات الألحفة والبطاطين . وزنزانتي اشبه بالثلاجة او الفريجدير . ومع أن البطاطين ليست كافية فقد تغلبت بقوة صمودى وايماني على زمهرير الشتاء . ولم افهم معنى كلمة زمهرير عندما كنت فى الاتحاد السوفيتي ، أو عندما كنت فى انجلترا والولايات المتحدة . ولكني عرفته جيدا وانا فى زنزانتي فى ليمان طره . أصبت بالبرد مرة واحدة ، من الغريب أن اصابتي كانت فى نفس موعد اصابتك بالبرد . من الطريف أنه غير مسموح لنا بارتداء معاطف . ولا ارتداء بدل صوف . المسموح به ارتداء بدلة من الدمور الخفيف ، وأخفى تحتها بول أوفر . فى الوقت نفسه أرى الحراس يرتدون بدلا من الصوف ومعاطف ثقيلة جدا ، ومع ذلك يرتعشون من البرد اكثر مما ارتعش ! تحديت البرد حتى الآن . هزمني مرة واحدة . لم يبق من الشتاء القارص سوى شهر واحد . كلما تشرق الشمس فى الصباح أشعر بأنني ابتعد تدريجيا عن الثلاجة . عندما كنت اشعر بقسوة البرد كنت أذكر زملائى المسجونين فى الطوابق الثلاثة التي تحتي ، وهم ينامون على الأسفلت وبعضهم اضطر أن يبيع البطانية ليشتري سجائر . وبعضهم أشعل النار فى البطانية ليتدفأ على حريقها . ومن الغريب أن فى السجن آلاف السراير . ولكنهـا موضوعة فى المخازن . بل أن بعضها كسروه ، ليصنعوا منه درابزين يحيط بحدائق السجن الفسيحة لتزين الحدائق . والنوم على السرير

فى السجن نعمة كبرى . لا يتمتع به الا المريض الذى على وشك الموت ! وفى كل اسبوع يجىء الطبيب ليكشف على المريض ليرى هل هو يستحق السرير الذى ينام عليه ! فاذا شعر الطبيب بأن المريض تحسن ، سحب منه السرير وأعاده الى الأرض . وفى كل مرة يجىء فيها الطبيب ، كنت أخشى أن أكون شفيت من السكر والنقرس والعمود الفقرى والروماتيزم فأنام على الأرض . وهكذا ترى أن أمراضى كانت نعمة فى السجن وليست نقمة !

ومن الغريب انه كان فى سجن مصر سرير لكل مسجون ، ثم حدث أن حطم بعض المسجونين سرايرهم . فصدر قرار بمنع السراير !! ومن القواعد الموجودة فى السجن أن النعمة تخص والنقمة تعم . فاذا أخطأ مسجون واحد من مئات المسجونين الذين يقيمون فى عنبر واحد ، عوقب مئات المسجونين بذنب المسجون الواحد .

وحدث مرة ان كنا اكثر من مائة نشهد مباراة الكرة فى التليفزيون، وارتفع صوت احد المسجونين ، وعقابا له أخرجنا الضابط جميعا من غرفة التليفزيون ، ولم نكمل مشاهدة المباراة !

لست أعرف كيف أشكرك على أطعمة السكر . انك فى الواقع انقذتنى أكون شاكرا لو كررت شهريا ارسال هذه المعلبات . لقد ارسل لى الأخ سعيد فريحه معلبات فراخ بالكسكسى . وأنا لم أذق الكسكسى طول حياتى ، واضطررت أن آكله وأمرى الى الله . اضطررت شهورا طويلة أن أعيش على السردين . ثم اختفى السردين فعشت على البيض المقلى واختفى البيض المقلى فعشت على الفول المدمس فى الصباح والظهر والعشاء !

من طبيعة السجن أن لا استقرار فيه . القلق هو الاستقرار . تعليمات اليوم تلغى غدا . وتعليمات الغد تلغى بعد غد . لقد حدث أن سمحوا لى بدخول طعام مرض السكر مرتين فى الشهر ، ثم الغوا هذا النظام . ثم أعادوه . ثم تقرر الا يدخل لى أى طعام . ثم تقرر الا يدخل لى سوى ثلاث معلبات مرتين كل شهر . وتصور مريضا يعيش على ست معلبات صغيرة فى الشهر ! ثم تغير النظام بعد أن احتج الأطباء . وقالوا ان معنى هذا القرار أن أموت من الجوع.

ثم قدم تقرير من أحد النصابين بأنني أعيش منعما فى السجن . وعلى الأثر صدر قرار بمنع أى طعام من ان يدخل لى فى السجن . ثم ظهر من تحقيق الشكوى انها كاذبة فتقرر السماح لى بدخول بعض المعلبات ! وهكذا .. اننا كل يوم فى حال ولعل من نعمة الله أننى لا اشكو ابدا من الملل ، لأننى اتوقع فى كل لحظة شيئا جديدا مختلفا. ومع ذلك فاننى لم اشعر بالجوع ابدا . كنت اجد دائما يدا كريمة تمتد لى من وراء القضبان تحمل طعاما شهيا ! كانت السماء أحيانا تمطر كباب حاتى وسمكا وفراخا .. وطعمية !

اننى أحمد الله على أننى احسن بكثير من ايامى الأولى . الفرق كبير بين النوم على الأسفلت والنوم على السرير . بين أيام كنت أدخن فيها نصف سيجارة ، وبين الآن وعندى ما يكفينى من السجائر بين أيام كنت لا اعرف اذا كنت ساجد ما آكله أم سأعيش طوال اليوم على الطوى ، وبين الآن وأنا عندى معلبات كسكسى !

حاولت ان آكل طعام السجن فلم استطع . اكل السجن هو علقة يأكلها المسجون ثلاث مرات كل يوم . وقع فى يدى اليوم خطاب سرى أرسله كبير أطباء السجن الى مدير المصلحة يقول فيه « قضت التعليمات بأن يقدم للمسجونين خضروات طازجة . وفى الشهور الأخيرة لم تقدم سوى فروع الفجل . فنرجو الأمر بارسال خضروات حفظا لصحة المرضى ، وخاصة لضرورة وجود فيتامينات » .

تصور .. ان الوف المسجونين السياسيين وغير السياسيين مكثوا عدة شهور لا يأكلون الا فروع الفجل !!

أنظمة السجون فى حاجة إلى اعادة دراسة شاملة كاملة . من الأسف ان أكثر المثقفين فى مصر دخلوا السجون وخرجوا منها ، ولم يقدموا أية مقترحات لاصلاحها . فأنا مثلا لا افهم لماذا يرفضون أن ينام المسجون على سرير ، أو على مرتبة . ولماذا لا يسمحون بدخول البطاطين ؟ أو يسمحون ببيع البطاطين فى الكانتين ؟ ولا افهم لماذا يمنعون دخول الشاى . بينما الشاى المطبوخ يباع فى الكانتين ويقدم للمسجون باردا وبشكل ردىء ، بحيث يفضل المسجون أن يصنعه بنفسه ويشتريه من السوق السوداء . والفكرة من السجن

أن يتعلم المسجون كيف يحترم القانون ، والعكس هو الذى يحدث فهو يتعلم يوميا كيف يخالف القانون يخالف القانون ليجد غطاء . يخالف القانون ليأكل . يخالف القانون ليحصل على صسابونة ليستحم . يخالف القانون ليكتب خطابا . يخالف القانون ليشرب فنجانا من الشاى . يخالف القانون ليضىء النور فى زنزانته .

كان من أكبر متاعبى أن النور ينطفىء فى الساعة التاسعة من مساء كل يوم . وأبقى فى فراشى مستيقظا فى الظلام الى ما بعد منتصف الليل وكنت أقع على وجهى فى طريقى الى جردل البول . ثم استعنت بشمعة ثم ظهر أن الشمعة ممنوعة .

وبعد مجهودات ومفاوضات ومباحثات وافق المدير على بقاء النور فى زنزانتى طول الليل باعتبار أن زنزانتى ملحقة بالمستشفى ، كما جاء فى الأمر الجمهورى ..

وهكذا أصبح لدى وقت أكبر للقراءة والكتابة . وحمدت الله على هذه النعمة . ولكن لا أكاد أحمد الله على نعمة حتى أفاجأ بأن هذه النعمة فى خطر . حدث اليوم أن استدعانى المأمور وقال أن وزير الداخلية تلقى تقريرا أننى أتلقى صحف العالم ، وأن الاتجاه ، الى منع الصحف اطلاقا عنى . ونزل على الخبر كالصاعقة . وأكتب اليك هذه السطور ولا أعرف ماذا سأفعل من غير صحف ، سأعود الى تهريب الصحف من جديد ،وسوف أعيش أيامى فى فزع خشية أن يضبطوا الجرائد والمجلات فى زنزانتى .

اننى أحيانا أتصور أن وزير الداخلية لا عمل له فى الحياة الا أن يتعقبنى داخل الزنزانة .

أن هناك تعليمات مشددة حول طريقة معاملتى بالذات . كل مرضى السكر فى المستشفى ما عداى . أنا لا أسير الا وخلفى شاويش وهو نظام متبع مع المحكوم عليهم بالاعدام فقط . المسجونون العاديون تدخل لهم الأطعمة أما أنا فلا .

المسجونون تدخل لهم البطاطين . وأحضرت لى زينب بطاطين من البيت فمنعوا دخولها . عندما أذهب الى المحكمة فى قضية صحفية

مرفوعة على أخبار اليوم ، يضعونني في سيارة ، يتقدمها موتوسيكل ووراءها سيارة نجدة ، ثم سيارة فيها ضابط مباحث ومعه تليفون .

وعندما أصل الى المحكمة أجد في انتظاري تسعة ضباط . يسمح لكل مسجون يذهب الى المحكمة بأن يجلس مع اسرته ، يمنعون أسرتي وحدي من الحق الذى تتمتع به اسرة كل مسجون .

لا اعرف ما هو السبب في هذه « الامتيازات » . انهم يحيطونني بأهمية لا أستحقها .

لقد اعترف لي أحد كبار الضباط الذين كانوا في حراستي بانه في حيرة ان الأوامر أن يخفوني عن الناس ، حتى ينسوني ، ويتصوروا أنني مت .. وفي الوقت نفسه ينقلونني الى المحكمة في موكب ويخصص ٤٠ جنديا و٩ ضباط لاستقبالي في المحكمة .

الرواية لم تتم فصولا !

ليمــان طره
٢٤ فبراير ســنة ١٩٦٧

يا عزيزتى ..

كنت أعارض فى حضور ابنتى رتيبة وابنتى صفية لتزورانى فى السجن . مضى على أكثر من عام وأنا أعارض فى حضورهما وانت تلحين وهما تلحان . كنت أشفق على الطفلتين الصغيرتين ان تريانى فى ملابس السجن . وكنت أشعر بوحشة شديدة لهما . وأقاوم خشية أن يؤثر هذا اللقــاء المؤلم على نفسيتهما . أنا أرى البهدلة التى يتعرض لهــا أولاد وأطفال المسجونين الذين يزورون آباءهم فى السجن . لا أريد أن أرى سجانا يدفعهما بيده . أو أن تشهدا ضابطا وهو يتوقح على أمامهما .

كنت لا أريد أن أزيد تعاستهما . كنت أخشى أى عذاب جديد أو اهانة تلحقهما . ان ذلك سوف يزيدنى عذابا لم يكن من أحلامى أن أرزق أولادا . كنت أرى الأطفال قيودا تمنع الحركة وأنا أريد أن أعيش حرا . شــعور الأبوة يولد الخوف والتردد . أحيانا يزداد حب الأب فيحوله الى جبــان . كنت أحب ألا أفقد شجاعتى وجرأتى كنت أرى أن حياتى فى الصحافة هى مغامرة كبرى ، لا يجوز أن أمشى فى النــار وفى يدى طفل . كنت أشــهد فى طفولتى الذين يذهبون الى المنــافى والمشــانق والسجون ، لا يخافون على أنفسهم . وانما يخــافون على أطفالهم لا يبكون حياتهم وانمــا يذرفون الدموع على الذين سيتركونهم وراءهم . أذكر حديثــا جرى بين أم المصريين صفية زغلول فى ثورة ١٩١٩ مع أحــد الفدائيين القدامى ، فقد كان مكلفــا بمهمة كبيرة ، وقبل أن يذهب الى المهمة جــاء اليهــا فى بيت الأمة يقبل يدهــا ، وينــال بركتهــا . واذا بهــا تسأله : هل لك أولاد ؟ فيقول : سبعة .

فتصيح أم المصريين : لا .. لن تذهب أنت . يجب أن نختار شابا ليس له أولاد !

يومها ارتعشت لما اسمع . وتصورت أن عدم وجود أطفال هو الفرق بين البطولة والجبن .

ولكن الأب الفدائى رفض أن يطيع أم المصريين ، وأصر على أن يؤدى بنفسه المهمة ، وذهب والقى القنبلة فى المكان المطلوب ، وقبض الانجليز عليه ، ونفذوا فى الفدائى حكم الاعدام ..

يومها أخذتنا أم المصريين معها ، وزرنا أرملة الفدائي وحولها أولادها السبعة ، فى بيتها البسيط المكون من غرفة واحدة فى شبرا .

وقالت صفية زغلول : سأكون أنا أب أولادكم السبعة .

لعل هذا الحديث ترك رواسب فى قلبى الطفل . عاشت هذه الرواسب معى تنبهنى الى أنه يجب الا انجب اطفالا . ولكن شاء القدر أن أنجب بنتين وأن أعرضهما لما كنت أخشاه على أبناء الاخرين وعشت أياما طويلة فى قلق . أرجو أن تتم زيارة البنات على خير ولا تترك فيهما أى عقد أو آلام . وكنت أخشى أن أضعف أمامهما بعد فراقنا الطويل وكنت أخاف أن تنهار البنتان أمامى . وهكذا أمضيت عدة ليال أفكر فى هذا العذاب المنتظر . وكنت أقول لنفسى انك أنت التى وضعتنى أمام هذا الأمر الواقع . ولكن الله سلم .كانت البنتان فى منتهى الشجاعة . ولاحظت عند نهاية اللقاء أن دموعا بدأت تترقرق فى العيون ، فأدرت ظهرى وأسرعت فى الخروج من الغرفة .

نسيت أن أقول لك اننى ذهبت الى المحكمة . وتنزهت فى شوارع العاصمة ، كان معنا أحد المسجونين ،أمرنا بأن نذهب لنأخذه من محكمة فى ميدان التحرير ، وهكذا مررت فى ميدان الأوبرا وشارع شامبليون . ولم نجد المسجون فى ميدان التحرير .وانتظرنا نصف ساعة . ثم قيل لنا انه فى محكمة روض لفرج . ومررنا على شارع الجلاء . وخفق قلبى وأنا أمر على دار أخبار اليوم ..

ورايت البناء الجديد لجريدة الاهرام . اسفت أن اخبار اليوم لم تنفذ مشروع البنـــاء الضخم الجديد الذى اعددناه لهـــا قبل تأميم الصحافة . واصطدمت سيارتنا بتاكسى بقرب المحطة واضطربت سيارات النجدة والحراسة . وتصوروا أن التاكسى جاء يخطفنى . وقبضوا على ســـائق التاكسى المسكين . ووقفنـــا بعض الوقت للتحقيق مع المجرم الاثيم سائق التاكسى ولسؤاله هل هو عضو فى العصابة التى ستخطفنى ! ووقفنا بعض الوقت والتف الناس حولنا . ثم استأنفنا السير الى محكمة روض الفرج ولم نجد المسجون . وعندما نمر من جديد على أخبار اليوم والأهرام واقرأ الفاتحـــة للصحافة المصرية !

وفى كل مرة كانوا يأخذونى الى المحكمة ، كنت اتمنى أن يمروا بى تحت النفق الجديد فى كوبرى قصر النيل . وكنت لا استطيع أن أطلب من الضابط أن يمر بى فى هـــذا النفق حتى لا يتوهم أن العصابة المزعومة تنتظرنى هناك لتخطفنى . ولم احدث أحدا عن هذه الامنية طوال ذهابى الى المحكمة وعودتى منها . وفجاة وجـــدت السائق ينحرف بنا ، ويمر تحت نفق كوبرى قصر النيل . وهكذا يحقق الله لى الأمانى الصغيرة ؟ انى اعتقد أنه سيحقق لى الامانى الكبيرة . هكذا عودنى الله .

تحسن الجو فجاة . لا أعرف السبب . قال لى الدكتور كمال قاسم مدير القسم الطبى انه صرح لى بثلاث معلبـــات لطعام السكر من كل نوع فى الأسبوع . اصبح مسموحا لى بأن اتحدث مع المسجونين العـــاديين وغير مسموح التحدث مع المسجونين السياسيين . الغيت معاملتى كما يعـــامل المحكوم عليه بالاعدام ، ولم يعد يمشى ورائى شـــاويش يتابعنى كظلى . كنت قد فضلت أن أبقى فى زنزانتى ١٤ يوما ورفضت مغادرتهـــا ، احتجاجا على القرار ، بألا أمشى فى ردهة السجن الا وحدى ، بعـــد اخـــلائه من جميع المسجونين . الجميع فى دهشـــة من قوة اعصـــابى . امســـكى الخشب .

لم اتبين انني بقيت مدة طويلة فى السجن الا عندما نظرت الى نعل حذائى . أن نعلى زوجى الاحذية اللذين عندى ذابا من كثرة

المشي . سوف أحاول أن أركب لهما نعلين جديدين هنا ؛ اذا فشلت فسوف أطلب حذاءين سوداوين من المنزل ، وأن ترسلي الحذاءين لتركيب نعل كامل . لا نصف نعل فقط .

ان كل خطاب يصلني منك ، أو من أصدقائي ، وأحبائي ، وتلاميذي هو اشبه بقصيدة حب . ليس فيهـا قواف ولا موازين . ولكن فيهـا عاطفة هي موسيقى الشعراء . انا عندما أقرأ خطاباتكم أقرأها عدة مرات . كل مرة أجد أنهـا أشبه بخطاب جديد .

انني لست في حاجة الى كلمـات كثيرة لأعرف مشاعركم . كلمة واحدة بهـا من حرارة الحب ما يغني عن خطاب طويل . وعندما تتحدثون عن شوقكم أرى في هذه الحروف القليلة قصـة كبيرة فيها وصف الضنى والعذاب والشقاء والسـهد والحرمان والقلق الذي تعيش فيه أسرة كل مسجون سـياسي . خطاباتنا ليست اسلاكا تشدنا الى بعضنا . انما صور صغيرة للعنـاء الذي يعيش فيه الشعب . وعندما أطل على هذه الصور الصغيرة وأحدق فيهـا ، تكبر الكلمات ، وتنزف الحروف ، وتتداعى المعاني ، وتتحول الصورة الصـامتة الى صورة بالألوان لكل ما يجري في البلد من مظالم . صور ملونة . صور تتكلم وتبكي وتصرخ وتنوح . والذي يجري بيننا ليس خطابات . انه حوار . لا ينتهي أبدا . هي قصة هذا الشعب يكتبها الأحرار والعبيد في وقت واحد . يشترك فيهـا المقيدون بالسلاسل الحقيقية ، والمقيدون بسلاسل الخوف وأصفاد الارهاب !

انني اشعر أحيانا بأنني أشبه ببطل مسرحية .. وانطلقت رصـاصة في صدر بطل الرواية . وسقط على الأرض مضرجا بدمائه . ثم انسـدل السـتار . وتصور بطل الرواية أن المسرحية انتهت . ولكن الجمهور بقي جالسـا في كراسيه ، لأنه واثق من أن الرواية لم تنته ، ولابد أن يفتح السـتار من جديد ..

وسيفتح السـتار من جديد ..

ان روايتي لم تتم فصولا !

رسالة سرية من أخي مصطفى!

سجن ليمـــان طره

اول مارس ســـنة ١٩٦٧

اخى العـــزيز

امضيت معك وقتا رائعا . تلقيت فى عيد ميلادنا خمسة خطابات منك فى يوم واحـــد . كانت هذه اعظم هدية فى عيد ميلادى . لم اتخيلهـــا ولم أحلم بهـــا .قرأت خطابين منهـــا فى يوم عيـــد الميلاد . الخطابات الثلاثة الأخرى سلمت لى بعـــد اربعة أيام . لم أتضايق من التأخير . من وقت طويل جدا لم تصلنى خطابات منك. كانت الأكلة دسمة بحيث لا يمكن أن احتملهـــا كلهـــا فى يوم واحد. عندما سلموا لى الخطابات الثلاثة الأخيرة فكرت أن « أمزمز » بهـــا . أى أقرأ فى كل يوم خطابا واحدا . لم أستطع أن أقاوم جوعى الشديد لأخبارك . التهمتها كلهـــا فى ليلة واحـــدة . هكذا أمضيت وقتـــا طويلا معك . مشيت الشـــوارع معك . اكلت معك . ضحكت معك . عشت فى برجك العـــاجى معك . ومما يؤسف له انى محروم من لذة الكتابة اليك باستمرار . أننا افترقنا من قبل. كنا نتكاتب بانتظام . عندما كنت أنا فى القاهرة وأنت فى الجامعـــة فى انجلترا كنت أجعلك تعيش حياتى ، وتجعلنى أعيش حياتك . كنت أصحبك الى الصحف والمجلات التى اعمل بهـــا فى مصر ، وكنت تصحبنى الى الصحف التى تتردد عليهـــا فى انجلترا ، والى الجامعة والى اجتماعات حزب العمال . وعندما كنت أدرس فى أمريكا وأنت تدرس فى انجلترا أو تعمل فى مجلة آخر ساعة فى مصر كنا نتكاتب كاننا نؤلف كتبا . وكانت كارثة الكوارث أن نتأخر فى كتابة الخطابات بسبب انشغالنا فى امتحانات الجامعة . اما الآن فقد مضى علينـــا حوالى العـــامين فى هذا الفراق المرير . لم نستطع أن نتبـــادل سوى بضعة سطور . عزاؤنا أن رابطة التوائم تجعلنـــا لســـنا

فى حاجة الى خطابات لنسمع دقات تلوينـا . هـذه الدقات اشبه بدقات تلغراف مورس الذى ينقل الحروف والكلمـات .

وهكذا نتبـادل يوميـا عدة خطابات روحية .

دهشت لانك تسالنى فى خطابك هل اعجبتنى معلبـات طعام مرض السكر ؟ كتبت عدة مرات لزينب ابدى اعجابى بهـاوشكرى عليهـا ، واطالب بالمزيد منهـا لو كانت هذه المعلبات موجودة منذ اول الأمر لوفرت على كثيرا من العذاب والجوع والفول أما طعامك الصحى فهو شىء آخر . انك عرفت ما انا فى حاجة اليه بالضبط . اخترت الحجم الصغير الذى اتمناه . وانا الآن أوفر فى هذا الطعام . فلا آكله بانتظام . حتى لا يجىء وقت تفرغ فيه نجاة ولهذا ابدل واغير فى الطعـام. مرة سردين . ومرة فول مدمس . ومرة طعمية . ومرة بيض . وانا افطر فى الصباح البيض باستمرار . يصرفون لى ثلاث مرات فى الأسبوع خمس بيضات . وذلك لاننى مريض بالسكر ومقرر للمريض بالسكر فراخ . وحيث أن الفرخة غير موجودة فيصرفون لى خمس بيضـات بدلا من الفرخة . بحكم أن الكتكوت يخرج من البيضة . .

وعندما احتاج الى بيض اشترى البيضة بسيجارة بلمونت . البلمونت هى العملة الصعبة المعترف بهـا فى السجن . انت تغسل الهدوم بالسجائر وتكوى الملابس بالسجائر ، وتدفع أجرة تنظيف الزنزانة بالسجائر ، وتفتح باب الزنزانة فى غير المواعيد المقررة بالسجائر ايضا . ومن المؤلم انك تجد بعض المسجونين المرضى يبيعون طعامهم مقـابل سيجارة . يفضل الواحـد منهم أن يحـرم نفسه من رغيف الخبز فى مقـابل سيجارة بلمونت . .

قبل دخولى السجن كنت اشرب الشـاى كل صباح . بعـد دخولى السجن امتنعت عن شرب الشاى . لم اشرب فنجانا واحـدا لأن الشاى ممنوع . واذا ضبط الشـاى عند مسجون وضعوه فى « جب » التاديب . وانا افضل ان اذهب الى التاديب من أجل خطاب اكتبه أو مقال اكتبه . لا من أجل فنجان شـاى !

انا استيقظ فى الصباح عند صلاة الفجر . أشهد شروق الشمس. اتخيل انه سيجيء يوم تشرق فيه شمس الحرية على مصر كلهـا . يومها سينتهى الظلام . سينتهى الخوف . لن يتكلم الناس وهم يهمسون . لن يلتفتوا حولهم قبل أن ينطقوا كلمة . سيعود الناس يطمئنون الى بعضهم البعض . ستعود الثقة بين النـاس . سيعود للقـانون احترامه . لن تبقى البنـادق موجهة الى صدور الشعب بل ستوجه الى العدو كل مرة تشرق الشمس تقول لى ان الحرية قادمة فى الطريق .

اننى أستمع الى الاذاعة من سماعة معلقة الى جانب زنزانتى. صوتها مزعج ترتطم الأنغـام بالقضبان فتحول صوت المطربة نجاة الهامس الى صوت يشبه الرعد ، استمع الى القرآن وأحاديث دينيـة ، وعناوين الصحف ونشرة الأخبار . أحيـانا السجان المكلف بالراديو لا تعجبه عنـاوين الصحف ، فيغلق الاذاعة واحرم من سماع هذه العنـاوين ، أو نشرات الأخبـار ، احيانا تأخذ السجان نومة فينسى أن يفتح الاذاعة فلا نسمع القرآن .

عندى فى غرفتى تواليت عبارة عن قصرية خاصة بالمستشفيات. وذلك أن دورة المياه موجودة فى الطابق الأرضى وزنزانتى فى الطابق الرابع ومريض السكر يذهب كثيرا الى دورة المياه . وغير معقول ان انزل اربعة طوابق ، ثم اصعدها كلمـا اردت أن أذهب الى دورة الميـاه . غير مصرح أن أبقى فى زنزانتى اية اطعمة أو معلبات كل معلبـاتى موجودة فى مخزن . يحدث أحيـانا أن أنسى قبل أن اغلق الزنزانة اننى محتاج لكبريت أو محتاج لسجائر ، وعندئذ أقع فى حيص بيص ..

رتبت حياتى هنـا . كيفت نفسى على ظروف السجن . أصبحت الاشياء الصغيرة تسعدنى . اشياء كانت تبدو لنـا تافهة فى عالم الحرية . وجود السيجارة التى أدخنها يسعدنى .

وجود ما آكله اليوم يسعدنى . وصول خطاب يجعلنى أسـعد رجل فى العـالم . فى كل يوم انتظر شيئا . انتظر خطابا . انتظر

تهريب خطاب الى خارج السجن . انتظر تهريب طعام الى داخل السجن . انتظر وصول لفة فيهـا صحف ومجلات . انتظر رسالة فيهـا اخبار عما يجرى فى البلد . وهكذا يطير اليوم فى الانتظار واللهفة ، والتوقع والترقب . كأننى اتمنى كل لحظة أغنية أم كلثوم « انا فى انتظارك » . فلا اشعر بالملل . لا احس بالضيق . ولا العن الزمن . ولا اتعجل الاحداث . .

أننى اتابع الأخبار ، التقطها . اجمعها . أناقشها. أعلق عليها. أحاول ان أعرف أخبار الغد من ثنايا أخبار الأمس . أشعر بأننى ما زلت فى مكتبى بأخبار اليوم . لا تزال الأنباء تجىء لى من كل مكان . من أصدقائى من تلاميذى من الصحف والاذاعة . من أفواه الناس . لا اظن أننى فى عزلتى اكثر جهلا بأحداث بلادى من الذين يعيشون فى عواصم الأخبار . كثير من التنبؤات التى أحدث بهـا نفسى أو زملائى المسجونين السياسيين تحدث فعلاً بعد أسبوع أو أسبوعين . اشعر بسعادة عندما أجد أننى ما زلت أستطيع أن أستنتج الأحداث قبل وقوعها . وأننى لم افقد فى السجن ملكة التمييز السياسى أو التفكير الدولى .

ولكنى اتمنى أن اكون هذه المزة مخطئا فى تقديرى وفى نبوءاتى . أننى أشم رائحة كارثة فى طريقها الى بلدنا . كارثة سياســية أو كارثة عسكرية أو كارثة اقتصــادية لا أعرف . المهم أن بوصلة الأحداث تشير الى هذا . لا أعرف هل ولاة الأمور عندنا يشعرون بها ، أو يتنبهون اليها ، أو يستعدون لها ؟ جو الارهاب يجعـل الشعب يفقد النطق ، ولكنه فى الوقت نفسه يجعل الحكام يفقدون الرؤيــة !

انتصاراتهم الوهمية على ضحاياهم تعميهم عن الهزائم الحقيقية التى يعيشون فيها . الدولة التى تقوم على الخوف لا تستطيع أن تصمد ، وانما تستطيع أن تركع . من تتبع تعليقات الاذاعة وما تكتبه الصحف الاحظ أن الحكام مخمورون بالسلطان . خبرتى أن السلطان كالخمر القليل منها قد ينعش . والكثير منها يذهب بالعقل ! هل معنى هذا أننى وحدى الذى ارى الحقيقة لأننى لا أشرب الخمر . أم أن هناك غيرى يرى الذى أراه ، ويخاف أن ينطق بالحقيقة ، وينبه الى الكارثة المنتظرة خشية أن يجد نفسه معى فى ليمان طره!

ارجو ان اكون مخطئا هذه المرة فى تقديرى السياسى ، وأن يكون جو الزنزانة الكئيب هو الذى لون فكرى بهــذا اللون الأســود القاتم المتشائم .

اننى اسمع صوت ام كلثوم باستمرار . عشرات الأغانى التى اسمعها لى معها قصص وذكريات ، أنا أسمع صوت أصدقائى فى الاذاعة . صوت جميـــع تلامذة أخبار اليوم . أصواتهم اخترقت الجدران والأسوار ووصلت الى فى زنزانتى.أنا أسمع هذه الأصوات بطريقة تختلف عما يسمعه الناس . كل كلمة أفهم معناها . ماذا وراءها . ماذا قال وماذا لم يقل !

استدعانى الدكتور عبد القادر اسماعيل كبير أطباء السجن ، وقال لى بجفاء : اخلع جاكتتك ..

وخلعتها ..

قال لى بجفاء أكثر : أرقد على سرير الكشف .

ورقدت فى ذهول ..

وأمسك سماعة الكشف ووضعها على صدرى ، ومال برأسه على وقال هامسا :

ــ عندى رسالة لك ..

قلت هامسا : ممن ؟

قال : من أم كلثوم . أنها تقول لك أسمع حفلتها الليلة فى الراديو انها ستغنى أغنية الاطلال . فيها بيتان موجهان اليك ؟

قلت : ما هما البيتان ؟

قال : لا أعرف ! اننى قابلتها عند صديق لى ، وعندما عــرفت اننى طبيبك فى السجن كلفتنى أن أحمل لك هذه الرسالة السرية !

وعدت الى زنزانتى وانتظرت حتى جاءت حفلة أم كلثوم وبدأت أم كلثوم تغنى أغنية الاطلال ..

وفى اول الأمر لم اجد شيئاً !

ثم وجدت البيتين . .

اعطنى حريتى ! اطلق يديا

اننى اعطيت . . ما استبقيت شيا

آه من قيدك ادمى معصمى

واحسست ان هذه الأبيات تمثل صورتى وافكارى

ولم تكن أم كلثوم فى حاجة الى رد . . لأن « الرد خالص » .

حارس الجنة.. في الليمان!

سجن ليمان طــره

١٨ مارس سنة ١٩٦٧

عزيزتي

خفتت الأصوات . ثم سكتت . أغلقت أبواب الزنزانات . ملأ زنزانتي الصغيرة صمت رهيب . الساعة حوالي الرابعة بعد الظهر . لن تفتح أبواب زنزانتي الا صباح اليوم التالي . أي بعد حوالي ١٦ ساعة . هذه فرصتي اليومية لاخلو بنفسي . الاذاعة سكتت هي الاخرى . لا أسمع الا دبيب أقدام الحارس يروح ويجيء أمام الزنازين . ثم أسمع صوت مسجون من الدور الأرضي يصيح « المسجون فلان وفلان وفلان وفلان سيدخلون جهنم السوداء وجهنم الحمراء » و « فلان وفلان وفلان سيدخلون الجنة » ! في مثل هذه الساعة من كل يوم يعلن هذا المسجون قائمة بأسماء مسجونين سيدخلون الجنة ، ومسجونين سيدخلون النار . ويفرح الذين سيدخلون النعيم . ويحزن الذين سيدخلون الجحيم ! ومن الغريب أن هذا المسجون الذي جعل نفسه حارس الجنة يهودي اسمه أوري محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ! والمسجون الذي يعطيه سيجارة يدخله الجنة ، والمسجون الذي لا يعطيه سيجارة يدخله النار . وهو ثمن زهيد جدا لدخول الجنة . ولكن في السجن يرتفع ثمن السيجارة وتشح ، ويفضل البعض منهم أن يدخلوا جهنم ومعهم سيجارة !

ولم يفكر أحد المسجونين في أن ينازع هذا المسجون اليهودي على لقب حارس الجنة ، وينتزع منه هذه التجارة . فقد سلموا أمرهم الى الله . ورضخوا لحكم هذا المسجون الذي استطاع بذكائه أن يقيم لنفسه تجارة رابحة بغير رأس مال !

ثم يبدأ صراخ المسجونين يطلبون من الحارس أن يضيء النور في الزنازين . بدأ الظلام يطل برأسه من القضبان . المسجونون يريدون ان يبدأوا في طهى طعامهم . لا أحد يرضى أن يأكل طعـام السجن البارد الذي لا طعم له . كل مسجون يحاول أن يجعل طعامه ساخنا ومستساغا ، الطعام يوزع على المسجونين عنـد الظهر . الجو البارد يحول الفول المدمس الساخن أو الفول النابت ، أو الكرات المطبوخ أو فروع الفجل الى شيء من الدنـدرمة أو الايس كريم مخلوطة بالتراب . ومن هنا يواجه كل مسجون بمشكلة النـار . النار ممنوعة . والطعام لا يمكن أن يؤكل باردا ، ويتمنى المسجون لو أن حارس جهنم أدخله الى النار فعلا حتى يستطيع أن يطهى طعامه أو يسخنه على لهيب النار . ولما كانت الحاجة أم الاختراع فقـد حول بعض المسـاجين السياسيين المعلبـات الفارغة الى « وابور جاز » يسمونه « التوتو » يضيفون اليه بعض خيوط الغزل، ويسكبون فوقها قليلا من الغاز ، ثم يشعلون النار ، فاذا أمامهم فعلا وابور غاز أو بوتاجاز !! ولكن « التوتو » لا يحل مشكلتهم ، بل يبدأها .التوتو ممنوع . ومن يوم لآخر يهاجم الحراس الزنازين ، يصادرون كل « توتو » فيها ، أو كل علبة فارغة ممكن أن تتحول الى توتو . ويدوس الضابط بقدمه على التوتو حتى يتحطم تماما . ولا يكاد يخرج الضابط حتى يبدأ المسجون بصنع « توتو » جديد . والغاز يسرقه المسجونون من المطبخ . وللغاز بورصة مثل بورصة القطن أو بورصة الأوراق المالية وأسعار الغـاز ترتفع وتنخفض طبقا لنجاح المسجونين أو فشلهم في سرقة الغاز من المطبخ ! وعندما لا يجد المسجون أمامه « التوتو » يشعل الصحف . ولقد اشتغلت بالصحافة سنوات طويلة . والقيت محاضرات ودروسا كثيرة عن فوائد الصحافة . ولكني لم أعرف من قبل أن المسجون يفضـل الصحيفة ليحرقها على أن يقرأها . وهنا أزمة في ورق الصحف . ادارة السجن تسترد الآن الصحف بعد قراءتها من المسجونين لبيعها بالأقة . ويفعل بعض المسجونين شيئا غريبا عندما لا يجدون توتو . بعضهم يحرق البطـاطين التي يتغطى بهـا في البرد ويستعملهـا بدلا من وابور الغاز . يفضلون أن يناموا وفي بطونهم طعاما ساخن ويرتعشون من البرد ، على أن يتغطوا بالبطاطين ويشعرون بالدفء، وفي بطونهم طعام بارد . تستغرق مشكلة الطعام ساعات طويلة . من تفكير المسجون كل يوم : فماذا يأكل مشكلة . وكيف يطهى

طعامه مشكلة . وكيف يحصل على الغاز اللازم مشكلة . وكيف يخفى النار بحيث لا يتسرب الدخان من نافذة الزنزانة مشكلة المشاكل . وقد حللت لنفسى مشكلة الطعام ، وعودت نفسى على أن أتناول الطعام باردا . .

وبعد أن تسكت عملية الطهى ، وغسل الأطباق ، يسود السجن هدوء مميت ، وفجاة يخترق هذا الظلام صوت مسجون يصيح « عاوزين نروح يارب » ! ومع أنه صوت مسجون واحد ، الا أنه يرن فى الاذن كأنه صوت كل مسجون . ان مئات المسجونين يرددون هذا النداء فى سريرتهم . ولكن هذا الصوت وحده هو الذى ارتفع فى السكون ليعبر عن مشاعرهم كلهم . ويعود الصمت والسكون . وفجاة يرتفع صوت آخر فيه لوعة وحسرة وأسى وانكسار ويقول « أولادى وحشونى قوى ! » تهتز أسوار السجن التى لا قلب لها لهذا الأنين . وتحس أن فى كل قلب مأتما . ويعود الصمت رهيبا كئيبا . كأن كل من فى السجن يشيع جنازة . يمشى وراء نعش . وكأنه هو داخل النعش . هو الميت والمشيعون معا . . !

ويرتفع صوت مسجون ينادى أحد الحراس الواقفين فوق الأسوار لينادى الحارس المسئول عن الاذاعة أن يفتح الراديو لنسمع القرآن . ويدوى صوت ميكرفون السجن بالقرآن الكريم . ويعود الى زنزانات السجن هدوء مريح . وآيات القرآن أشبه بمناديل تجفف الدموع من العيون ، وتمسح الدم من جراح الأرواح. تلاوة القرآن تترك فى قلوبهم رهبة ومهابة وجلالا وهدوءا وراحة واطمئنانا . هى مكمدات توضع فوق جروحهم . مسكنات تخفف آلامهم . كثير من هؤلاء المسجونين لا يروا الله الا فى السجن . . ولد ايمانهم الحقيقى فى داخل الزنزانة . انهم لا يخادعون الله . انما يؤمنون بأن أحدا على الأرض لن يستطيع أن ينتزعهم مما هم فيه . يد واحدة هى التى تستطيع أن تفتح باب السجن . ليست يد القضاة ، ولا يد الحراس . وانما هى يد الله ، ومن هنا فأنا أسمع اسم الله فى داخل الليمان أكثر مما أسمعه فى المسجد أو الكنيسة أو دور العبادة . الله هنا بلا علماء دين ولا قسس ولا وسطاء . بعض هؤلاء يسمعون القرآن ولا يفهمونه . ولكنهم يشعرون بأنهم يسمعون صوت الله . الخائفون منهم يطمئنون اليائسون يحلمون .

التعساء يرون شعاعا من النور في الظلام . انهم غرقى في بحر واسع لا ساحل له . ولكنهم يؤمنون بان هذه الآيات هي أطواق النجاة ، تحملهم الى شواطىء الامان . وقد لا تكون الشواطىء على الأرض ، وانما في السماء .

ومع ذلك فهي شواطىء على كل حال !

هناك مشكلة أخرى يواجهها المسجون هي مشكلة النوم . الوف المسجونين ينامون على الأرض . المريض هو المحظوظ الذى ينام فوق مرتبة ، والمريض جدا هو السعيد الذى ينام على سرير ومرتبة . عدد هؤلاء لا يتجاوز خمسة أو ستة اشخاص بين خمسة أو ستة الاف مسجون ! هنا عدد قليل جدا يعد على أصابع اليد ينام على مرتبة فوق الاسفلت . عندما اشتد البرد في هذين اليومين جاءت قوة من الحرس الى العنبر الذى نقيم فيه ، سحبت المراتب من الذين ينامون فوق المراتب ، وتركتهم ينامون على الأسفلت . ثم جاء الممرض الى مستشفى العنبر الذى أقيم فيه وسحب المرتبة من تحت مريض التيفود ؛ وتركه نائما على السرير بغير مرتبة ! وهكذا أصبح الحديث في السجن كله عن المراتب . كأننا في أحد دواوين الحكومة حيث لا حديث بين الموظفين الا عن الدرجات والعلاوات . واصبحت مشكلة كل سجين كيف ينام في هذا البرد . كيف يجد بطانية يضعها تحته وبطانية يضعها فوقه . أو يضع البطانيتين فوقه وينام على الأسفلت ! من الغريب الا تثار هذه المشكلة الا عندما يشتد البرد القارص ، وبعد أن تحولت الزنزانات الى ثلاجات . وأغرب من هذا أن لدى ادارة السجن مراتب وسراير وبطاطين تكفى جميع المسجونين . ولكنها ملقاة في المخازن . بينما المسجونون ينامون على البلاط . وادارة السجن معذورة ، والأطباء معذورون ، فاللوائح والتعليمات تعتبر النوم على سرير حديد ترفا ما بعده ترف كالنوم في جناح ملكى في فندق شبرد أو هيلتون ! .

وعندما اشتد البرد منذ بضعة أسابيع جاءت قوة من الحرس وسحبت البطاطين الزائدة من المسجونين . وكان بعض المسجونين قد اشترى بطاطين زيادة ، بسعر علبة سجاير بلمونت للبطانية . وجمعوا البطاطين الزائدة ، ووضعت في المخزن ، ونام المسجونون

على الأسفلت وهم يرتعشون ... ثم بدأوا يبيعون البطاطين للمسجونين من جديد ! وكلما احتاج رئيس المرضين لمبلغ من المال طلب سحب البطاطين لتبدأ بعد ٢٤ ساعة عملية البيع والشراء !

ومن الطريف أن الأهرام والأخبار والجمهورية نشرت بالعناوين الكبيرة منذ شهور أن شعراوى جمعة وزير الداخلية زار ليمان طره وأمر بانه ابتداء من ذلك اليوم لن ينام مسجون واحد على الأرض . بل سينامون على سراير من الواح الخشب !

وصدق القراء الطيبون تصريح الوزير !

وقال لى أحد الضباط ساخرا :

ـ ستوزع البطاطين على المسجونين كما توزع الحريات على الشعب !

قلت : لست أفهم !

قال الضابط : الا يقال للشعب كل يوم أنك تتمتع بالحريات ولا يرى الشعب أى حرية .. هكذا يقول لكم الوزير سوف تتمتعون بسراير ، ولن تروا السراير !

وفعلا لم ير المسجونون السراير ! بل الذى حدث أنه فى اليوم التالى للتصريح الوزارى الخطير ، بدلا من أن توضع سراير الخشب ، جاء الحراس وسحبوا البطاطين من المسجونين وناموا على الأسفلت !

وهكذا استمتعوا بالحريات !

المسجون هنا يدعو الله أن يصيبه بالمرض ليستريح من لعنة الأشغال الشاقة وكسر الأحجار فى الجبل ، أو ليجد مرتبة لينام عليها ، أو ليجد طعاما كافيا . أصبح بعض المسجونين يحاول أن يصاب بالسل ، وبعضهم يحاول أن يصاب بالجرب ، وآخرون يضعون أصابعهم تحت عجلات قطار السكة الحديد فى الجبل ، أو فى تروس بعض الآلات التى يعملون عليها ، ليعفوا من العمل الشاق فى كسر الأحجار .

وتنفق الدولة الوف الجنيهات فى علاج المسجونين المسلولين والمرضى ، مع أنها لو صرفت لهم السراير والمراتب والبطاطين لوفرت مئات الألوف من الجنيهات .

اخشى أن أكون أطلت عليك فى وصف الحياة فى السجن . اننى احرص دائما على أن تعرفوا صورة الجو الذى أعيش فيه . اننى ارى امامى وحولى كل لحظة صورا كئيبة للتعاسة والبؤس والذل والشقاء . قلبى لا يبكى على نفسى ، بل ابكى للآخرين وأتعذب لعذابهم أرتعش من البرد لأجلهم . اشعر كل يوم بأننى اجرمت فى حقهم عندما كنت مطلق السراح ، ولم أقم فى صحفى بحملات من اجـل اصلاح السجون . الله شاء أن ادخل السجن لأرى بعينى ، والمس بنفسى ما كان من المستحيل أن أصدقه أو أتصور أنه يحـدث فى القرن العشرين . أخشى أن يكون السجن هو صورة للمجتمع . وما يحدث هنا هو نفس ما يحدث فى المستشفيات العامة والمصحات والملاجىء . بل ربما فى القرى والريف . أننا فى هذه السنوات أطعمنـا الشعب كلاما . الوعـود كلام . والمشروعات كـلام . والاصلاحات كلام فى كلام !

وسوف نستيقظ ذات يوم ونكتشف اننا لم نخدع الشعب فقط .. بل اننا خدعنا أنفسنا ايضا !

سجن ليمان طره

١١ ابريل سنة ١٩٦٧

عـــزيزتى

اليوم عيد رأس السنة الهجرية ، احتفل السجن بهـذا اليوم المبارك احتفالا غريبا . صدرت الأوامر بالغاء فسحتنا اليومية فى فناء عنبر السجن لهذه المناسبة السعيدة ! المفروض فى الأعياد أن يمنح المسجون حرية أكبر ، ولكن قائد العنبر رأى أن يحول العيـد الى قيود أكثر ومضايقات أكثر . بعض الطغاة الصغار يحتفلون باذلال الضعفاء . انها عقدة العبيد الذين يصبحون طغاة صغارا . ويستمرون عبيدا لطغاة أكبر منهم .

أمضيت اليوم فى استقبال عدد من زملائى المسجونين الذين جاءوا الى زنزانتى لتهنئتى بالعيد متحدين التعليمات بأن زنزانتى منطقة حرام ممنوع الاقتراب منها . أمضينا الوقت نضحك ونتبادل الذكريات . سألنى احد المسجونين السياسيين اليائسين : هل لنا مستقبل ؟ قلت : نعم ! قال : والطغاة الصغار الذين يستبدون الآن هل لهم مستقبل ؟ قلت : لهم ماض ! قال : كيف ؟ قلت : المستقبل للحرية . قال : أننى أعتقد أنه لا مستقبل للحرية فى بلادنا . قلت : لابد أن تشرق شمس الحرية ! قال : متى ؟ قلت : بعد ثلاث سنين . بعد خمس سنين . بعد عشرسنين لا أعرف . قال سنكون قـد متنا جميعا فى زنازيننا . قلت : لن نموت قبل أن ندفن الذين ظلمونا ! قال : سأكتب هذه النبوءة عندى ! قلت اكتبها وسوف أكتبها أنا أيضـــا . . !

ان مشكلة الطعام قد حلت . زملائى المسجونون يغمروننى بهداياه.

كل مسجون تزوره أسرته وتقدم له طعاما يصمم أن اشاركه فيه . فى هذا الأسبوع أكلت يوما فراخا ومحشى ، وفى يوم ثان فاصوليا باللحم ، وفى يوم ثالث فراخا . ومما يؤسف له اننى اتبع رجيما حادا ، ولا أستطيع ان آكل الدمعة والنشويات والحلوى والأطعمة الفاخرة ، واحضر لى احد المسجونين ملوخية واصر على أن اجلس معه وآكل منها . اعتذرت عن عدم أكلها لأننى لا آكلها ابدا .. اننى أكلتها وعمرى سبع سنوات وأصبت بمغص فلم أذقها بعد ذلك . دهش السجين وقال اننى أول آدمى اقابله فى حياته يرفض أن يأكل الملوخية ، وأن حماره هو الآخر يرفض ان يأكل الملوخية ، وهكذا وجدت زميلا لى لا يأكل الملوخية !! ومسجون آخر أحضر لى كبدة . وثالث أحضر لى لحمة راس ، ورابع احضر لى « فطير مشلتت » . وقلت لهم أن مرضى بالنقرس يمنعنى من أكل هذه الأطعمة . واكد لى أحد المسجونين أن لحمة الراس فيها من الفيتامينات والهرمونات والبنسلين أكثر مما هو موجود فى صيدلية مستشفى قصر العينى ! ويظهر أن صيدلية قصر العينى ليس فيها أدوية على الاطلاق !

المصرى كريم بطبعه . الفقير يسعده أن يقتسم معك رغيف العيش الواحد الذى يملكه . انه يشعرك بأنه يملأ بطنه عندما تملأ انت بطنك بطعامه . هذه النخوة والشهامة والكرم والمروءة التى بدات تختفى بحكم الارهاب خارج السجن ، لا تزال موجودة بكثرة داخل السجن . الصداقة لا تزال موجودة . كتمان السر . الثقة . الشجاعة محبوسة معنا فى الزنازين . وبهذا نراها هنا بكثرة . كنا نسمع فى الماضى قصصا كالأساطير عن فروسية أجدادنا . عن جار يعرض نفسه للموت من أجل جاره . عن صديق يضع كل ثروته ضمانا لتجارة صديق ، وتضيع الثروة ولا يلوم الصديق . عن أسرة يموت عائلها فتجد العون يمتد اليها من كل يد فى القرية . هذه الأساطير لا تزال تعيش داخل السجن رغم العنت وسوء المعاملة وشظف العيش والاستبداد والقسوة ، وأنظمة السجون التى وضعها غلاة من المجرمين لتطبق على مجرمين أقل اجراما !

اننى أعيش فى السجن مع شخصيات غريبة . أجد متعة فى دراستها . المسجون الذى يتولى الآن تنظيف زنزانتى هو قاتل متهم بقتل خمسة اشخاص . وهو شخصية وديعة طيبة . فى منتهى

الرقة والدماثة . واعتقدت انه مظلوم . ولكنه أكد لى انه لم يقتل خمسة اشخاص . وانما قتل ستة ! وهو لا يعرف لماذا قتلهم . انه قتلهم لله ! رآهم يهينون فى الغيط صديقا له . الصديق ضعيف لم يستطع ان يرد الاهانة . كل ما فعله انه بكى وقال يا رب انتقم لى ! اعتقد صاحبنا القاتل ان النداء موجه له . اختبأ فى الذرة واطلق بندقيته على الخمسة فقتلهم جميعا . قبض على نصف القرية لأن أحدا لم يتصور ان فى امكان ولد صغير ان يقتل خمسة اشخاص دفعة واحدة . انكر الكل واعترف هو وحده . حكموا عليه بالاعدام، واستبدل حكم الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة لصغر سنه !

الذى يحمل لى البيض كل يوم هو شاب محكوم عليه بالمؤبد ،لأنه قتل احد اصدقائه ، وقطع جثته الى اجزاء صغيرة . الشاب يبدو وديعا . ليس فى ملامحه شيء من ملامح السفاح او سفاك الدماء الذى تحدث عنه العالم فرويد . وجهه أشبه بوجه طفل . كل اجرامه يظهر فى انه يجد لذة فى سرقة طعام المسجونين أو مغالطتهم فى الحساب ! لا أحد يجرؤ على ضبطه خشية ان يقتله ويقطع جثته الى أجزاء صغيرة .

المسجون الذى يمسح بلاط الردهة أمام زنزانتى كان مسجونا فى جريمة سرقة . وكان محكوما عليه بالسجن ثلاث سنوات . ثم لاحظ ان أحد الحراس يسيء معاملة المسجونين ويبطش بهم ويتعمد اذلالهم . ولم يصب هذا المسجون بشيء من هذا البطش والهوان ، ولكنه غضب من اجل مظلومين لا يعرفهم ، ولا يعرف أسماءهم ، فتقدم نحو الحارس وراح يطعنه بسكين حتى أسلم الروح ، وحكم على الشاب بالسجن المؤبد . ومن الطريف أنهم يسمونه فى السجن « أبو الأنوار » باسم الحارس الذى قتله !

وأتمشى فى ردهة السجن مع بعض المسجونين ، ومن بينهم عز الدين عبد القادر الذى أطلق الرصاص على الزعيم مصطفى النحاس ، لأنه وقع معاهدة سنة ١٩٣٦ وحكم عليه يوما بالسجن ثم صدر عفو عنه . وبعد ذلك سافر الى العراق واصدر كتابا ضد الحكم الحاضر ، ثم التقى فى المغرب بالرئيس جمال عبد الناصر فرحب به الرئيس ودعاه الى العودة الى مصر ، وصدق عز الدين

وعاد الى مصر ، فقبض عليه فى المطار ، وقدم الى المحاكمة وحكم عليه الدجوى بالمؤبد ، وهو حفيد الزعيم احمد عرابى . وكلما يرانى يضحك ويقول : من سخرية القدر أن يجتمع حفيد عرابى وحفيد سعد زغلول فى سجن واحد !

ومعى رجل مؤدب لطيف اسمه محمود مصطفى ، وهو من أعيان محافظة القليوبية . هدده أحد قطاع الطرق بالقتل ، فأطلق عليه الرصاص دفاعا عن النفس ، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات . وتحس أن هذا الرجل لا يستطيع أن يقتل فرخة . وتعجب أن يكون مثل هذا الرجل الوديع قاتلا . وتسأله فيقول لك أنه شخصيا لا يعرف كيف حدث هذا . لا يصدق أنه قتل . لقد رفع البندقية ليهوش بها فانطلقت الرصاصة ! ان عددا غير قليل من الذى اعترفوا بأنهم قتلوا يقولون انهم فعلوا ما فعلوه فى لحظة جنون . ربما لا تستمر أكثر من دقيقة واحدة . وبعدها يفيقون ليكتشفوا هول ما فعلوه . بعضهم لا يصدق أنه فعل ذلك . انهم ينصحون من يغضب بأن يعد من واحد الى عشرة قبل ان يطلق مسدسه أو بندقيته ، وهم يؤكدون أنه سوف يعدل عن القتل قبل أن يصل الى عشرة ! ويبدو أن حياة كل واحد منا « ثانية » مجنونة ، يتوقف فيها العقل ، وسيىء الحظ هو الذى تطول لديه هذه « الثانية المجنونة » لتصبح دقيقة ، وعندئذ تقع الكارثة !

وصلت الى نتيجة غريبة من أحاديثى مع المسجونين . الأغلبية الكبرى منهم من الناس الطيبين . وهم لا يقلون طيبة وخلقا ونبلا عن أشخاص خارج السجن لم يرتكبوا جرائم . أو ارتكبوا جرائم ولم يضبطوا . أو ضبطوا ولم يحاكموا . الناس هنا صورة كاملة للمجتمع . أغلبيتهم أخيار . قليل منهم أشرار ، جرائمهم ليست جرائم أصيلة ، بعضهم أصيب بالجريمة كما يصاب الانسان بمرض طارىء . المرض ليس مزمنا . فهو لا يبقى مجرما طول حياته .

فى الطابق الرابع الذى أنيم فيه خمسة من المسجونين السياسيين المرضى . وجعلوا هذا الطابق المستشفى السياسى حتى لا ينقلونا الى مستشفى السجن ونتمتع ببعض الحرية . جارى فى الزنزانة هو الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين

والمستشار السابق فى محكمة النقض والابرام . عمره حوالى ٧٥ سنة . انهم صرفوا له بذلة سجن بيضاء حقيرة . منعوا عنه ادويته التى يعالج بها . مضى عليه عامان كاملان لم يسمح خلالهما لزوجته أو أولاده بزيارته . مضى عليه عامان ممنوع من أن يكتب لأسرته خطابا او يتلقى منها خطابا . لم يسمحوا لأسرته بأن تحول له « امانات » فى السجن كما يسمحون للمسجونين القتلة واللصوص والسفاحين ! لا يملك مليما ليشترى صابونة ! لا يملك مليما ليشترى سيجارة ! يأكل طعـام السجن الذى ترفض أن تأكله الكلاب ، بلا شكوى ، وبلا تذمر ، بل يحمد الله على هذا الطعام اللذيذ !

بهرنى هـذا الرجل بصموده وايمانه وصبره . انـه اقوى من السلاسل والقيود . أصلب من قضبان الحديد فى زنزانته.لم يفقد أبدا ابتسامته . ولا نظرة السخرية بكل الطغيان الذى يراه حوله. ولا يسمحون له أن يذهب الى الطبيب رغم أمراضه المتعددة . ولا يسمحون له بأن يجيء بطبيب على حسابه . ان المسجونـين السياسيين لم يعاملوا فى اي عهد من العهود ، حتى فى عهـد الاحتلال البريطانى ، بهذه المعاملة الوحشية . فى كليوم يتلقى السجن اوامر شفوية وتحريرية بالبطش بالمسجونين السياسيين ، وتضييق الخناق عليهم ، والامعان فى التنكيل بهم !

وقد كنت امضى اغلب وقتى مع المسجون حسن الهضيبى فى زنزانته ، لماذا اغلقوا علينا الزنازين التقينا فى نافذة الزنزانة واكملنا الحديث بين القضبان الحديدية .

والى جوارنا تاجر من السويس مريض بالملاريا ، وصاحب جراج مريض بالسل ، وعامل نسيج من المحلة تحطم عموده الفقرى من التعذيب ، وهو عبد الغفار الششتاوى ، العامل بالمحلة الكبرى . وبعد ذلك بزنزانتين المسجون السياسى محمد صدقى عبد العزيز ، وهو موظف بشركة اقطان ، عذبوه فى السجن الحربى بطريقة وحشية ، حتى حطموا عموده الفقرى ، واصبح عاجزا عن الوقوف على قـدميه ، وعاجزا عن المشى ، ويحمله زملاؤه على مقعـد ، وينزلون به اربعة طوابق ليذهب الى دورة المياه ، ثم يحملونه بعد ذلك اربعة طوابق الى فراشه فى الزنزانة .

وبقربنا أيضا المسجون السياسى سامى سلام ، وهو موظف فى الأوبرج ، ومريض بالتيفود ، وتهمته أنه كان مرشحا وزيرا للخارجية فى انقلاب عسكرى بلا عسكر !!

ثم بعد ذلك خمسة وثلاثون زنزانة مغلقة . اننى أمضى يومى كله مع هؤلاء المرضى . ومن سوء حظى اننى لا أطيق أن أرى انسانا وهو يحقن بحقنة عادية ، حتى ولو كانت حقنة بنسلين . وشاء قدرى أن يكون كل جيرانى من هؤلاء المعذبين المرضى . رؤية هؤلاء فى آلامهم تعذبنى أكثر من عذاب السجن ، ويتضاعف عذابى عندما أرى الاهمال المتعمد فى علاجهم أو العناية بهم . كثيرا ما سمعنا أن الرحمة فوق العدل . هنا لا نجد رحمة ولا عدلا . بل قسوة وظلم . عنت واستبداد . لو أن لجنة حقوق الانسان دخلت الليمان ورأت كيف يعامل المسجون السياسى لأغمى على أعضائهـــا من هول ما يرون ؟

أشم رائحة شياط !

سجن ليمان طره

٢٨ ابريل سنة ١٩٦٧

عــزيزتى

كنت اليوم فى مستشفى السجن ودخل علينا الضابط محمد كمال الدين يقول :

ــ أنتم هنا والدنيا مقلوبة !

ــ ماذا حدث ؟

ــ وجدنا أن عدد المسجونين يزيد واحدا عن العدد الرسمى الموجود . صدرت الاوامر بأن يذهب كل مسجون فورا الى زنزانته ، ونغلق عليه بالضبة والمفتاح ، ونخلى جميع ردهات السجن من المسجونين ..

وهرولنا عائدين الى الزنازين ..

وراح الحراس ينفخون فى البورى علامة الخطر ! والحراس يجــرون فوق الأسوار حاملين بنادقهم ومدافعهم الرشاشــة ثم يزومون بصوت غريب كالصوت الذى يصرخ به طرزان فى افــلام السينما . وقيل فى اذاعة السجن أن هناك « كبسة » .. ومعنى كبســة فى لغة السجن أن شيئا غير عادى قد حدث !

وبدأ الضباط يحصوننا واحدا واحدا داخل الزنازين المغلقة ، وبعد ساعتين فى هذا الجو الغريب المريب تبين أن العدد تمام ، وأن أحد الحراس أخطأ فى العدد وأضاف مسجونا . وبعد ذلك أعلنوا انتهاء « الكبسة » . ونفخ الحراس فى البورى معلنين أن كل شىء تمام . وتساءلت اذا كان كل هذا يحدث لو زاد عدد المسجونين ، فماذا يحدث لو نقص عددهم ، وهرب فعلا مسجون !

وفى أثناء عمليات العد والاحصاء راح المسجونين يتذمرون ، ويقولون أن أحد الناس هرب من خارج السجن الى داخل السجن. وأنه سيجىء يوم قريب يهرب الناس فيه من السجن الكبير الى السجن الصغير ! وبعض المسجونين بدأ يؤكد أن مصر كلها أصبحت ليمانا كبيرا . وأن المعاملة فى ليمان طره أحسن كثيرا من المعاملة فى الليمان الكبير .. وأننا فى داخل ليمان طره أكثر أمانا واطمئنانا ممن هم خارج الأسوار .. فالناس من خوف السجن فى سجن !

التقاليد هنا عندما يهرب مسجون واحد من داخل السجن أن يعاقب جميع المسجونين الذين لم يهربوا ! تحرق جميع ملابسهم الخارجية والداخلية ، ولا يبقى للمسجون سوى غيار واحد .تداس أطعمتهم بالأقدام . يحرمون من مشاهدة التليفزيون والسينما والمباريات الرياضية من أجل جريمة مسجون واحد يعاقب خمسة آلاف مسجون برىء . ولهذا فأنا أدعو الله ألا يجن أحد المسجونين ويهرب ، وعندئذ ستكون مصيبة المسجونين سوداء .

ثم رائحة « شياط » فى الجو السياسى المصرى . لا أعرف حتى الآن من أين يجىء هذا الشياط ؟ الأنباء تصلنى من مختلف المصادر تؤكد أن الطغيان مستتر ، والطغاة الصغار يزدادون جبروتا . فى كل بيت مسجون سياسى أو معتقل سياسى أو شهيد فى حرب اليمن . أو جريح أو موضوع تحت الحراسة . أو مرفوت من ظيفته، أو مهدد فى رزقه . انفتحت شهية الطغاة ، وهم فى كل يوم يريدون ضمانا أكثر . فى أول الأمركان يشبعهم أن يأكلوا ضحية كل يوم .. أصبحوا اليوم لا يكفيهم ألف ضحية . الشعب يعيش فى جو من الخوف . لا أحد آمنا على نفسه ولا على حريته ولا على رزقه . ألوف الناس يهاجرون الى الخارج . وأكثر منهم يحاولون الخروج ويفشلون . لو فتحت أبواب مصر الآن لفر أغلب المتعلمين فيها ..

انهم من جميع الفئات . من جميع الطبقات . فيهم عمال وفيهم اصحاب اعمال . كل يوم يتلقى أحد المسجونين هنا خطابا من شقيقه أو ابنه يقول انه يريد أن يهاجر . اكبر مصيبة يصاب بها الشعب أن يحس بأن لا مستقبل له ولا أمل له . المستقبل فقط لأصحاب النفوذ والسلطان . لأهل الثقة . ان اغلب أهل الثقة للأسف من الجهلاء وانصاف المتعلمين . وهم الآن الذين يديرون المصانع والمؤسسات والدوائر الحكومية ، وهذا سر الانهيار الذى أصاب كل شيء . والذى سوف يؤدى الى الكارثة الكبرى !

ان من حق الحاكم ان يزوج ابنته لمن يثق به ، ولكن ليس من حقه أن يسلم الدولة للجهلاء لا لشيء الا لأنه يثق بهم !

وقد اثبتت الأيام أن هؤلاء الجهلاء ليسوا أهل ثقة . ولو اجرينا تحقيقا واسعا عن حالة مصانعنا قبل أن يتولاها أهل الثقة وبعد أن تولاها أهل الثقة ، لعرفنا الفرق بين التقدم والخراب ، وبين الربح والافلاس !

وعندما يصبح كل « أهل ثقة » ذاتا مصونة لا تمس ، تختفي الحقائق ، ولا يجرؤ أحد على أن يشير الى الفساد الموجود فى كل ميدان .

ان أهل الثقة يحولون انتصارات هذا الشعب الى هزائم ، وأرباحه الى خسائر ، وأمجاده الى كوارث !

انني أقابل هنا يوميا مسجونين جاءوا من مختلف قطاعات الدولة، كل واحد منهم يحمل لى قصة عن الفساد والرشوة واستغلال النفوذ ، وكل القصص بمعنى واحد . ان الظلام المفروض على البلد هو الذى شجع اللصوص والمختلسين وتجار المال الحرام !

وانا اعتقد أن أحدا لا يجرؤ على أن يبلغ الحاكم بما يراه ، لأنهم يتصورون أنه ستقطع رقابهم اذا فضحوا أهل الثقة ، كما قطعت رقاب آخرين ..

ان الخوف جعل هذا الشعب يطبق فمه مرغما ، يصمت فى وقت يجب فيه الكلام . يسكن فى عصر يستوجب الحركة . يغمض عينيه فى يوم يجب أن نفتح فيه جميعا عيوننا على ما سوف ينتظرنا !

ان الذى أخشاه أن الكارثة المنتظرة لن تصيب الذين ظلموا .. بل ستصيب مصر كلها !

يجب ان ندعو لمصر ..

فأنا ما زلت أشم رائحة « شياط » وأخشى أن شيئا ما يحترق !!

سجن ليمان طره

١٥ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتي

عندما يصل هذا الخطاب اليك ، يكون قد مر عامان كاملان على فراقي انا واخي . هذا هو الذي يسمونه غير المعقول . من كان يتصور أن يفترق التوأمان عامين كاملين ؟

لم افترق عنه طوال حياتي مثل هذه المدة . عندما كان يتلقى العلم في انجلترا كان يحضر كل عام الى القاهرة لنمضي الصيف سويا . عندما كنت ادرس في امريكا ويدرس هو في انجلترا كنا نلتقي في أوربا أو نلتقي في مصر . في أيام فراقنا كنا نتكاتب باستمرار . اكاد اعرف كل خطوة خطاها كل نكتة سمعها . كل شخص قابله . الآن مضى علينا عامان كاملان دون أن نتبادل سوى بضع كلمات . عذاب السجن ليس في قيوده وقضبانه وزنزانته . انه في حرماننا من الاشخاص الذين نحبهم . نحن لا نعيش في قصور أو بيوت أو شقق . نحن نعيش في لقاء من نحب . من غير هذه اللقاءات نكون اشبه بالذي يعيش في العراء . اذكر آخر مرة انفردنا فيها معا . كان قلبي يحدثني أنه فراق طويل جدا . كنا نتكلم همسا . لاننا كنا نعرف أنه توجد أجهزة تسجيل في مكاتبنا وبيوتنا . قلت له انني أحس أن أصحاب السلطان يدبرون لي شيئا . اذا ارسلوا اليك واستدعوك لا تحضر ! اذا عرضوا عليك خطابا بامضائي لتحضر لا تصدق ! سأكون تعرضت لضغط هائل حتى يرغموني على أن اكتب اليك وادعوك الى الحضور . يومها كان لدى احساس غريب بأن الذين حول الرئيس يحملون سكاكين وخناجر يريدون أن يغمدوها في ظهري ، لقد كانوا يقولون ان ثلاثة فقط في مصر لديهم رقم تليفون جمال عبد الناصر السرى بجوار فراش نومه

يستطيعون أن يوقظوه فى أى وقت ، وكان هـؤلاء الثلاثة هم عبد الحكيم عامر وسامى شرف وأنا . وكانوا يغبطوننى على هذا الشرف العظيم . ولم أشعر فى يوم من الأيام أنه شرف عظيم . كنت أتصور أنها مسئولية عظيمة . وكنت أعتقد أن واجبى نحو بلدى وواجبى نحو جمال عبد الناصر أن أبصره بكل الأخطاء التى تحدث باسمه . ولم أشعر فى خلال فترة طويلة أن الرئيس يضيق بأن يسمع الحقيقة . وذات يوم فى أواخر سنة ١٩٦٤ قال لى سامى شرف : أن كل الذين حول الرئيس اتفقوا على الا يقولوا له أى كلام أو أى أخبار تضايقه ، وذلك لأنه فى حالة مرضية تجعل الأنبـاء السيئة تزيد حالته سوءا . قلت له : ان واجبى أن أخبر الرئيس بالأخطاء التى تحدث . قال : اذا سمعت أخطاء فاخبرنى انا بها ولا تخبر الرئيس . قلت : اننى أعتقد أن الرئيس ائتمننى على أن أقول له الحقيقة ، ولا استطيع اذا سألنى أن أخفى عنه الحقيقة.

وهذا الكلام لم يعجب الذين يريدون عزل الرئيس عن الحقيقة ، واقامة حصار حديدى حوله . ان الرئيس لا يقابل الا أشخاصا معدودين . ولا يتصل الا بأشخاص معدودين . ومن السهل أن يتفق هؤلاء فيما بينهم ويعدموا بريئا ، أو يسجنوا مظلوما ، أو يشوهوا حقيقة ، أو يدفعوا البـلد الى كارثة . ان الذين حول الرئيس يكرهون بعضهم بعضا . كل واحد منهم يريد أن يقطـع راس زميله . كل واحد منهم يريد أن يصل الى اذن الرئيس فوق جثة زميله . انهم يحولون الرياسة الى قصر يلدز : دسائس ومقالب ومؤامرات كما كان يقوم بها الاغوات والجوارى فى قصر السلطان عبد الحميد . ومن الذى سيدفع ثمن كل هذا ؟ مصر طبعا . اننى أعترف أن حالة الرئيس الصحية كانت سيئة ، ولكن اخفاء الحقيقة عنه ، حتى يصدم بها ذات يوم قد يقضى عليه . ولقد كان رأيى دائما الذى قلته للرئيس فى كل مناسبة أن العلاج الوحيد هو فتح جميع النوافذ ، وهو اطلاق الحريات ، وهو الغاء الرقابة على الصحف، وهو اعطاء مجلس الأمة حرية المناقشة والمعارضة ، وبذلك وحده تصل الحقيقة الى الرئيس بلا تشويه ولا تنميق ولا تزويق . اننى أعتقد أن التقارير التى تصل الى الرئيس من الأجهزة ليست نظارات معظمة يرى بها ما يجرى . انما هى عصابات سوداء يضعونهـا فوق عينيه لكى يحجبوا عنه الحقيقة ، كم من مرة اطلعنى الرئيس

على تقارير سرية وصلت من بعض الأجهزة وأدهشني ما فيهـا من كذب وجهل وتشويه للحقائق . وأذكر مرة أن الرئيس أطلعني على تقرير من أحد الأجهزة يقول ان احد السفراء العرب يجلس فى نادى الجزيره ويشتمه ويتكلم عنه بأسلوب لا يليق ! وكنت اعـلم أن هذا السفير غادر مصر منذ شهر ، وكان التقرير يؤكد ان الحادث وقع قبل ذلك بأيام قليلة . وطلبت من الرئيس ان يحقق هـذه الواقعة وظهر أن السفير فعلا غير موجود فى القاهرة ، وان كل ذنبه أنه قبل سفره قال عن احد كبار معاونى الرئيس انه حمار ! وهكذا أصبح من يشتم أحدا من هؤلاء الآلهة الصغار كأنه شـتم رئيس الجمهورية !

انني افكر كثيرا فى اخى . أعرف انه مسجون مثلى . صحيح أن الزنزانة التى يعيش فيها فى لندن أكبر من الزنزانة التى اقيم فيها فى ليمان طره . اشعر بأن عذابه اكبر من عذابى ، ووحدته اضعاف وحدتى . وهمومه أكثر من همومى . أتصوره يمشى فى غرفتـه ذهابا وايابا ، يمشى وحده . فقد أعتدنا أن نقطع الغرفة معـا . نمشى معا . نفكر معا . أحيانا لا نتبادل الكلمات .

ولكننا نتناقش بغير صوت ! اتصوره وهو يحس بالعجز لأنه لا يستطيع أن يفعل لى شيئا . يشعر بالمرارة لأنه لا يستطيع ان يحدثنى . أو يسمع صوتى . انا لا اشعر هنا بهذا العجز وهذه المرارة .

انا أسمع صوته فى خيالى . اتحـدث فى اليه ذكرياتى واحلامى . أسمع أنفاسه . أمسح دموعه . اقرأ فى عينيه كل خواطره . الله أعطى التوامين قوة غريبة . لا اشعر بعذاب هذا الفراق الحقيقى . أحس اننا دائما معا . لولا ذلك لتحطمت تماما . احساسى إننـا لم نفترق أبدا مع كل هذا البعد ، مع كل هذه المسافة ، هو الذى يعطينى قوة الاحتمال . الحب الذى بيننا هو القنطرة التى توصلنى اليه باستمرار . هو الكوبرى الذى أعبر عليه بعد أن تحطمت كل الجسور . انني اقطع هذه المسافة الطويلة فى لحظـة . البحار والدول والمدن التى تفصلنا عجزت عن أن تبعدنا . لست محتاجا الى برقيات أو خطابات منه لأننى أراه بجوارى فى الليل والنهار .. الذين يقيمون فى غرفة واحدة ليسوا فى حاجة الى تبادل الخطابات .

كل مباراة كرة يحضرها فى لندن كأننى شاهدتها . كل برنامج فى التليفزيون يراه هناك ، استمتع به هنا ، كل كتاب يقرؤه كأننى قرأته . الرابطة بين التوأمين المتشابهين غريبة . اشعر بأننى نصف محبوس ، ونصف مطلق السراح . نصف مقيد ، ونصف حر ، اقيم فى الزنزانة نصف اليوم . النصف الآخر من اليوم أمضيه فى شخصه هو . هذا شىء لذيذ فعلا . لا أظن ان مسجونا سواى يستمتع بهذه المتعة . الله عندما أعطانى نعمة أن يكون لى توأم أعطانى شيئا كثيرا . أعطانى متعة الا اعيش حياة واحدة . اعيش حياتى وحياة أخى التوأم معا . أمضى فى السجن نصف الوقت . وأمضى فى الحرية النصف الآخر . وبقدر هنائى بهذا الشعور أحس بعذاب اخى . رحلة خيالى تختلف عن رحلة خياله . خيالى يحملنى دائما الى الحرية وخياله يحمله الى الزنزانة . استمتع بانطلاقه . ويتعذب بقيودى .. الله جعلنا متشابهين فى كل شىء : فى القامة . فى الملامح . فى الصوت . فى التفكير . وحتى فى مرض السكر ومرض النقرس . وأحمد الله على أنه لم يجعلنا متشابهين فى دخول السجن كان هذا سوف يشقينى كثيرا كان سيحرمنى أن أمضى نصف يومى خارج السجن . كنا نقول فى الماضى انه عندما يدخل أحدنا السجن سيجىء الآخر لزيارته . ونتبادل المكان . دون أن يتبين الحراس الفرق . وكنا نضحك كثيرا لهذه الفكرة . اليوم نحن نحققها فعلا فى كل ساعة . وفى كل لحظة !

أنا فى الزنزانة لحظة ، وفى لندن اللحظة التالية ، وهو فى فندق ماى فير بلندن لحظة ، وفى زنزانة بسجن ليمان طره فى اللحظة التالية . هذا الشعور العجيب يخفف عنا آلام الفراق المرير . ثم ان ايماننا الذى لا حد له . وتفاؤلنا الذى لم يتزلزل فى أحلك الساعات واقسى الأزمات .

أحيانا كنت الح على أخى فى أن يتناول دواءه بانتظام ، لأننى أعرف أن علاجه يشفينى . أصر على أن يستشير الأطباء الاخصائيين لأن هذه الاستشارة تجعلنى أطمئن على نفسى . أطلب منه أن يعنى بصحته لأننى أعرف أن كل ساعة يطول فيها عمره تطيل عمرى . الأمر الذى يعذبنى أننى أشعر بأنه يتعذب أضعاف عذابى . صحيح أننى فى سجن ، ولكن فوق أرض بلدى . هذه الأرض التى أحبها وأعشقها تدفئنى .

أسير فوقها وكأنني أطير فى سماء أحلامى . هواؤها هو مجموع أنفاس الذين أحبهم ويحبونني . أرى من نافذة زنزانتى نيلهـــا وخضرتها وأهلها فأنسى كل آلامى . أما هو فيعيش على أرض غريبة بعيدة . فيها صلابة الصخور وقسوة الأحجار . ليست فيها نعومة أرضنا التى تغوص فيها أقدامنا وكأنها تقبلها وتحتضنها . يحس حوله بعواطف مترجمة . ولا يحس بالعاطفة المصرية الأصيلة قيودى لا تضغط على يدى . وحريته فى بلد غريب تضغط على عنقه وتكاد تخنقه . أعرف جيداً مبلغ شقائه ، لأننى أعرف كم نحب بـــلادنا .

ميدان القتال .. في ثقة

سجن ليمان طره
٣٠ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتي

أمضي الوقت في سماع الأخبار من اذاعة السجن . نحن مقبلون على معركة . أتتبع باهتمام أخبار المعركة التي تخوضها بلادي . انني أتمنى أن تنتصر مصر باذن الله في هذه المعركة . على الرغم من كل ما فعله حكامنا بنا وبأنفسهم وبالبلد .

تعود بي دائما الذاكرة الى معركة عام ١٩٥٦ التي كان لي شرف الاشتراك فيها . قيودي اليوم تمنعني من أن أخوض معركة اليوم . ليس عندي الا أن أصلي لمصر داعيا لها بالنصر . اعتبر كل نصر لمصر هو نصر لي . كل هزيمة لها ستكون هزيمة لي .

وعندما يخوض الوطن معركة ، يجب علينا أن ننحي جانبا آلامنا الشخصية ، وننسى متاعبنا ، ولا نذكر سوى بلادنا ، كم تمنيت أن يسمح لي بالاشتراك في هذه المعركة بقلمي وفني وخبرتي وحياتي ، كما فعلت في كل معاركنا الماضية ، على أن أعود الى السجن بعد انتهاء المعركة ..

انظر حولي فأجد المسجونين السياسيين ، والمعتقلين السياسيين - والموضوعين تحت الحراسة ، والمنبوذين السياسيين ، والمنفيين عن بلادهم ، والمطاردين في رزقهم ، وأتساءل هل يمكن أن يحارب بلد بنصف أهله . هل يمكن أن نحارب ونصفنا مسجون أو معتقل مكمم أو منكوب أو مدموغ بأنه عدو من أعداء الشعب . في كل بلاد العالم عندما تقرر دولة أن تحارب توحد صفوفها ، وتضمد جراحها ،

وتجعل الشعب كله كتلة واحدة ، لا تمضى الوقت فى فرز الناس على الفرازة . هذا اشتراكى وهذا غير اشتراكى . الذين يحكمون لم يقرأوا التاريخ ، لم يعرفوا ان الاتحاد السوفيتى عندما حارب افرج عن المسجونين السياسيين . لا يعرفون أن نابليون عندما حارب أطلق سراح المسجونين العاديين .

- أحب الا تتألموا لأنهم فى هذا الوقت بالذات ، وفى وقت تحشد فيه الجيوش العربية لتستولى على اسرائيل ، تطلب رياسة الجمهورية اخراجى من شقتى . ان هذا الطلب المستبد لم يؤلمنى . ولكنه أذهلنى .

اننى قبلت تأميم أخبار اليوم ، وهى حياتى ، برضا ، هذا التصرف الغاشم لم يؤثر على نفسيتى أبدا . أنا دائما على استعداد لأن أقدم كل شىء لبلادى . الذين على استعداد لأن يجودوا لمصر بحياتهم لا يبخلون عليها بأرزاقهم وبيوتهم .

وكم كنت أتمنى لو أن ابنتى رتيبة وصفية فى سن الجندية ، لأطلب اليهما أن تحملا سلاحهما وتذهبا الى ميدان القتال . اننى أفضل أن تموت ابنتاى فى وطن حر على أن تعيشا فى بلد مستعبد .

ولقد فوجئت بعد أيام بمأمور الليمان يستدعينى على عجل لمقابلته . ويدفع الى بأوراق وقال لى : ان رياسة الجمهورية تطلب منك أن توقع هذا فورا ..

وقرأت ما فى الورق فاذا به عبارة عن تنازل عن شقتى وما فيها من أثاث ومفروشات !

قلت : كيف أتنازل عن شقتى وأنا أقيم فيها منذ ١٨ سنة أى منذ عام ١٩٤٧ وأدفع ايجارها باستمرار ؟

قال المأمور : هذه أوامر من رياسة الجمهورية ..

قلت : وماذا تريد أن تفعل رياسة الجمهورية بهذه الشقة .

قال المأمور : تريدها للمعركة !

قلت : وماذا تنفع هذه الشقة التى فى شارع صلاح الدين بالزمالك، للمعركة التى فى اسرائيل !

قال المأمور : لا تسأل اسئلة كثيرة .. وقع التنازل عن الشقة ،

قلت : لابد أن أعرف لماذا اتنازل ؟

قال : ان أحد كبار الضباط وهو يحمل لقب فريق ، أعجبته الشقة، واستأذن من الرئيس ليأخذها فاذن له !

قلت : ولكن الشقة مغلقة ومفتاحها معى . كيف دخل هذا الضابط الكبير شقنى وتفرج عليها وأعجبته !

قال : انت تريد أن تحقق مع رياسة الجمهورية !

قلت : لا سمح الله .. ولكنى اريد أن أعرف .. فهذا بيتى !

قال المأمور : انك اذا رفضت التنازل عن شقتك فسوف تغضب رياسة الجمهورية !

قلت : وماذا تستطيع أن تفعل رياسة الجمهورية اكثر مما فعلوا بى ! انه محكوم على بالأشغال الشاقة المؤبدة ؟ .. ولا أظن انهم سيحكمون على بالاعدام لاننى رفضت التنازل عن شقتى !

قال المأمور : المسألة مستعجلة جدا! ..

قلت : اعطنى الورقة

وناولنى الورقة وهو يتصور أننى سأوقع على التنازل ، ولكنى كتبت عليها . « اننى أرفض التنازل عن شقتى . اننى فى دهشة انه فى الوقت الذى اقرأ فيه فى الصحف أن الجيش المصرى يحتشد فى سيناء ليستولى على اسرائيل ، أجد أحد كبار ضباط الجيش المصرى يحتشد فى الزمالك ليستولى على شقتى ! وانه بدلا من أن يكون فى غرفة العمليات فى سيناء أجده فى غرف منزلى يعاينها ويعاين أثاثها » !

ووقعت على هذا الاقرار !

هذا التصرف جعل قلبى ينقبض . اذا كان هذا تصرف بعض كبار قوادنا اثناء المعركة فكيف نحارب المعركة ، وكيف نكسب المعركة ! اهتمام ضابط كبير ، بل اهتمام الدولة فى هذه الساعات الخطيرة بالاستيلاء على شقة مظلوم دليل على عدم جدية المعركة !

احسست اننى استطيع ان احكم على أشياء كثيرة من الورقة التى ارادوا منى ان اوقعها . فى هــذه الورقة قرأت تقريرا سريا عن حقيقة حالتنا واستعدادنا الحربى ، ما كنت لأستطيع أن أعرفها لو كنت حرا ، أو كنت أجلس فى غرفة العمليات !

اننى اعتقد أن الرئيس لا يمكن أن يعلم بهذا التصرف الحقير الصغير ! ولكن ما الذى يضمن أن الوفا مثل هذا التصرف تحدث الآن لمواطنين آخرين ، وان البعض أشاع فى البلد جو الحرب ، لا ليحارب ، بل ليسرق وينهب ويستولى على شقق الآخرين !

ومع ذلك يجب الا تصرفنا هذه التصرفات عن واجبنا نحو بلادنا .

من واجب كل عربى أن يشارك فى هذه المعركة بشىء . اى شىء . حتى ولو كان صغيرا .

ان مجموع الأشياء الصغيرة يصنع شيئا كبيرا . لم أشــعر بعذاب السجن كما شعرت به فى هذه الأيام . فى أثنــاء معركة بور سعيد كنت أشعر بأننى أقف فى الصف الأول .

كم يحزننى أننى اقف الآن فى الصف الأخير . احس ما يحس به الجندى القديم ، أن يرى بلاده فى معركة ، وهو مقعد لا يستطيع أن يتحرك معها . وهو أبكم لا يستطيع أن يحمل ســلاحه دفاعا عنها . ليس عندى سوى أن أدعو لمصر من كل قلبى ..

اعتقلها المأمور لأنني خفت على عقلي

سجن ليمان طره
٣١ مايو سنة ١٩٦٧

عزيزتى

حدث اليوم أن كنت جالسا مع بعض المسجونين غير السياسيين ، وسألنى احدهم عن رايى فى الحرب ! فقلت له أننى غير مطمئن لما اقرا عن حشد الجيش المصرى فى سيناء ، واننى اخشى ان تنتهز اسرائيل هذه الفرصة وتهزم جيوشنا . واننا اخترنا وقتا سيئا للحركة ، وان الرأى العام العالمى ضدنا ، وان المفروض قبل أن نتحرك عسكريا ، ان نكسب الجو الدولى سياسيا ، وليس من المصلحة أن نحارب فى جو عدائى ..

وبعد ان انتهى الحديث بدقائق استدعانى مأمور الليمان الى مكتبه وسألنى :

— هل صحيح انك قلت امام المسجونين ان الجيش المصرى سينهزم !

قلت : نعم

قال : كيف تقول هذا ؟ الم تقرا الصحف التى تؤكد اننا سنستولى على اسرائيل فى ثلاثة أيام ؟ الم نسمع الاذاعة التى تقول ان جيشنا هو اكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ؟ الم تسمع أن أم كلثوم ستغنى حفلتها القادمة فى تل أبيب .

قلت : وهذا هو الذى جعلنى اقول ان الجيش المصرى سينهزم !

قال : انت جننت !

قلت : هذه هي معلوماتي . ان قيادة الجيش غـير قادرة على الحرب .

قال : لا تقل هذا الكلام لأحد ! انني أخشى أن يبلغ الجهـات العليـا ..

قلت : انا أريد أن يبلغ الجهات العليا . أريد أن أقول انني اتوقع في هذه الظروف الهزيمة . وسوف أستمر أقول انني ضد الحرب الى أن تبدأ الحرب ، وعندئذ سأؤيدها ، لأنني لا يمكن أن اقول رأيي هذا ونحن نحارب . ولكن واجبي نحو بلادى أن انبهها الى الشرك الذى ستقع فيه ..

ونظر الرجل الى بدهشة ، وكأنه ينظر الى رجل فقد عقله !

وبعد ذلك عقد قائد العنبر اجتماعا للمسجونين السياسيين ، وخطب فيهم ، وقال انه يسكن على الكورنيش ، وهو يري أسـلحة وذخائر ومدافع لا أول لها ولا آخر ، وهي تمر قادمة من حلوان في طريقها الى الجبهة ، وأن هذا يجعله واثقا من النصر !

وعجبت أن يحكم هذا الضابط على معركة في اسرائيل ، وهو ينظر من نافذة بيته في شارع الكورنيش . وفهمت أنه مكلف بأن يطمئننا .. ولكنه زادنى تشاؤما . واجتمعت بالأستاذ حسـن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين في زنزانته ، وفوجئت به يقول لي انه هو الآخر يتوقع الهزيمة ، وأن الهزيمة مؤكدة . ومن معلوماته عن كبـار ضباط الجيش أنهم يصلحون للاستقبالات والتشريفات والجلوس في المكاتب والسير وراء كبار رجال الدولة في المواكب ، ولكنهم لا يصلحون لقيادة الجيش .

قلت له : انني فكرت في أن أكتب للرئيس عبد الناصر أقترح عليه أن يؤلف جبهة وطنية في هذا الظرف العصيب . ان انجلترا الفت وزارة قومية من كل الأحزاب أثناء الحرب . ان الرئيس روزفلت في أمريكا جاء باثنين من حزب لمعارضة وجعل أحدهما وزيرا للحربية والثانى وزيرا للبحرية . الموقف الحاضر يقتضى ألا يستقل فرد واحد برأيه . يجب أن توحد كلمة الأمة قبل المعركة ..

قال الأستاذ الهضيبى : لن يقبل عبد الناصر اقتراحك ..

قلت : لماذا ؟

قال : لانه يخشى اذا انتصر أن يشاركه شريك فى هذا المجد ..

قلت : واذا انهزم ؟

قال : اذا انهزم فسنكون أنا وانت والمسجونون فى السجون المسئولين عن هذه الهزيمة !

طبول النصر يوم ٥ يونيو

سـجن ليمان طره
٦ يونيو سنة ١٩٦٧

عـزيزتى :

فى صباح يوم ٥ يونيو لم تفتح أبواب الزنازين كالمعتاد . منعنا من الذهاب الى دورة المياه . صـدرت الاوامر بمنع المسـجونين من الذهاب الى الجبل لتكسير الأحجار كما يحدث كل يوم . اقفلت سماعات اذاعة الراديو فلم نسمع الأخبار كالمعتاد . جو غريب مريب ، قال لى احد الحراس من طاقة فى باب زنزانتى هامسا أن الحرب قد قامت . لم أفهم العلاقة بين اغلاق أبواب الزنازين علينا ومنعنا من الذهاب الى التواليت وبين قيام الحرب !

تعلقنا فى نوافذ الزنازين . ورحنا نسترق السـمع للاشاعات والاستنتاجات . قال أحد المسجونين ان انقلابا قد حدث . وقال مسجون ثان ان عددا من المسجونين هربوا من عنبر أربعة . وقال مسجون ثالث أن تمردا حدث بين المسجونين فى طابور الجبل ، فتقرر منع جميع المسجونين من الخروج . لم أسـتطع أن أقول الحقيقة خشية أن يكون الحارس أسر الى بخبر كاذب !

بعد ثلاث ساعات حضر الرائد محمد كمال الدين أركان حرب الليمان وفتح زنزانتى وحدى . قال لى انه مكلف من مدير الليمان بأن يفتح زنزانتى وحدى ليبلغنى أن الحرب قد بدأت واننا اسقطنا حتى الآن ٧٨ طائرة اسرائيلية ، وأن قواتنا دخلت حدود اسرائيل وانها الان فى طريقها الى تل أبيب .

وسكت الرائد كمال الدين ، ونظر الى عينى ، وكأنه يقول لى : هل ما زلت تقول ان الجيش المصرى سينهزم ..

قلت له : لا أصدق كل هذه الأنباء .

قال الرائد : هذا بلاغ حربى أصدرته القيادة العامة للقوات المسلحة واذيع فى الاذاعة ..

قلت له : انا اعرف كيف تكتب البلاغات الرسمية ولهذا لا اصدق هذه الأنباء ..

واغلق الرائد محمد كمال الدين باب الزنزانة آسفا حزينا لأننى لا ارى الحقيقة الواضحة كشروق الشمس ، وهى أن الجيش المصرى انتصر فعلا ، وانه فى طريقه الى تل أبيب .

غير اننى كنت قرات كثيرا فى التاريخ ، وبحكم عملى الصحفى الطويل اصبحت استطيع ان اشم رائحة الخبر ، وأفرق بين الخبر الصادق ، والخبر الذى لفقته الجهات الرسمية .

وكانت لى آراء عن الحالة فى الجيش تخالف رأى كثيرين من المسئولين وكنت لا أخفى هذا الرأى فى أحاديثى مع الرئيس عبد الناصر ، الذى كان يقول لى دائما أن معلوماتى فى هذه الشأن غير دقيقة ، وأن الحالة فى الجيش مطمئنة جدا ..

وكان من رايى اننا أعددنا قيادة عسكرية لتحكم ، ولم نعد قيادة لتحارب . وأننا أعددنا الجيش ليحافظ على النظام لا ليحارب ! وانه كلما تلقى المسئولون تقريرا بأن أحد الضباط الشبان له شعبية فى الجيش ، أو انه محبوب من زملائه الضباط ابعد على الفور من الجيش ، وأن كثيرا من الضباط الذين درسوا فى الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وأظهروا كفاءة فى عملهم العسكرى أبعدوا عن الجيش وعينوا سفراء ، أو وزراء ، أو وكلاء وزارات أو مديرى مصانع أو رؤساء مجالس شركات ! وانه جاء وقت جعلنا الجيش يعمل فى كل شىء الا فى المسائل الحربية ، فكلفناه ببناء السد العالى ، وكلفناه بادارة الاتوبيسات فى شوارع القاهرة ، وكلفناه بتنظيم مستشفى قصر العينى ، وكلفناه بشئون التموين ، وارسلنا وحدات من الجيش لتحاصر قرية كرداسة فى محافظة

الجيزة ، لأن الفلاحين رفضوا أن يسمحوا لبعض الجنود بالقبض على أحد الأهالى . وارسلنا وحدات من الجيش الى كمشيش باعتبارها معركة حربية مع أسرة الفقى ! وهكذا ابعدنا الجيش عن مهمته الحقيقية وهى الحرب والاستعداد للحرب .. وفى وقت من الأوقات نسى بعض قواد الجيش ان العدو هو اسرائيل ، وانما اعتبروا العدو الأول هو الشعب المصرى ، فاشتركت الشرطة العسكرية فى عمليات وحشية فى اثناء تطبيق الحراسة ، وخرج من الجيش عدد من أحسن ضباطه لانهم اصهار أو اقارب أسر وضعت تحت الحراسة ، أو لأنهم اقارب بعض المسجونين السياسيين أو المعتقلين السياسيين . وعاش الضابط المصرى فى جو من الارهاب والجاسوسية والتقارير السرية ، واصبح كل ضابط قلقا على مستقبله وعلى حريته وعلى حياته . وقبض على عدد كبير من الضباط ، وزج بهم فى السجن الحربى وفى المخابرات ، بلا ذنب ولا جريرة ، سوى وشاية ، أو نكتة ، أو كلمة ، قالتها زوجة الضابط فى احدى الزيارات ! وعاش الجيش فى جو من الرعب والارهاب . ولم يتنبه المسئولون الى أن الخائفين لا يستطيعون أن يحاربوا ، وأن كل من يحارب يجب أن يتجه ببصره الى الأمام ، لا أن يلتفت حواليه وخلفه ليحمى نفسه من الذين يكتبون التقارير السرية عنه .

وجاء وقت لم يعد كبار الضباط مهتمين بالتدريب والتعليم والثقافة العسكرية ، بقدر اهتمامهم بارضاء رؤسائهم . فقد أصبحت الحظوة هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى المناصب العليا . وأصبحت قوة الشخصية والشجاعة والجرأة والزهد فى المناصب ، وعدم الركوع امام الرؤساء هى جرائم تستوجب الاحالة الى المعاش وأصبح اهتمام كثيرين من كبار الضباط موجها الى الخروج من الجيش لتولى مناصب السفراء والوزراء والمحافظين ورؤساء مجالس الادارات .. وتوهم القائمون بالأمر فينا ان الجيش ممكن أن يحكم وأن المدنيين يمكن أن يحاربوا ! فلا استطاع العسكريون أن يحكموا ، ولا استطاع المدنيون أن يحاربوا .

ولقد سألت مرة الرئيس جمال عبد الناصر عن السبب الذى يجعله يسند المناصب المدنية الكبرى الى العسكريين ، ويفضلهم على المدنيين .. فقال لى لأن المدنى عندما يتلقى الأمر يضيع الوقت

فى مناقشته . أما العسكرى فعندما آمره ان يدخل فى الجدار ، يدخل فى الجدار بدون مناقشة او تردد !

قلت له : وماذا يستفيد البلد من دخول العسكريين فى الجدران ؟

قال الرئيس : نحن فى ثورة . والعسكريون قادرون على تنفيذ الأوامر بسرعة وبجراة وبغير مناقشة .. أما المدنى فهو بطبيعته متردد وبطىء . ونحن لا وقت عندنا للتردد والبطء !

والواقع أن الاندفاع لم يكن انطلاقا . والتسرع لم يكن سرعة .. فان كثيرا من أخطائنا كان من الممكن تلافيها لو درست وفحصت . ولو أن هذا الحشد العسكرى مثلا بحث ونوقش لتلافينا الكارثة . ولكن الذى حدث أن الرئيس أمر .. واستجاب القواد للاوامر بلا مناقشة ، ودخلوا فى الجدران !

ثم أن الجيش المصرى ارسل فى السنوات الأخيرة فى مهام غير حربية وانما فى مهام سياسية ، فقد أرسلنا قوات مظلات الى الكونغو ومعها تعليمات بأن تساند حكم الرئيس لومومبا .. وحاولنا ان ندير سياسة الكونغو وكانت الكارثة أن سقط حكم لومومبا ..

وأرسلنا الجيش المصرىى الى الجزائر ، فى خلاف بين الجزائر والمغرب ، ولم يكن معقولا تكليف الجندى المصرى بقتل جندى عربى ، لخلاف بين حكومتين !

وارسلنا الجيش المصرى الى العراق ليسند حكم الرئيس عبد السلام عارف وليست مهمة الجيش المصرى أن يتدخل فى الشؤون الداخلية لبلد عربى ، وخاصة أنه قيل أن الرئيس العراقى غير مطمئن للجيش العراقى ، ولهذا أرسلنا له الجيش المصرى . فكيف نضع الجيش المصرى فى موضع الرقيب على الجيش العراقى — وكيف نقبل أن يعرف شعب العراق اننا نسند الرئيس العراقى بحراب مصرية .

ثم كانت معركة اليمن . وقد تصورنا فى أول الأمر اننا نكسبها بمائة جندى من قوات المظلات . ثم ارتفع العدد الى الف . ثم عشرة

آلاف . ثم أغلب قوات الجيش المصرى .. وقيل لنا أن الغرض من هذه الحرب هو أن يتدرب الجيش المصرى على القتال استعدادا لحرب اسرائيل ، ثم ظهر أن طبيعة الحرب مع سكان اليمن ؛ وطبيعة الأرض ، وطبيعة الجبال تختلف عن طبيعة أرض اسرائيل ، ولم تستفد مصر من هذه الحرب الا خسارة شبابها وخسارة ٤٠٠... مليون جنيه لو أنها أنفقتها على شعب مصر لعاش كل فرد فيها فى رخاء ، وأصبح لكل عامل فيها بيت ، واصبح كل فلاح يملك قطعة أرض يزرعها !

ولقد كانت معلوماتى عن اهمال القيادة فى الجيش المصرى وعبثها تخالف المعلومات التى لدى الرئيس عبد الناصر .. وتخالف التصريحات الوهمية التى كانت الرقابة تصر على أن تنشرها الصحف بالعناوين الضخمة فى صفحتها الأولى . وتخالف المقالات التى كان الخبراء العسكريون يقولون فيها اننا أكبر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط .

عندما دخل الرائد محمد كمال الدين الى زنزانتى ليبلغنى انباء الانتصارات الهائلة ، تذكرت على الفور يوما كان الأستاذ محمد فهمى السيد المستشار القانونى لرئيس الجمهورية يتعشى معى فى بيتى فى الاسكندرية ، وكان معنا الملحق العسكرى الأمريكى . وجرت مناقشة عن اسرائيل وتأييد أمريكا لاسرائيل ، وتصورها انها القوة العسكرية التى يمكن أن تحمى مصالح الغرب فى المنطقة .

واذا بالملحق العسكرى الأمريكى يقول لنا بصراحة ان المعلومات الرسمية التى لديهم تؤكد ان الجيش الاسرئيلى قادر على هزيمة الجيش المصرى ، وأنه أقوى تدريبا على مختلف الأسلحة من الجيش المصرى . وان نسبة مستوى تدريب الطيران الاسرائيلى ٦٨٪ بينما نسبة الطيران المصرى ٣٤٪ وأن نسبة مستوى تدريب المدفعية الاسرائيلية ٥٧٪ بينما نسبة المدفعية المصرية ٤٦٪ . وأن نسبة تدريب الدبابات الاسرائيلية ٦٨٪ ونسبة مستوى تدريب الدبابات المصرية ٤١٪ ومضى يذكر مستوى النسب لباقى الأسلحة ويدلل على تفوق التدريب الاسرائيلى على التدريب المصرى .

وبعد خروج الملحق العسكرى الأمريكى أتفقت مع محمد فهمى السيد على أن هذه معلومات خطيرة جدا ويجب أن أبلغها لرئيس الجمهورية فورا . وتحمس المستشار القانونى لهذا . واتصلنا بالرئيس تليفونيا بعد منتصف الليل ، وطلبت مقابلته لأمر هام ، فحدد لى الموعد فى الساعة الأولى بعد ظهر اليوم التالى . وذهبت الى الرئيس فى منشية البكرى وأبلغته نص ماسمعناه فقال الرئيس: غريبة ! ان عندى تقارير من الخبراء الروس بعكس هذا . انهم يؤكدون ان الجيش المصرى أصبح أقوى جيوش الشرق الأوسط تدريبا وسلاحا . والخبراء اليوغوسلافيون يقولون نفس الشىء .

وقلت للرئيس : قد يكون الملحق الأمريكى قصد تهويشنا ، وقد تكون هذه المعلومات صحيحة .. فلماذا لا نحقق فيها . فاذا تأكدنا أنها معلومات صحيحة نعالج ما لدينا من أخطاء ، واذا كانت كلاما فارغا فهمنا أن أمريكا تريد أرهابنا وخداعنا بتصوير قوة غير حقيقية لاسرائيل .

وقال الرئيس : سوف استدعى عبد الحكيم ..

وقام الى التليفون وطلب أحد كبار القواد فى القيادة العامة ، وبعد نصف ساعة تقريبا وصل القائد الكبير ، وطلب منى الرئيس أن أروى للقائد ما سمعته .

ورويت للقائد ما حدث ..

وقال لى القائد فى هدوء : هل أنت وطنى ؟

قلت : نعم .

قال : اذن اذهب فوراً من هنا الى السفارة الأمريكية ، وقابل الملحق العسكرى الأمريكى ، وقل له (.....) كلمة نابية !

قلت : لا أستطيع أن أقول له هذا .

قال القائد : قل له أن فلانا يقول لك (.....) .

قلت : ولا أستطيع أن أقول له هذا باسمك ؟

قال : لمــاذا ؟

قلت : أولا هو لم يطلب مني أن انقل اليك هذه المعلومات حتى اذهب اليه واقول له هذه الكلمة . ثانيا لا يوجد فى اللغة الانجليزية هذه الشتيمة ! انهم يقولونها فى أمريكا اللاتينية ولكن لا يقولونها فى أمريكا . وهم فى لبنان يشتمون الأخت ولا يشتمون الأم .

قال القائد المصرى : انت خائف .

قلت : انا لست خائفا .. انا أرى أن نبحث هـذه المعلومات ونتحقق هل هى حقيقة أم كذب .

قال القائد المصرى : تعال غدا احضر المناورة العسكرية وسترى بنفســك .

قلت : انا لا افهم شيئا فى الشئون العسكرية ، ولا استطيع أن احكم على تدريب الطيران أو المدفعية أو الدبابات .. ان هذا من اختصاص الخبراء العسكريين .

قال القــــائد المصرى : الخبــراء العســـــكريون الروس واليوغوســـلافيون والمصريون يؤكدون أن الجيش المصرى أقوى جيش فى المنطقة وقادر على أن يضرب اسرائيل بسهولة . والملحق العسكرى الحمار يقول غير هذا فهل نكذب جميع الخبراء ونصــدق الحمار !

وأحسست يومها بأن الرئيس عبد الناصر مقتنع كل الاقتناع بقوة الجيش المصرى ، وبأن تقارير الخبراء صحيحة .

ترى أى التقارير هى الصحيحة وأيها هى الكاذبة !

أرجو أن أكون مخطئا فى تقديرى ، وهو أننا لم نخصص الجيش المصرى للحرب وانما خصصناه للدفاع عن النظام ..

قبل الحرب بأيام نشرت الصحف أن اتحاد كرة القدم عقد اجتماعا لمدة ١٠ ساعات برياسة المشير عامر رئيس الاتحاد والقائد العام

للقوات المسلحة وبحضور الفريق عبد المحسن مرتجى رئيس النادى الأهلى وقائد الجيش والفريق سليمان عزت رئيس النادى الأوليمبى وقائد البحرية والفريق صدقى محمود رئيس نادى الطيران وقائد الطيران لبحث هل ينقل لاعب الكرة لمعى من نادى المنصورة الى النادى الأهلى ..

تصور قائد عام الجيش وقائد الجيش وقائد البحرية وقائد الطيران يجتمعون قبل المعركة بأيام لمدة ١٠ ساعات لا ليضعوا خطة المعركة ، وانما ليبحثوا فى نقل لاعب كرة من ناد الى ناد !

وبعد ذلك يسألوننى لماذا نتوقع هزيمة الجيش المصرى .

لقاء مع الهزيمة!

سجن ليمان طره

يونيو سنة ١٩٦٧

عـزيزتى

فى اثناء الغارة الاسرائيلية مساء أمس أبلغ أحد الحراس الواقفين على السور انه راى وهج سيجارة ينبعث من نافذة زنزانة من الناحية الأخرى للطابق الرابع الذى أقيم فيه .

والتعليمات هنا الا نشعل سجائر أثناء الغارات .

واشار الحارس الى نافذة ، وكانت نافذة الجاسوس الألمانى لوتز المحكوم عليه بالمؤبد لأنه سرق أسرار المطارات العسكرية وسلمها لاسرائيل .

واستنتج مأمور العنبر أن الجاسوس الاسرائيلى يعطى اشارات بالسيجارة لطائرات الأعداء . وصعد المأمور الى الطابق الذى فيه المسجونون السياسيون وقال انه سيجمع جميع المسجونين السياسيين ويضربهم بالرصاص .

ومع أن الحارس اعترف بعد ذلك فى التحقيق بأن ما ظنه سيجارة لم يكن الا وهج قنبلة من القنابل التى تطلقها المدافع المضادة للطائرات ، الا أن الأعصاب كانت مشدودة ، فصدر قرار بعقاب جميع المسجونين السياسيين الموجودين فى الطابع الرابع ، وانزالهم جميعا الى الطابق الأرضى فى العنبر الذى كان مخصصا لمرضى السل ، وبعد ذلك تحول الى ملحق لعنبر التأديب . .

وتحملت هذا العقاب برضا ،ولم اشك ، ولم احتج ، ولم اعترض لأنني كنت اشعر بأننا في معركة ، وان هذا اقل ما يمكن أن نتحمله اثناء الحرب من أجل بلادنا . ولم تهتز اعصابي لهذه المعاملة الظالمة ..

وكانت زنزانتي الجديدة في الطابق الأرضي مترين في مترين . الهواء لا يدخلها . واشعة الشمس لا تطرق بابها . نعيش في ظلام دامس لأن الكهرباء منعت عنا . لم اكن أستطيع أن اقرأ ولا أكتب . لم أخرج للفسحة خارج الزنزانة . ضاعف من سوء حالتي ان الزنزانة التي وضعوني فيها مليئة بكميات هائلة من البق ، وطوابير ضخمة من النمل والناموس والصراصير والذباب . أمضيت الوقت أحارب الحشرات . وقد خسرت هذه الحرب . لا أكاد اقضي على طابور منها حتى يدخل من الشقوق طابور جديد . أمام الزنزانة ردهة ضيقة ، لا تكاد تمشي فيها خطوة حتى تسقط فوق الأتربة والمياه القذرة وبقايا الطعام من الأدوار العليا ، والكناسة ، والمعلبات الفاضية . كأنها قنابل تسقط فوق رؤسنا . كان هذا المكان اشبه بصندوق قمامة العنبر كله تلقي فيه قمامة العنبر ، فوق رؤوسنا .. الميزة الوحيدة ان دورة المياه في نفس الطابق ، وكنت اضطر الى الاستحمام سبع وثماني مرات في اليوم بسبب شدة القذارة . بعد كل حمام بدقيقة كنت أشعر انني في حاجة الى حمام جديد .

كان المسجونون متحمسين اثناء اذاعة البلاغات الحربية .. كانوا يصفقون ويهللون ويرقصون ويزغردون عقب اذاعة كل بلاغ حربي في الاذاعة . أما أنا فقد كنت أشعر من لهجة البلاغات الحماسية أنها مكتوبة في المكاتب في القاهرة وليس فيميدان القتال . وكانت المبالغة في وصف الانتصارات توحي لي بأنها تخفي هزائم كبيرة .. ولكن المسجونين العاديين فهموا البلاغات الحربية على اننا على أبواب تل أبيب . ولما جاء البلاغ الحربي يقول ان الجيش المصرى انسحب الى خط الدفاع الثالث غرب القناة صاح عدد من الضباط المحكوم عليهم في قضايا المخدرات .. خلاص الكماشة انطبقت على الجيش الاسرائيلي .. وكانت زنزانتي مغلقة علي ، وفهمت من هذا البلاغ الذى هللوا له اننا فقدنا سيناء كلها وخاصة انني أعرف انه لا يوجد شيء اسمه خط الدفاع الثالث ! وعرفت عندئذ

انها الهزيمة التى توقعتها ! أحسست أن مطرقة هائلة سقطت فوق رأسي . هرستني . حطمتني . احسست ان قامتي قصرت فجأة . أصبحت قزما ، بل تصورت أن المصريين كلهم نضاءلوا وصغروا وأصبحوا أقزاما . لم يعد فى البلد طويل واحد . الطويل انحنت قامته . أو ركع على قدميه . أو أصبح يزحف على الأرض . الشعور بالهزيمة هو شعور بالذل ، بالضعف بالهوان ، بالسقوط ، بالضآلة ، بالضعة . شعرت اننى خجلان من نفسى . لا أريد ان أرى وجه أحد أو يرانى أحد . حمدت الله على اننى فى السجن حتى لا أواجه الناس . اننى خجلان من أهل وطنى الذين مكثت سنوات طويلة انقل لهم تصريحات المسئولين عن قوة مصر واستعداد مصر وجيش مصر ..

وفى الصباح لم استطع أن أغادر زنزانتى . لأول مرة منذ دخلت السجن اهتزت أعصابى . وامتلأت عيناى بالدموع . أحسست بقلبى يتمزق . ماقضينا كل هذه السنوات فى تشييده وبنائه تهاوى وانهدم وتحطم فى بضع ساعات . الهزيمة عذبتنى أكثر من تعذيب صلاح نصر وحمزة البسيونى . اذلتنى . كسرت قلبى . أحسست اننى أصبحت أشلاء متناثرة . حاولت أن أجمع بعضها الى بعض فلم أستطع .

ودخل على زميلى المسجون السياسى أنور زعلوك ومعه عدد من المسجونين فوجدونى أبكى بكاء حارا . فوجئوا لأنها أول مرة يروننى أبكى فيها . سألونى لماذا تبكى ؟ قلت : أبكى على بلدى . قالوا دهشين : ولكنك كنت الوحيد هنا الذى كنت تتوقع الهزيمة قبل أن تقع . قلت : ومع ذلك فوجئت بها . كنت أتمنى لو كنت مخطئا ، وكان الجميع على حق فى أوهامهم . كنت أتمنى أن أكون مخدوعا وحدى بدلا من أن تكون دولتى كلها مخدوعة . ثم اننى لم أتوقع أن تكون الهزيمة كبيرة الى هذا الحد ، ولا أن تكون سريعة . أن مصيبتنا كبيرة لأن العالم كله شمت فينا . كنا نبالغ فى قوتنا . خدعنا أنفسنا ولم نخدع عدونا . كذبنا على شعبنا بينما عرفت اسرائيل الحقيقة . ما حدث لنا هو واحد زائد واحد يساويان اثنين . نتيجة منطقية لتصرفاتنا . نحن كنا نحارب على الورق وننتصر على الورق . وصدقنا التقارير التى تخصصت فى التلفيق

فلفقت لنا اكاذيب عن ضعف أعدائنا كما كانت تلفق التهم والمؤامرات للأبرياء ! كان من رأيي دائما أن الارهاب لا يلد أسودا . أنه لا يلد الا الارانب . الحرية وحدها هي التي تلد الأسود التي تحارب وتنقض ولا تجرى في الصحراء كالفيران ! نحن الذين هزمنا أنفسنا قبل أن يهزمنا عدونا . قضينا على الكفايات وأبرزنا الأمعات . نسينا أن الذين يرتبون المواكب لا يصلحون لوضع خطط الحروب . قربنا الضعفاء ، وأبعدنا الاقوياء . جعلنا الذيول مكان الرؤوس ، والرؤوس في موضع الذيول ! جعلنا من أوهامنا حقائق ، ومن احلامنا وقائع ، ومن هذياننا فلسفة . ما حدث لنا كان لا يمكن أن يحدث لولا حكم الفرد وعبادة الفرد . لا يستطيع فرد واحد أن يحيط بكل شيء ويعرف كل شيء ويدير كل شيء . لو أن البلد فيه حكومة حقيقية من وزراء حقيقيين . لو أن الحكومة فيها برلمان يستطيع أن يعارض وينتقد . لو أن مصر فيها صحافة تستطيع أن تكشف عن الأخطاء والجرائم لأمكن تفادى كل ما حدث من كوارث ونكبات !

وفى بعض الأحيان كنت أصاب في جنوني بحالة غرور وأقول لنفسي لو كنت خارج الأسوار لما حدث كل ما حدث . انني أذكر كيف أنني في عام ١٩٥٥ أبلغت الرئيس عن موعد هجوم غادر دبرته اسرائيل وعن مكانه ، وعن عدد المهاجمين قبل أن يحدث هذا الهجوم بثمان وأربعين ساعة . يومها استعد جيشنا لهذا العدوان ، وضرب قوات اسرائيل المهاجمة ، وقال لى الرئيس يومها ان ما فعلته من أجل بلادك في هذه المناسبة يساوى فرقة حربية كاملة !

واذكر كيف أن أخى على أمين أبلغ الرئيس بالعدوان البريطانى قبل أن يحدث هذا العدوان بأسبوعين .

ان الذين وضعونى في السجن لم يكونوا يعرفون أنهم جردوا بلادنا من سلاح من أهم أسلحتها . انني اؤمن بأن ما حدث لنا هو أننا فوجئنا بالهجوم . لم نصدق أن اسرائيل ستهاجمنا . تصورنا أنها تهوشنا . ان الذى يقرأ الديلى تلغراف قبل المعركة بأسبوعين يجد أن المراسل الحربى المعروف ويلسون ، المشهور باطلاعه الكبير ، قال ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة وتدمرها ثم تبدأ الهجوم . أى صحفى يعرف من هو ويلسون ، ومبلغ اتصاله

بالمخابرات الاسرائيلية والفرنسية والبريطانية والأمريكية يستطيع ان يعرف بغير مجهود ان هذه أخبار حقيقية وليست استنتاجات !

قلت يوما لأطباء السجن وفى يدى الجريدة : لو كنت خارج السجن الآن لطلبت الرئيس فى التليفون وقلت له انتبه . ان اسرائيل ستهاجم المطارات المصرية فجأة !

قال الأطباء ساخرين : هل معقول ان تنشر خطة عسكرية سرية فى جريدة ؟ .

قلت : ان الذى يعرف الصحفى ويلسون يعرف انه قادر على هذا!

ويوم اغلقنا مضيق تيران قلت لزملائى ان اغلاق هذا المضيق معناه ان اسرائيل ستحارب . ان ميناء ايلات هى حياة اسرائيل ، واذا فقدت اسرائيل هذا الميناء فقدت أشياء كثيرة .

وعندما طلبنا سحب قوات الطوارىء الدولية ، توقعت أن تستجيب الأمم المتحدة لهذا الطلب على الفور، فاننا عندما اتفقنا على وضع هذه القوات ، ورفضت اسرائيل قبولها على أرضها،اشترطنا فى المباحثات التى اشتركت فيها أن من حقنا أن نطلب سحب هذه القوات فى اى وقت نشاء وقبل همرشولد يومها هذا الطلب .

كنت أحيانا اقول لنفسى أن الرئيس عبد الناصر لن يفتقدنى الا اذا حدث على مصر عدوان كالذى حدث فى عام ١٩٥٦ وعندئذ سوف يسترجع فى ذاكرته كل ما فعلته لبلادى عندما اختارنى للدعاية للمعركة وللاشتراك فى المفاوضة على جلاء القوات الانجليزية والفرنسية والاسرائيلية ! وكنت اقول لنفسى أنه غير معقول أن يحدث عدوان كالذى حدث .. وعندما كنت أشعر باقتراب الكارثة كنت أقول لنفسى لعل هناك خارج السجن ، حول الرئيس ، من يستطيع أن يفعل أحسن مما فعلت وفعل أخى . وكنت أصبر نفسى بأنه لابد أن يوجد شبان مصريون غيرى ، ربما أكفأ منى ومن أخى يفعلون خيرا مما فعلنا ، ويخدمون أكثر مما خدمنا . ولكن تفاؤلى لم يكن له أى نصيب من الحقيقة . يبدو أننا فوجئنا بكل شىء . وأن الأجهزة التى كانت تقول أنها تعرف كل ما يجرى بين الزوج فى مصر وزوجته فى غرفة النوم ، لم تكن تعرف تحركات القوات والمدافع والدبابات على حدود مصر !

ومع ذلك لم أيأس بعد . مصر خسرت معركة ولم تخسر الحرب كلها . نحن نستطيع أن نحول التقهقر الى نصر . مما يحز فى قلبى اننى فى زنزانتى لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أصلى لبلادى !

يجب أن نجلس على الفور ونضع قائمة بأخطائنا كلها . نسجلها بشجاعة . وأن نتخلص من هذه الأخطاء فورا .

أول هذه الأخطاء هو الحكم المطلق . يجب أن تنتهى الدكتاتورية، ويشترك الشعب اشتراكا فعليا فى الحكم . يجب أن ينتهى الحكم العسكرى والحكم البوليسى . ان اسرائيل هزمتنا بحكومة ديمقراطية . ونحن انهزمنا بحكم ديكتاتورى !

يجب أن نغير القيادة العسكرية تغييرا تاما . نحن فى حاجة الى عسكريين محترفين لا الى عسكريين هواة . يجب أن يتولى القيادة خريجو الكليات العسكرية العليا الذين درسوا الفنون العسكرية فى الخارج لا الذين يكتبون التقارير ، ويقومون بتسلية كبار القواد ..

يجب أن ينسحب العسكريون من كل المناصب المدنية ، ويتخصصوا للحرب فقط .

يجب أن نغير سياستنا العربية . لا وحدة « بالعافية » . وانما الشعوب وحدها هى التى تقرر بملء ارادتها أى نوع من الارتباط تريده مع مصر .

نحن على استعداد لأن نقبل أى صيغة ترضاها أى دولة عربية . لا نريد أن نتحكم فى البلاد العربية ، ولا أن نحكمها ، ولا أن نضمها ، ولا أن نقودها .. نحن نريد قيادة جماعية للأمة العربية .

يجب تغيير وجوه الهزيمة .. الذين قادونا الى الهزيمة لا يصلحون لأن يقودونا الى النصر !

اننى أتوقع معارضة شديدة لأى تغيير .. المهزومون لن يعترفوا بالهزيمة . سوف يعتبرون النصر الحقيقى هو بقاؤهم فى مقاعد الحكم والسلطان !

كل مساحة سيناء لا تساوى شيئا بالنسبة لكرسى الحكم !

المصيبة الكبرى!

سجن ليمان طره

٢٦ يونيو سنة ١٩٦٧.

عزيزتى

نقلت مرة أخرى من الطابق السفلى الى الطابق الرابع . قيل لنا أن الحرب انتهت فلا مانع من اخراج المسجونين السياسيين من التأديب ! عدت استنشق الهواء النقى لأول مرة بعد ثلاثة أسابيع . أسوأ ما كان فى زنزانتى فى الطابق الأرضى أنها كانت بعيدة عن الراديو . بينما كنت فى الماضى أتمنى لو كنت بعيدا عن سماعة الاذاعة فقد كان صوتها يكاد يخرق أذنى . أما الآن — فى أثناء الحرب — كنت أتشعلق فى نافذة الزنزانة . أحاول أن أسمع صوت الاذاعة من بعيد وكأنه دبيب النمل .

كنت أتتبع الأخبار من لحظة الى لحظة . عدد من زملائى المسجونين السياسيين هربوا أجهزة راديو الى داخل الزنازين . أصبح كل واحد منهم متخصصا فى اذاعة معينة . بهذه الطريقة أنشأنا داخل السجن قسم استماع كالذى أنشأته فى أخبار اليوم .

اذاعة العالم تتحدث عن ضخامة حجم الهزيمة . لا تزال اذاعتنا تحاول أن تكذب على الناس . أطلقت الدولة عددا من الاشاعات الكاذبة لرفع الروح المعنوية . اشاعوا أن قطارا محملا بالأسرى الاسرائيليين وصل الى محطة القاهرة وفيه ألوف الأسرى .

فوجئت بأن عدد الأسرى الاسرائيليين الحقيقى كان ١١ أسيرا اسرائيليا مقابل عشرات الألوف من الأسرى المصريين . اشاعوا أن الشاذلى كان يقود لواء داخل اسرائيل وأنه استطاع أن يقتحم الجيوش الاسرائيلية فى سيناء ، ويصل الى القناة ومعه جنوده

واسلحته ودباباته والوف الأسرى الاسرائيليين . تبينت أن هــذه الاشاعة أيضا غير صحيحة . ما زلنا نكذب . لم نتعلم مما حــدث لنا أن كل ما جرى هو أننا عشنا نكذب سنوات طويلة حتى صدقنا أنفسنا . لا أمل الا اذا بدأنا نتعلم أن نقول الحقيقة .

كان تشرشل يخطب فى أسوأ أيام هزائم بريطانيا ويواجه الشعب بالحقيقة ولهذا السبب انتصرت بريطانيا . أما الشعب الألمانى فقد عاش على أكاذيب جوبلز وزير الدعاية حتى وقعت الكارثة . من العجيب أن نتعلم من المهزوم ولا نتعلم من المنتصر !

قال لى الأستاذ الهضيبى أنه لا يمكن أن تنتصر مصر وفى سجونها ألوف الأبرياء والمظلومين . وان ما حدث هو عقاب من الله للذين أشركوا بالله وعبدوا الفرد ، والذين جعلوا من الميثاق قرآنا !

سمعت الملك الحسن يقول فى الاذاعة أننا نسينا الله فنسينا الله !

لاحظت أن الهزيمة جعلت كثيرين خارج السجن يصلون . عدد كبير من المسجونين تلقوا خطابات من أولادهم الذين لم يصلوا من قبل يقولون أنهم بدأوا يؤدون فرائض الصلاة .. العودة الى الايمان ظاهرة هامة تستحق التسجيل وخاصة اذا كانت بين الشباب .

وفى كل يوم ازداد يقينا بأن الذين أصابتهم الهزيمة هم الجنود والضباط الذين سيقوا الى المذبحة بغير اعداد . هم الشعب الذى سيدفع ثمن الأسلحة التى خسرناها مرة أخرى ، بعــد أن استولى الاسرائيليون على جميع أسلحتنا . هم الجيل الذى عاش فى خديعة كبرى ، وفتح عينه فجأة على هزيمة مروعة بعد أن عاش سنوات طويلة على أوهام وأكاذيب . وسوف يصاب هذا الشباب بردة ، فلا يثق بأحد ، ولا يحترم أحدا ولا يصدق أحدا . وسوف تقــال له بعد ذلك الحقيقة فيشك فيها ويسخر منها ولا يصدقها ! الهزيمة التى أصبنا بها ليست هزيمة جيش فقط ، انما هزيمة لأحلام هذا الشعب . وأنا مؤمن بأن فى استطاعة هذا الشعب أن يسترد روحه المعنوية اذا صارحناه بالحقائق ، واذا غيرنا أسلوب الحكم ، واذا فتحنا النوافذ وأضأنا الأنوار ، واذا عاملنا هذا الشعب كرجل كامل الأهلية ، لا طفل نضعه تحت الوصاية أو محجور عليه بواســطة المجلس الحسبى ، باعتبار الحكومة هى القيمة على القصر والسفهاء والمجــانين .

وحتى الآن لم أر أى محاولة للسير فى الطريق الصحيح . الاذاعة تقول « خسرنا الأرض ولم نخسر النظام » ! بمعنى أن بقـــاء الحكومة الحاضرة أهم الف مرة من ضياع سيناء وهى ثلث مساحة مصر ، وضياع كل هذا الشباب . وضياع كل هـــذه الأسلحة ، وضياع سمعتنا فى العالم .

هذه العقلية هى سبب نكبتنا . واذا استمرت فسوف تســتمر النكبة واكبر دليل على أن لا شىء تغير فى عقلية الحكم ، أن وزير الداخلية أرسل خطابا سريا الى السجن يطلب فيه : أنه ابتــداء من اليوم تكون زيارة أسرتى لى فى « السلك » أى لا تتم الزيارة فى غرفة الضابط ولا فى المستشفى بل فى غرفة أشبه بقفص القرود فى حديقة الحيوانات ، بحيث يفصلنى عن أولادى وأسرتى ســلك ســميك !

ولم افهم سبب هذا العقاب الا اذا كان وزير الداخلية يعتبرنى مسئولا عن هزيمة ٥ يونيو ! أو أنه تقرر نقل ميدان القتال من سيناء الى سجن ليمان طره ، فتوقفت الحرب مع الاسرائيليين وبدأت الحرب على المصريين !

ان الذى أصــدر هذا القرار يعرف أننى مريض بالنقــرس والروماتيزم والسكر ، ولا أستطيع الوقوف على قدمى أثناء الزيارة . ومع ذلك فأمرى الى الله ، وسوف أقابلكم فى السلك ، ومن رأيى الا يحضر الأولاد فى زيارة السلك لأن منظر السلك الذى يفصلنـــا سوف يحطم أعصاب الطفلتين .

ومما جعل الحالة تسوء أن ضــابطا جديدا جاءنا فى العنبر . وللغربال الجديد شدة كمــا يقولون . ولهذا يشتد فى معاملتنـــا باعتبارنا أسرى من الأعداء .. ! ولعل الاشاعة التى تقول ان لدى مصر ٥٠ الف أســير من الأعداء مقصود بها عــدد المسجونين السياسيين والمعتقلين السياسيين . فقد بلغ عدد هؤلاء فى ٥ يونيو أكثر من خمسين الفا ! أما الأسرى من اليهود فلم يزد عــددهم على ١١ .. ويظهر أننا تخصصنا فى هزيمة المصريين ونسينا كيف نهزم الاسرائيليين ! .

اصبحت الحياة صعبة فى عنبر المسجونين السياسيين . كل شىء

أصبح صعبا . تعليمات جديدة بالا يزيد حجم الخطاب على صفحة واحدة . تفتيش دقيق مستمر للبحث عن الورق والقلم فى زنزانتى. عمليات خروج ودخول المسجونين من العنبر أصبحت غير سهلة . ان من عادتى كلما أشتد الحصار أن أتحدى هذا الحصار بمضاعفة الخطابات المهربة . أحسن وقت لمخالفة القوانين هو فترة الشدة والبطش والارهاب .

لا تتصوروا أن حياتى أصبحت لا تطاق . أبدا أننى أعتدت أن أعود نفسى على أى نوع من أنواع الحياة . الحسن والسيىء . احتمل كل معاملة . لا تشغل رأسى هذه المسائل الصغيرة . اننى أعيش فى دوامة الأحداث والأخبار . لا تهمنى الا أحوال بلادى . عندما كانت القنابل تدوى بشدة لم أشعر بخوف أثناء الغارات كنت افكر فيكم وفى الأولاد . الذى يضايقنى أن الصحف وأجهزة الاعلام تحاول تضليل الناس ، وأفهامهم أن الجيش المصرى قادر على أن ينتقم لهذه الهزيمة بعد أيام . هذا التضليل يجب أن يتوقف . يجب أن نعد الشعب ليعرف أن المعركة طويلة . لأن الهزيمة كانت كبيرة .

سألنى مدير الليمان اليوم : كيف عرفت قبل قيام الحرب أن الجيش المصرى سيهزم ؟

قلت : لأننى أعرف أن القيادة غير صالحة ! وكنت أقول هذا صراحة لجمال عبد الناصر .

سألنى : وهل غيرك يعرف هذا ؟
قلت : طبعا .
قال : ولماذا لم يقولوا لعبد الناصر ما قلته أنت له ؟
قلت : لأنهم عرفوا ما جرى لى !
وهز مدير الليمان رأسه بأسى وقال :

ـــ هل تعرف أنه لا يوجد جندى مصرى واحد ولا بندقية مصرية واحدة من القناة الى القاهرة !

قلت : أعرف !
قال : هذه مصيبة !
قلت : المصيبة الأكبر أننا لا نزال نرتكب نفس الأخطاء !

بعد ٤ أشهر في الجحيم
تنسى أنك في الجحيم

سجن ليمان طـره

٢٧ يونيو سنة ١٩٦٧

أخي العزيز

واخيرا ... « شرفت حبيب القلب بعد طول الغياب » . كما تقول الأغنية القديمة . وصل خطابك المتأخر جدا المؤرخ فى ٧ أبريل . وصل بعد شهرين وسبعة عشر يوما . هذا الخطاب الذى انتظرته طوال الشهور والأسابيع والأيام الماضية ، حتى يئست تماما من وصوله . فهمت أن الخطاب اختفى ولن أتسلمه ولن أعرف مافيه. أسلمت أمرى الى الله ، راضيا أن أفقد خطابا واحدا كل ثمـانية خطابات . وهى نسبة محترمة لأى بريد عالمى ! كنت أريد أن أعرف ماذا فى هذا الخطاب بالذات حتى يتعثر فى الطريق . وينكفىء على وجهه . ولا يصل الى على الاطلاق . ثم قرأت الخطاب بالطول والعرض . ومن اليمين الى الشمال . ومن الشمال الى اليمين . ومن فوق الى تحت . ومن تحت الى فوق ، حتى أعرف سر تأخير الرقيب له ، فلم أجد فيه شيئا يستحق كل هذا التأخير الطويل . كل ما فيه أنك تفكر فى السفر الى بيروت لتشرف على تجديد مجلة الصياد ، وتتحدث عن مساوىء الطبع فى مجلة حواء ، ووفاة هدية بركات ، واحتمال عودة جورج براون الى الحكم ، والجزء الثانى من مذكرات هارولـد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا السابق ،

وتفكير صديقنا رمسيس نصيف أن يتزوج للمرة الثالثة .

وليس فى كل هذه الأخبار خبر يقلق الأمن العام أو يهدد سلامة الدولة ، ولابد أن الخطاب كان « مدشوتا » فى أحد الملفات !

لا تتصور سرورى بهذا الخطاب المفقود . أطمأننت الى أن كل خطاباتك تصل الى بسلامة الله . ومهما تأخرت فسوف تصل الخطابات فى يوم من الأيام . ولا داعى لتشاؤمى كلما تأخر خطاب من السلسلة . فأضرب أخماسا فى أسداس وأسداسا فى أخماس . وأخلق من الحبة قبة . ومن القبة حبة . وأحرق أعصابى . وأشغل مخى فى محاولة استنتاج أسباب تأخر خطاب معين ، وما يمكن أن يحويه مثل هذا الخطاب الضائع . عذرى أن لا عمل لى فى السجن الا التفكير . فى الماضى « كان القاضى يعمل قاضى » . أما الآن فهو يعمل « مفكر » يستنتج من كل كلمة ، ويستخرج من كل سطر ، واذا كان تقسيم الذرة يحدث انفجارا فى الكون ، فان تقسيم الكلمة يحدث انفجارا فى الدماغ !

مع نفس خطابك المؤرخ فى ١٧ ابريل وصل خطابك المؤرخ فى ٢ يونيو . الفرق بين الخطابين ٤٦ يوما . ومع ذلك وصلا فى يوم واحد .

يوم وصل خطاب منك هو عيد عندى . فى هذا اليوم لا أفكر فى شىء . أنسى كل همومى ومتاعبى ولا أذكر سوى هذا الخطاب .

كنت أريد أن أكتب الى الأخ سعيد فريحة أشكو ما أصاب قصتى المسلسلة من بهدلة ! لننى أشكو لطوب الأرض فعلا . لأن أحدا هنا لا يعرف أننى أكتب قصصا وأهربها الى بيروت ! لقد فوجئت بالقصة منشورة بشكل غريب . جزء من فصل أضيف الى فصل

آخر ! الذى اتصوره ان كل فصل من هذه القصة قائم بذاته تمـــاما كما يضيف سكرتير التحرير مثلا الى قصيدة من الشعر بيتـــا من بحر مختلف ، أو من قافية اخرى أو من وزن آخر او من قصيدة اخرى ! ربما ان فن غير المعقول دخل بدون علمى فى فن نوضيب الصفحات . المفروض فى كتابة القصة المسلسلة ان يكون لخاتمـــة كل فصل رنين . أما وضع جزء من بداية الفصل الثانى فى نهايـــة الفصل الأول فهو أشبه بوضع جزء من اغنية ام كلثوم « هــــذه ليلتى » فى نهاية أغنية « الف ليلة » ! لم أفهم بعد هذا الفن السريالى القصصى . لابد أن هناك حكمة غابت عن ذهنى . لو كانت القصة اصغر من الحيز المقرر فيمكن ان يوضع فيه مثلا اعلان عن مجلة الصياد أو عن ملحـــق الأنوار أو عن اى شىء . اللهم الا اذا كان الفصل الثانى طويلا جدا يعجز سكرتير التحرير ان يفعل شيئا سوى تقسيمـــه بين مختلف الفصول . كما يحـــدث مثلا ان تزدحم الطائرات ، ولا يجد أحدالركاب مكانا فى الطائرة ، فتقطع شركة الطيران الراكب الى ثلاثة اجزاء ، وتضع كل جزء فى طائرة . وهذه فكرة جهنمية اقترح بيعها لاحدى شركات الطيران !

وسررت كثيرا للنبأ الذى جاء فى خطابك الاخير بأن التجـــديد فى جريدة الأنوار ومجلة الصياد على الأبواب . بعض ابـــواب الصياد فى حاجة الى التجديد والى مادة حية . حتى صفحة الفن اختفت منها الأخبار وأصبحت تنشر بحوثا عن الموسيقى لا تهم الا علماء الموسيقى . من رايى خلق باب المجتمع من جديد وتحويله الى مجتمع البلاد العربية . انه الآن عبارة عن اعلانات مجانية عن أشخاص لا يعرفهم أحد ، ولا يهمون احدا ! لا يزال من رايى التنويع والتجديد والابتكار المستمر . بعض الكتاب الذين احبهم واعجب بهم أصبحوا يكتبون كل أسبوع فى موضوع واحد . الكاتب الساحر الموهوب جورج جرداق يكتب كل أسبوع أن لبنان لا يساوى حذاء

قديما أو على حـد تعبيره « قردة صرماية قديمـة » ! والكاتب العبقرى سعيد عقل يكتب كل أسبوع أن لبنان هو اعظم بلد فى العالم .. الا يمكن ان يكتب جورج جرداق عن فردة حذاء اخرى ، أو يكتب سعيد عقل عن احدى الدول الصغرى كالاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة أو الصين مثلا !

ولا اوافق أن تنشر مقال سعيد فى مجلة الصياد فى نفس اليوم فى جريدة الانوار . أن هذا يضعف الصياد . المفروض أن تتميز الصياد بشىء نظرا لارتفاع ثمنها . يجب أن يجد القارىء فى مجلة الصياد مالا يجده فى اى صحيفةأخرى . شىء مختلف . المفروض أن مجلة الصياد تكون اخف دما من الأنوار . وأكثر جرأة ، وأوسع فى دائرة اهتماماتها .

ولكن الذى الاحظه الآن أن « الأنوار » أخف دما من الصياد وأكثر حيوية . ان من رايى توحيد الأسلوب فى مجلة الصياد . مدرسة سعيد فريحة الساخرة يجب أن يكون لها تلاميذ .مصيبتنا اليوم فى الصحافة هى أننا أصبنا بطاعون الفلسفة . كل من يكتب يريد ان يكون فيلسوفا . ومن شروط الفيلسوف فى رأيهم الا يفهم احد ما يقول . أن يكتب وكأنه يحاضر فى الجامعة . من حق الكاتب الصحفى أن يتفلسف مرة أو مرتين فى العام . من الخطأ أن تتحول المجلة الانتقادية الى كتاب فلسفة . القارىء لا يدفع ثمن الجريدة ليحضر حصـة فلسفة فى الجامعـة . اذا كان لابد من الفلسفة فخصصوا ملحق الأنوار مثلا للفلسفة ، بينما تشتغل باقى الصحف والمجلات بالصحافة ! اريد مجلة الصياد فى كل بيت عربى . أن يجد فيها القارىء كل أحداث البلاد العربية : سياسة . فن . اقتصاد . رياضة . أخبار صحفية . المشروعات الجديدة . الاصلاحات . الاتجاهات الفكرية . المخترعون والعلماء من ابناء الأمة العربية .

الصفقات المالية الكبرى التى حدثت فى كل بلد عربى . هذا يقتضى شبكة من المراسلين . القارىء يريد تحقيقات صحفية من كل بلد عربى لا بلاغات رسمية منها . يوجد فى كل بلد عربى خريجون من الجامعات يسعدهم أن يقوموا بهذه المهمة .. كل شىء يتحـــرك الآن فى البلاد العربية ويجب أن يتحرك المحررون مع الأحداث ويجب أن يجد القارىء كل صفحة فى المجلة عن بلد مختلف ، ما عدا لبنان فيخصص له عدة صفحات . المهم أن يجـد قارىء الكويت فى كل عدد شيئا عن الكويت ، وقارىء ليبيـــا شيئا عن ليبيا ، وقارىء السودان شيئا عن السودان . مفروض أن يضع مدير التحـــرير أمامه قائمة باسماء البلاد العربية كلها وامارات الخليج ، ويحرص على أن يكون فى كل عدد ولو سطر واحد من كل بلد من هذ هالبلاد. فاذا لم يجد خبرا عن بلد معين كلف محررا أو محررين بالحصول على اى معلومات هامة من هذا البلد . من رايى أن يحاول الكاريكاتير أن يفعل نفس الشىء ، دون أن يجرح هذا البلد ، فبعض هذه البلاد قد لا يفهم النكتة كما نفهمها . يجب أن يشعر كل قارىء أنه موجود على الخريطة . يجب أن تهتم الصياد بكل نجوم البـــلاد العربية من سياسيين وكتاب وصحفيين وفنانين واقتصاديين وعلماء وادباء وشعراء ،وأن تكتب عن الذين يصلون الى بيروت منهم . " ان القارىء العربى يهمه اخبار الشاعر نزار قبانى أكثر مما يهمه أخبار فلان الوزير اللبنانى ونهمه اخبار ام كلثوم أهم من أخبار وزير زراعة لبنان !

نسيت أن أخبرك بأننى حتى الآن كتبت ثلاثة عشر فصـــلا من كتاب (من واحد الى عشرة) عن تاريخ السنوات العشر الأولى من حياتنا وذكرياتنا عن ثورة ١٩١٩ . فهو تاريخ الثورة من خلال تاريخ اسرة . وكتابة التاريخ فى الزنزانة مرهقة جدا . أرجو أن انتهى من كتابة هذا الكتاب فى خلال شهر يوليو . وأبدأ فى شـــهر

اغسطس فى كتابة قصة جديدة . وسررت انك تقرا الفصول الأولى من كتاب واحد الى عشرة فى نفس الوقت الذى أكمل فيه هـذا الكتاب . ويهمنى أن اسمع ملاحظاتك عما قرأت . أننى تعودت على التضييقات الجديدة فى السجن . بعد أن نمكث أربعة اشهر فى الجحيم ننسى انه الجحيم . أحمد الله على انه أعطانى حتى الآن قدرة عجيبة على الرضا بكل الوان الحياة . اعود نفسى على كل شىء . كنت فى الماضى لا أطيق الجبن البلدى . الآن أصبحت أحبه. اغمسه فى الماء حتى يخرج منه الملح الكثير . اذوقه بعد ذلك فاذا به فى طعم القشدة ! يبدو ان كل شىء اذا غمسناه فى الماء يتحول الى طعم القشدة ، والماء اشبه بالزمن فهو قادر على ان يضيع طعم مرارة الملح من شفاهنا !

الناس هنا يعيشون فى جو التفاؤل . كأنهم يقرأون خطاباتـك المتفائـلة !

كلما اقتربت أعياد ٢٣ يوليو بدأت تخرج اشاعات عن قـرب العفو عن المسجونين السياسيين ، كل سجين يزوره أهله يحملون له مع الطعام أنباء سارة عن أن العفو قريب . مضى على سنوات أعيش فى هذا الجو اللذيذ كلما اقبل شهر يوليو . ان أمانى المسجون اذا لم تتحقق فهو يعيش عليها بضعة أيام فى عالم الأحلام .

وهذا أيضا هو موسم التنقلات بين ضباط السجن . الاشاعات تنقل ضباطا وتجىء بضباط آخرين . كل مسجون يكره ضابطـا يشيع أنه سينتقل . العادة دائمـا هى نقل الضـباط المحبوبين وابقاء الضباط المكروهين ! وهكذا بينما يكون الناس مشغولين بمن سيكون رئيس وزراء فرنسا الجديد يكون المسجونين فى عنبر واحد مشغولين باسم الضابط الذى سيعين قائدا على عنبرهم !

واذا كانت المدن الكبرى تشغل نفسها بمشكلة المـرور ، فان السجون مشغولة بمشكلة المرور ايضا . المرور هو زيارة احد كبـار الموظفين او المفتش أو الضباط للسجن . وعندما يقال لنا أن «هناك مرور » ينشغل كل واحد منا بتنظيف زنزانته . واخفاء الممنوعات الموجودة فيها ، بحيث اذا جاء الزائر وجد كل واحد منا على البلاط « تنفيذا للتعليمات » ! فيطمئن أن كل شيء على ما يرام . وعندما يعلن نبأ المرور يصاب كل انسان فى السجن بمغص . وكلما كبرت شخصية المسئول كبر المغص . ويجيء المرور أحيانا .وأحيانا لا يجيء . بمعنى أن المفتش يدخل السجن ويجلس فى غرفة المديـر ويشرب قهوة وليمون ويأخذ اثنين كيلو صابون ويوقع على رقة انه زار جميع الزنزانات وجميع المرافق ووجد كل شيء تمام ! وهكذا يظهر أنه مرور كاذب ، كالحمل الكاذب ، فتظهر كل أعراض المرور ما عدا المرور نفسه !

واحتفالا بالزائر الكريم ، تغلق أبواب الزنزانات على المساجين، ولا تفتح لهم الا بعد أن ينتهى المرور ويخرج المفتش من باب الليمان، وقد يحدث ان يستمر المرور اربع ساعات فتضيع منا فرصـــة الفسحة ، وتغلق الزنزانة ٢٤ ساعة فى اليوم . يحدث كل هذا لأن مفتشا جاء ليراجع دفتر الصادر والوارد فى احد المكاتب .

وعندما يخرج الزائر نتنفس الصعداء ، وتفتح أبواب الزنازين ، وترى عددا كبيرا من المسجونين يعدون ويتدافعون الى دورات الميـــاه .

وفى الختام أضـــمك الى صدرى واقبلك والى اللقـــاء القريب باذن الله .

اليد التي تقبض على أعناقنا

سجن ليمان طره

٢٨ يونيو ١٩٦٧

عزيزتي

انني لم أصدق أن هذه الهزيمة قد حدثت . كنت استيقظ من النوم في الصباح واتصور ان ما حدث هو كابوس مخيف وقع اثناء نومي . وعند الصباح اكتشف انه الحقيقة ولم يكن كابوسا . تكرر لي هذا الشعور عدة أيام . الشيء الذي يجعلني أكاد افقد عقلي انه كان في امكاننا ان نتفادى كل هذا . حماقتنا هي التي ادت الى هزيمتنا . البطش الداخلي أعمانا فسقطنا في الفخ الخارجي . المعلقون الأجانب فضحونا . قرأت في بعض الصحف الفرنسية بحثا يقترح كاتبه ان يعرض الشعب العربي على طبيب نفساني . الذي يمزقني انني أرى الشماتة في عيون العالم . هددنا وتوعدنا ثم تحطمنا في ساعات . تظاهرنا باننا عمالقة واثبتنا اننا اقزام . بالغنا في قوتنا لتبالغ المعركة في هزيمتنا . الطريق الوحيد للنجاة أن نعترف باخطائنا ، ولكنني الاحظ في كل ما تكتبه صحفنا اننا نتهم كل انسان الا المتهم الأول : وهو الديكتاتورية في رأيي . هو الطغيان . هو حكم الفرد . هو انتهاك القانون . هو اعطاء العدالة اجازة . هو القضاء على الحريات . هو الرقابة على الصحافة . هو

الحراسة الغاشمة . هو السجون والمعتقلات . هو أجهزة الأرهاب. هو الكذب على الشعب وتضليله . هو الشعارات الملفقة . هو الجملة الكبيرة التى تحمل معانى صغيرة ، هو الجهل . هو الغرور . هو تقديس الفرد . هذا فى رأيى هو المتهم الأول فى الهزيمة ، ومن المظلوم تجاهل هذا المتهم والبحث عن متهمين صغار !

ان المحاولة تبذل الآن لنسيان ٥ يونيو وتمجيد ٩ و ١٠ يونيو . مطلوب أن يضيع أنين الشعب من الهزيمة المنكرة فى ضوضاء الزغاريد بعدول الرئيس عن تنحيه . الذى يقرأ صحفنا ويسمع اذاعاتنا يتصور اننا خضنا فى يومى ٩ و ١٠ يونيو معركة حربية جديدة ، واستردننا سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية . وأعدنا عشرات الوف الشهداء الى قيد الحياة ، ومسحنا الهزيمة . ان الذى اخشاه هو أنهم يحاولون أن يجعلوا من الكفن علما . ومن العار شرفا . ومن المأتم عيدا . ان لهجة الأعلام هى أن بقاء الحكم فى ايدى الحكام هو المنى والرجاء ، وأن ضياع الأرض هو مسألة تافهة لا قيمة لها .

ان النكت التى خرجت من أفواه الشعب ، وملأت كل مكان كأنها الغازات الخانقة ، هى رد الشعب على هذه المحاولات . أننى أعتقد أن الرئيس عبد الناصر فى حاجة الى من يقولون له الحقيقة أكثر من أى وقت مضى . ولكن كيف تصل الحقيقة والكل خائف .

اننى فوجئت ببعض الناس يحمدون الله على أننا هزمنا . يقولون أنه لو اننا انتصرنا لطغى حكامنا أكثر مما طغوا ، وبغوا أكثر مما بغوا ، وجعلوا هذا الشعب يضع على وجهه « الطرح » وهو يمشى فى الشوارع ! وهو شعور مخز حقيقة . ولكنه يدل على أثر البطش والطغيان فى نفوس الناس . ومن رأيى أن طاقة النجاة هى الديموقراطية وهى الحرية . يجب أن يغير عبد الناصر طريقة

حكمه . يبعد على الفور الطغاة الصغار والفراعنة الصغار الذين اذاقوا الشعب عـذاب الهون . يجب أن يفتح ابواب المعتقـلات والسجون . يجب أن يوقف الحراسة ومصادرة أموال الناس . يجب أن يعود القضاء العادى وينتهى القضاء العسكرى . يجب ان نطلق حرية الصحافة . يجب أن تجرى انتخابات حرة لبرلمان جديد يكون من حق النواب أن يتكلموا ويناقشوا ويعارضوا . انا أؤمن بان الاغلال والأصفاد والسلاسل التى قيدوا بها الشعب هى السبب فى الهزيمـة.

الكمامة التى وضعت على كل فم حتى لا يتكلم . العصابة السوداء التى وضعت فوق كل عين حتى لا ترى الأخطاء . الأصابع التى وضعت فى كل أذن حتى لا تسمع الحقائق . السلاسل التى قيدت بها حركتنا . كل هذا كان لحساب اسرائيل لا لحساب مصر . اسرائيل استفادت من قيودنا ، وانتصرت بسبب قيودنا ! كيف يمكن أن ينتصر شعب فى معركة حربية ، وكل فرد فيه فقد النطق وفقد الرؤية وفقد السمع وفقد الحركة . لا احد آمن على نفسه ولا على اسرته ولا على عمله ... لكى نقضى على الهزيمة يجب ان نقضى على أسباب الهزيمة ، والا فسوف تصبح هذه الهزيمة ابدية ! الذين يقولون اننا سنحارب بعد شهر أو شهرين يضحكون على الشـعب ويضحكون على انفسهم . لن نستطيع الحرب قبل أن نقضى على الارهاب فى بلدنا ، يجب أن نتحرر 'ولا فى بلادنا لنستطيع أن نحرر كل شبر من أرض بلادنا .

الخائفون لا يحاربون . الأيدى المقيدة بالأغلال مشغولة بقيودها لا تسـتطيع حمل البنـادق والمدافع . المربوطون بالسلاسـل لا يستطيعون أن يتقدموا فى ميدان القتال ! طريق الحرية الوحيد

هو طريق النصر . لقد جربنا طريق الاستبداد فوصلنا الى الهزيمة . فلنجرب طريق الحرية !

فى سنة ١٩٥٦ استطعنا بجهود جبارة أن نحول الهزيمة الى نصر والتقهقر الى انطلاق . كسبنا المعركة بالدعاية التى قمنا بها فى جميع أنحاء العالم . بالجهود الدبلوماسية المضنية .

الموقف الآن يختلف . هزيمتنا أمام بريطانيا وفرنسا — وهما دولتان من الدول الكبرى — كانت شرفا . وهزيمتنا أمام اسرائيل أصغر دول العالم عار . فى ١٩٥٦ لم تكن قد وقعت كل المظالم التى وقعت اليوم . فى ١٩٥٦ دخلنا المعركة كدولة صغيرة تقاوم عدوان دولتين كبيرتين ، وفى هذه المرة دخلنا الحرب كعملاق يتحدى قزما . وهذا جعلنا نفقد عواطف العالم . اننى لم أيأس أبدا . اننى فى هذه الساعات الحالكة السواد أرى شعاعا من النور . الله لن يتخلى عن مصر اذا لم تتخل مصر عن الله . الايمان بالله يصنع المعجزات . المهم أن نضىء الأنوار لنرى طريقنا . أن نفتح عيوننا لنرى أخطاءنا . كان الحكام فى الماضى يعتبرون الكلام جريمة .. أنا أرى اليوم أن الصمت جريمة . يجب أن يقول الشعب رأيه . ويجب أن ينزل الحكام على رأى الشعب .

لم أكتب فى هذه المدة لأخى ولا لأولادى ولا لأصدقائى . أنت تعرفين أن الكتابة اليكم تسعدنى تخفف عنى عذاب السجن ووحدته . طوال مدة الحرب لم أستطع أن أكتب خطابا شخصيا . كنت مشغولا عنكم . مشغولا بمصر كلها . كان كل جندى يموت هو ابنى وأخى وصديقى . كل قنبلة تسقط كأنها سقطت فوق رأسى كأنها هدمت بيتى ودمرت حياتى . خبرتى جعلتنى للأسف أشعر بالكارثة قبل أن تقع . عندما بدأت المعركة كنت أخفى قلقى عن

الناس جميعـــا . اتركهم فى حشيش تفاؤلهم وأفيون أوهامهم حتى لا افسد عليهم أحلامهم الجميلة .

لم يكفهم ما نحن فيه من هم وحزن وفجيعة . الأوامر تتوالى من وزير الداخلية بتشديد المعاملة على المسجونين السياســيين . « احنا فى ايه وانتم فى ايه » ؟!!

الخطابات تتأخر . الطعام الصحى يمنع من جديد . الخــروج والدخول فى العنبر يصبحان أصعب من الدخول الى الجنــة ومن الخروج من النار . وانني اتصور أن هذه الفترة مؤقتة . وانه كبت « الهزيمة » عند المسئولين . فشلوا فى هزيمة العدو ... فبــدأوا يحاولون هزيمة المصريين ... المسجونين !

شعرت بسعادة بأن أخى قام بجهود فى لندن من أجل شرح قضية مصر فى اثناء الأزمة . مهما حدث لنا فان حياتنا وجهودنا وخبرتنا هى ملك لبلادنا . نضع كل ما نملك فى خدمتها فى كل المحن والخطوب والأزمات .

الحياة فى الزنزانة ليست راكدة . انني لا أبقى فيها بفكرى سوى لحظات قليلة كل يوم . افكارى دائما خارج الزنزانة . أتتبع أخبار الاذاعة وتعليقاتها حرفا بحــرف . أعيش مع مصر فى كل خطوة تخطوها . كنت أمضى الســاعات فى مكتبى أبحث عن عنــوانات للصفحة الأولى . الآن أسمع مانشيتات كل دقيقة . الأحداث تمشى بسرية رهيبة . وأنا اجرى والهث خلفها حتى استطيع ان الحق بها واحللها وادرسها . كم اشعر بأسى وأنا أتتبع خبرا هاما ، وفجأة تقطع اذاعة السجن فى نصف الخبر لتطلب من الشاويشية الحضور الى المطبخ لاستلام غداء المساجين !

امضى الوقت فى قراءة القــرآن الكريم . كثــيرا ما كنت اقول لتلاميذى فى قسم الصحافة بكلية الآداب ان القرآن فيه أعظم ما وصل اليه الفن الصحفى الحديث . فى امكانك أن تقــرأ القرآن الكريم وكانك تقرأ اعظم جريدة يومية فى العالم . فيه حكمة اليوم . وخبر اليوم وخبر الغد . فيه أنباء الماضى والحاضر والمستقبل . فيه جدة وفيه اثارة . فيه الغاز وحلول للمشاكل . فيه حوادث وقضايا . فيه أنباء خارجية وداخلية !

اننى اهرب من حزنى على بلادى الى القرآن . الناس يعيشون فى جو من الكآبة وخيبة الأمل واليأس . كأنهم يشيعون جنــازة لا تنتهى . سيمر وقت طويل قبــل أن تعود للناس ابتســاماتها وضحكاتها . هموم بلادى تشغلنى . كأننى احمل على رأسى وحدى همها . كأننى أنا الذى سأدفع وحدى فاتورة آلامها وخسائرها . حاولت كثــيرا أن اقنع نفسى بأن وجودى فى الســجن يعفينى من مسئولية حمل همومها . لم أستطع . اشعر بأننى جزء من بلدى . بل جزء كبير منها . أحيانا اقول لنفسى انه لابد من حكمة الهية من وجودى فى السجن . ربما لو كنت الآن خارج السجن لمــا ذقت ساعة واحدة من النوم . ولمــا عرفت الراحة لحظة واحدة ولأصبت بالذبحة الصدرية . كأن الله عرف كل ما كان سيصيبنى من غارات الأحداث وقنابلها فوضعنى فى هذا المخبأ ، كنت فى أول الأمر اتصور أن الله ادخلنى السجن لأرى بعينى المظالم والظلم والتعذيب ، الذى لم اكن لأصدقه لو سمعته ، لولا أننى رأيته بعينى ، وذقته بجسدى — والآن اتصور أن حكمة دخول السجن ايضا ان الله يعلم اننى طالما انذرت وحذرت مما سيحدث . وان أحدا لن يصدق اننى أنذرت وحذرت ونصحت ، وكنت سأتحمل مسئولية الهزيمة ، وأدفع ثمن جريمة لم أرتكبها . بل قاومتها وحاربتها . اذكر اننى واخى أصبنا معا بمرض السكر عقب الجهد الذى بذلنــاه فى معركة العدوان

عام ١٩٥٦ . ماذا كان يصيبنا لو كنا فى مكاننا فى هذه الأيام . اننى أحمد الله على كل شىء . وقد كنت أقول انه لابد من حكمة الهيئة وضعتنى فى السجن ؟ !

لا تزال حريتى بعيدة . خصوم الحرية أقوياء . أنصار الحرية ضعفاء . شعورى أن حزب الظلام سوف ينتصر على حزب النور فى هذه الفترة . وسوف يستمر الاستبداد بل سوف يشتد . وهذا بخلاف جميع الآراء التى حولى التى تعتقد أن الاتجاه هو الى الحرية والديموقراطية . الأستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين من هذا الرأى ايضا . وهو أن الايام القادمة ستكون أشد سوادا ! مع كل هذا لم أفقد الأمل فى الحرية . ارى أن الفجر سيجىء بعد الظلام . سوف نقترب ببطء من أحلامنا ، من ابتساماتنا ، من ضحكاتنا . أؤمن بأن الله معنا . كل شىء وقع لى يزيدنى ايمانا بالله وثقة به . سررت أن رفض التنازل عن الشقة جعلهم يضطرون الى تسليمنا الشقة ، بعد أن اقفلوها منذ القبض على الى الآن . اشعر بأننى سأعود اليها فى يوم من الايام ونستأنف احلامنا . الله اراد بما أصابنا ان يزيدنى ايمانا . أن يعرفنى بصورة واضحة قيمة الحرية . اننى أتصور أن متاعبى قد تزداد فى الأيام المقبلة . هذا ليس علامة سيئة . بل علامة طيبة . اشتداد الظلام معناه اقتراب الفجر . أنا لست متفائلا جدا مثل أخى على . أنا واقعى أكثر منه . أعرف أن الظلام سيطول . وبرغم كل ما حولى من أسباب التشاؤم واليأس والقنوط فان قلبى يملؤه التفاؤل والثقة بالمستقبل باذن الله . لقد وصلنا الى الحضيض . لا يمكن أن نهبط الى اكثر مما وصلنا اليه . كل حركة بعد ذلك ستكون الى فوق . لا تتضايقى اذا اشتدت الضغوط والقيود . اذا كانت مقابلتنا القادمة فى السلك . اذا وجدت متاعب فى ارسال طعام السكر اذا وجدت عقبات فى الحصول على الزيارة الخاصة ، اذا تأخرت الخطابات اذا انقطعت الأخبار .

كل هذه متاعب مؤقتة . المسجون هنـــا طبقا للائحة السجون لا يقيم وحده . يقيم القلق معه . يتولى حراسته . ومع ذلك فاننى أشعر بأن اليـــد التى تقبض على عنقى بشـــدة لابد أن تتعب من الضغط عليه ، مع الأيام ستتراخى . اننى أشعر بأن ايمانى معى فى زنزانتى ، يضاعف قوتى وصمودى وصبرى .

وصلت الكهرباء الى زنزانتى بعد أن عشت عدة أسابيع فى ظلام دامس . عادوا يهربون لى الثلج . أشرب الآن ماء مثلجا . نعمة من الله أرجو أن تدوم ..

مجلس الـوزراء في
زنازين السجن الحربي

ليمـــان طره

يونيو ١٩٦٧

عـــزيزتي

آلاف الشباب المصري يموتن على أرض اليمن . مليون جنيه مصري تنفقه مصر يوميا في القتال في حرب اليمن لتحرير الشعب اليمني . نحرم أنفسنا من القوت الضروري في سبيل عملية التحرير هـــذه .

ولكن انظري ماذا فعلنا بشعب اليمن . رسائل هربت لي من السجن الحربي من زعماء اليمن تروي قصصا عجيبة ..

في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٦٦ دعي عدد من زعماء ثورة اليمن لمقابلة المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد العام للقوات المسلحة .

وجاءت سيارات فخمة ضخمة تحمل زعماء اليمن وكبار وزرائه الى المقابلة الهامة . وانطلقت السيارات الى صحراء مدينة نصر .. ووجد زعماء ثورة اليمن انفسهم في زنازين السجن الحربي . في الزنزانة رقم واحد السيد أحمد محمد نعمان عضو المجلس الجمهوري ورئيس وزراء اليمن الســـابق . في الزنزانة رقم ٢ الفريق حسن العمري القائد العام للقوات المسلحة وعضو المجس الجمهوري

ورئيس الوزراء السابق . فى الزنزانة رقم ٣ حسن مكى رئيس الوزراء السابق ونائب رئيس الوزراء بعد ذلك . فى الزنزانه رقم ٤ العقيد حسن المسورى سفير اليمن فى القاهرة ورئيس هيئة أركان الحرب سابقا . فى الزنزانة رقم ٥ العقيد ابراهيم الحمدى نائب القائد العام وقتئذ ورئيس مجلس القيادة فيما بعد . وفى الزنزانة رقم ٦ أحمد عبده سعيد وزير الدولة . فى الزنزانة رقم ٧ محمد الحجى وزير العـــدل فى الزنزانة رقم ٨ محسن السرى رئيس مجلس ادارة البنك اليمنى . فى الزنزانة رقم ٩ يحيى المتوكل وزير الداخلية. فى الزنزانة رقم ١٠ درهم أبو لحـــوم عضـــو مجلس القيــادة . فى الزنزانة رقم ١١ محمد أبو لحوم عضـــو مجلس الثـــورة . فى الزنزانة رقم ١٢ أمين عبد الواسع نعمان وزير الزراعة ومحافظ صنعاء السابق .

مجلس وزراء بأكمله فى زنازين السجن الحربى بالقاهرة ! وهؤلاء زعماء ثورة اليمن التى مات الوف من شبابنا دفاعا عنها !

ولم يكن السجن لمدة يوم او اسبوع او شهر (ملحوظة افرج عنهم فى يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٦٧ اى بعد عام وشهرين اى ٣٨٧ يوما) .

ومعاملة زعمـــاء ثورة اليمن ووزرائها كمعاملة المســـجونين فى السجن الحربى سواء بســـواء . الزنزانة تغلق عليهم طوال ٢٤ ساعة . لا تفتح الا ليذهبوا الى دورة المياه . يدقون على ابواب الزنازين ليذهبوا الى دورات المياه . فيشخط الحارس فى الوزراء ورؤساء الوزارات . ويقول لهم ان هذا لا يتم الا بعد الحصول على أمر الفريق حمزة البسيونى مدير السجن الحربى !

وكان رئيس الوزراء العجوز احمد محمد نعمان يصرخ من وراء باب الزنزانة وهو فى حالة ضيق ، وحارس السجن يشخط ميه ويقول له « لسه » !

وكان الرئيس النعمان يصرخ ويقول :

— فى عهد الامام كنا نطالب بحرية « القول » ، والان نحن نطالب بحرية « البــول » .

مكث الرؤساء ستة شهور لا يرون اولادهم او زوجاتهم ! ولم يسمح لهم بقراءة الكتب ، ولا بكتاب واحد ، حتى القرآن الكريم .

وحفر الرئيس نعمان على جدران زنزانة السجن الحربى قصيدة تقــول :

فى ظلام السجون احيا وحيدا	بين احــلام يقظة ومنــام ..
بين جدران غرفة ذات بــاب	محــكم الغلق ايمــا احــكام
لا ترى العين وجه حر كريم	او صـــديق او عابر للسلام
لا ارى الشمس،او احس بدفء	من لظاها يدب فى الأجســـام
لا ارى الجو ، او اشم هـــواء	غير جو المرحاض والحمام !!

لماذا منع الرقيب حيثيات التعذيب؟

ليمـــان طره

عـــزيزتى

لاحظت أن الرقيب منع نشر حيثيات حكم محكمة أمن الدولة عن أسباب براءة الذين اعترفوا تحت التعذيب فى قضية كمشيش وقد جاء فى الحيثيات :

« كان الأقدمون يرون أن الاعتراف سيد الأدلة حتى لو صدر نتيجة التعذيب أو الاكراه . وفى التشريعات الانجلو سكسونية تبدأ الدعوى بسؤال المتهم هل هو معترف « مذنب » من عدمه ، فان أقر بأنه مذنب أصبحت ادانته مفروغا منها وما على القاضى الا تطبيق العقوبة عليه. »

وهكذا انتشر نظام التعذيب بطريقة وحشية فى القرن الثانى عشر وفى القرون الوسطى . فكان المحققون يلجأون للتعذيب لحمل المتهم على الاعتراف ، اذ كان الاعتـــراف هو الشـــغل الشاغل للمحققين . بل أن المتهم ، وبعد الحكم عليه بالاعدام وقبل تنفيـــذ الحكم ، كانوا يعذبونه للحصول على أدلة جـــديدة . وحيث أنه سرعان ما اتضح ان معظم الاعترافات لم تكن لتمثل الا الكذب ارضاء للمحققين ، سواء أبديت بالرضا أو بالاكراه ، كالاعترافات الهستيرية أو الكاذبة التى أخذت بالتنويم المغناطيسى ، أو نتيجـــة

اعطاء أقراص مخدرة ، أو باستعمال وسائل خداعية أو احتيالية .

ولقد هاجم الفلاسفة والكتاب استعمال هذه الوسائل الوحشية من التعذيب فى التحقيق . نادى بذلك مونتسكيو وبيكاريا ، وقالوا أن التعذيب يؤدى دائما الى اعترافات يترتب عليها ادانة الأبرياء

اعدام البرىء استنادا الى اعترافه !

« وضربوا الأمثلة بقصة (كامبو) التى تدل على مدى التمسك بالاعتراف ، من أن القاضى رأى بعينيه جريمة قتل وان الجانى فر هاربا ، ثم جاء خباز فوجد جراب الخنجر ملقى على الأرض ، فأخذه ، فضبطه البوليس معه ، فاتهموه بالقتل مع انه برىء ، وبواسطة التعذيب اعترف بقتل لم يرتكبه ، ثم جىء به أمام القاضى كامبو الذى شاهد الجريمة من نافذته ، ورأى الجانى الحقيقى ، وشاهد الخباز يلتقط الجراب ، ويعرف أنه لم يقتل ، ولكنه قضى باعدامه أخذا بالاعتراف نتيجة التعذيب !

« لهذا وبعد تطور الزمن اشترطت التشريعات الحديثة فى عموميتها ومعها احكام الفقه والقضاء ، سواء المصرى أو المقارن ، على انه يشترط للأخذ بالاعتراف أن يكون واضحا ، لا لبس فيه ولا غموض ، وأن يصدر من متهم متمتع بالتمييز فعلا ، فلا يعتد باعتراف مجنون أو سكران أو مخدر أو منوم مغناطيسيا ، أو تحت تأثير تحليل نفسانى ، أو نتيجة عقاقير ، أو نتيجة أجهزة لكشف الاختيار ، فيجب أن يكون الاعتراف حرا طليقا . أما الاعتراف الذى يجىء نتيجة اكراه مادى أو أدبى فانه يبطل تماما ، وتبطل كافة الأدلة التى اكتنفته والتى احاطت به بطلانا مطلقا ، ويستوجب براءة كل من لحاط به هذا الاكراه .

انواع من الاكراه الذى يبطل الاعتراف

« والاكراه المـادى يتمثل فى التعذيب ، أو الضرب ، أو هجوم الكلب البوليسى على المتهم ليمزق ملابسه . ومن طريف ما تقضى به فى فرنسـا أن استمرار استجواب المتهم أربعين سـاعة فيه حرمان له من النوم والراحة ، وهو نوع من الاكراه والتعذيب ». وفى قضية أخرى استبعد اعتراف المتهمة بعد أن ثبت أنه جـاء بعـد حرمانهـا من الطعام . والاكراه الادبى يتمثل فى التهـديد بالايذاء ، أو بالوعـد ، أو بالوعيـد ، أو بافشـاء أسرار عائلية ، أو بالاعتداء على قريب . ففى جميع تلك الحالات وأمثالها يبطل الاعتراف ، لأنه لم يصدر عن طوع واختيار ، وانما بالقوة والاكراه والاجبـار .

التعذيب جناية عقوبتها الأشغال الشـاقة

ولذلك اعتبر تعذيب المتهم لحمله على الاعتراف جريمة استنكرتها معظم التشريعات ، ويعاقب مرتكبها بأشـد العقوبات ، وهى فى تشريعنا العقـابى جناية يعاقب عليها بالمـادة ١٢٦ بالأشـغال الشـاقة أو السجن حتى عشر سـنوات ، أما اذا مات المجنى عليه فالعقوبة هى عقوبة القتل .

آثار الاعتراف الباطلة فى نظر القانون الدولى

لذلك فقد انتهت الآراء فى القانون المقارن الى وجوب استبعاد الاعتراف من عداد الأدلة ، فجاء فى قرارات المؤتمر الدولى السادس لقانون العقوبات فى روما عام ١٩٥٣ أن الاعتراف لا يعد من الأدلة القانونية . وجاء فى قرار المؤتمر الدولى للعلوم الجنـائية فى سان

بتسبرج أن التعذيب يجب معاقبة مرتكبه ، وأن الاعتراف وحـــده لا يكفى فى تسبيب الحكم بالادانة . وهذا سار فى القانون الفرنسى ، وانتهوا الى أن الاعتراف يجوز العدول عنه دائما .

وقد اوصت لجنة حقوق الانسان بهيئة الأمم المتحدة على انه لا يجوز ان يخضع اى شخص مقبوض عليه أو محبوس لأى اكراه مادى أو معنوى ، أو لغش أوحيلة أو لتنويم مغناطيسى أو لمحاليل مخدرة أو اى مواد تشوش حريته فى التصرف . وكل دليل يحصل بالطرق الســالفة يعتبر غير مقبول ، وأن أى اعتراف لا يعتــد به الا اذا تم فى حضور محامين أو أمام القاضى .

وجوب استدعاء محامى المتهم وقت الاستجواب

وانه ازاء تلك الحملات الشديدة من الفقهاء وأحكام القضـــاء ، فانه يجب أخذ الاعتراف بالحيطة والحذر — حرصت التشريعات على وضع ضمانات لاستجواب المتهمين ، فأوجب تشريعنا الجنائى فى المـــادة ١٢٤ على أنه لا يجوز استجواب المتهم فى الجنـــايات الا بحضور محام اذا تمسك المتهم بحضوره ، وذلك لضمان عـــدم التأثير على المتهم عند استجوابه ، أو عدم ايقاعه فى الخطأ . أما اذا حصل أى اكراه عليه فان اعترافه يبطل بطلانا مطلقـــا .

ومن النظام العام مهما كان قدر هذا الاكراه من الضآلة . ومن ثم فيجب استبعاد الاعتراف ، وما اكتنفه به من أدلة أخرى . والا كان الحكم باطلا . على أن بطلان الاعتراف يستتبع كنتيجة حتمية ، طبقا للمـــادة ٣٣٦ اجراءات جنائية ، بطلان سائر الأدلة المستمدة منه أو المترتبة عليه ، كالارشاد عن السلاح ، أو الأرشاد عن متهمين آخرين .

تلكم هى أحكام القانون التى تعصم حريات الناس ولا تستبيحها، وتعاقب بالشدة كل من سولت له نفسه العبث بهـا ، او الاستهانة بأمرها . ومؤداها أن أى اكراه تستشفه المحكمة باديا فى اعتراف احد المتهمين فانها تسارع باستبعاد هذا الاعتراف وما ارتبط به من ادلة اخرى ، بل ترى ان هذا الاكراه جناية يعاقب عليها القـانون ، وتنزل حكمها فى الدعوى ، وعقوبتها هى الأشغال الشـاقة او السجن من ثلاث سنوات الى عشر سنوات ، أو عقوبة القتل ، ان مات المتهم نتيجة التعذيب . بل ويجوز طلب اعادة النظر اذا صدر حكم نهائى على المتهم فى الدعوى نتيجة هذا التعذيب ، واستنادا الى شهادة من قاموا بتعذيبه ، أو اذا ظهر بعـد الحكم ان اعترافه المتهم كان وليد الاكراه أو كان وهو معترف فاقد الشعور .

وحيث انه بانزال تلك المبـادىء على الدعوى الحالية وما ثبت فيهـا من وقائع تعذيب الى اعتراف متهمين بارتكاب الحادث ، واستلامهم أسلحة من المدعى عليهم ، وبالتحريض ، حالة كون أحدهم كان معتقلا فى الطور ، ويستحيل مقارفته هذا الحادث فان المحكمة تستبعد بلا أدنى شك أو تردد كافة الاعترافات كدليل فى الدعوى ، سواء ما لحق المتهمين او الشهود ، مكتفية بما انتهت اليه تحقيقاتها فى الجلسة .

هذا هو نص حيثيـات محكمة أمن الدولة العليـا فى قضية كمشيش .. فلماذا منع الرقيب نشرها فى الصحف ؟

السبب انه لو طبقت هذه القاعدة القانونية ، لخرج جميع المسجونين السياسيين من السجون !

ما من واحد منهم سمحوا له بأن يجيء بمحام يحضر التحقيق ! كل واحد منهم تعرض للاكراه المـــادي والمعنوى . وكل واحد منهم ضرب أو عذب أو هجم عليه الكلب البوليسى ، ومزق ملابسه ؛ أو نهش لحمه ، كل واحد منا منع من النوم ومن الراحة والطعام والمـــاء عدة أيام . كل واحد منا هددوه واعتدوا على أقاربه . بعضنا احضروا زوجاتهم وخلعوا ملابسهن وطلبوا من الحراس أن يغتصبوهن أمام أزواجهن ! عشرات منا قتلوا مثل محمد الفيومى الذى قتلوه فى السجن الحربى ودفنوه فى صحراء مدينة نصر . أحدنا عذبوه فى السجن الحربى حتى اغمى عليه ، وظنوا انه مات ، وحملوه مع أربع جثث لمتهمين سياسيين آخرين دفنوهم فى صحراء مدينة نصر ، وفى الصباح استيقظ السجين السياسى من اغمائه ، ونفض عنه الرمال وازاح الجثتين المدفونتين فوقه ، وخرج الى النور يبحث عن الحياة، فما كاد الحارس يراه حتى فزع وراح يعدو وهو يصرخ « عفريت ! عفريت ! عفريت » !

أحدنا ضربوه حتى فقد النطق . وظنوا انه ميت . فأبلغوا نيابة أمن الدولة بأنه مات بالكوليرا . فأمرت النيابة كتابة بحرق جثته خوفا من العدوى .. ثم ظهر أنه لا يزال حيا فأرسلوه الى المعتقل ، ولكنه بقى ميتا رسميا ، فحرموه من معاش والده لأنه مات ، وفصلوه من كلية الطب لأنه مات ، وبقى معتقلا فى المعتقل وميتـــا فى الأوراق الرسمية فى وقت واحد !

روى لى جارى فى الليمان انور زعلوك صاحب جريدة الحقائق كيف أن زبانية صلاح نصر ضربوه بالأيدى والعصى ، وداسوا عليه بالأقدام ، وجزدوه من ملابسه حتى أصبح عاريا تماما كما ولدته أمه ، وعلقوه فى كلبش من الحديد من القدمين كالذبيحة ، وتركوه

بلا أكل ولا شرب ، وأدخلوا آلة حادة فى شرجه ، وبدأوا ينفخون بطنه ، وهو يتلوى من الألم والعذاب ، وأغمى عليه ، وأفاق فوجد نفسه فى بركة من الدماء ، ثم قاموا بخلع أظافر أصابعه ، وهددوه باحضار زوجته وأخواته وبناته .

وروى لى زميلى المسجون السياسى عادل سليمان المحـــرر بالجمهورية انهم شدوه من جهازه التناسلى بعد ربطه بخيط نايلون ، ووضعوا على راسه آنية من معدن سلطوا عليها الكهرباء واحس فى داخله بالاف الاهتزازات وهو يصرخ كالمجنون ، وأنهم انهالوا عليه بالضرب والصفع والركل وحرموه من شرب المـــاء واطفأوا السجائر المشتعلة فى جســـمه واطلقوا عليه الكلاب البوليســـية المتوحشة وعلقوه من ذراعيه وساقيه ووضع الحارس حذاءه فى فمه وعندما اغمى عليه غمسوا راسه فى قصرية تواليت افرنجى وكووا جسده بالنـــار والمسامير الملتهبة والأسياخ .

وروى لى عدلى ابادير الموظف بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والمحكوم عليه بالسجن ١٠ سنوات فى قضية سياسية ملفقة انهم خلعوا ملابســه ، وتولوا كى ظهره بأسياخ من الحـــديد فى أماكن متفرقة ، ثم صبوا ماء باردا على اماكن الكى ، وانهالوا عليه ضربا بالكرابيج ، وكسروا سنتين فى فمه .

وقال لى المسجون السياسى محمد عبد الغنى النشرتى أنهم جردوه من ملابسه وضربوه بالسياط والأسياخ والعصى ، وعلقوه من ساقيه الى أعلى وكووا القضيب والخصيتين بالنار بواسطة جسم ملتهب ، ثم غرسوا دبابيس ملتهبة فى ظهره ثم خلعوا أظافره .

وذكر لى المسجون السياسى شفيق اندراوس وكيل بنك اسكندرية فرع الموسكى انهم جردوه من ملابسه ، ووضعوا سلكا كهربائيا

على جسمه ومرروا عليه تيارا كهربائيا فكان يصرخ ويقفز الى أعلى ، فينهالون عليه بالضرب والركل ، واحضروا جهازا أشبه بالخرطوم وادخلوه في فتحة الشرج ، ونفخوا بطنه بالهواء ، وشعر بالام فظيعة ، وأحس أن مصارينه تتمزق ، وانتفخ بطنه ، ووقف احد الحراس على بطنه المنتفخ وامروه أن يضع حذاءه في فمه ، ثم حرقوا ظهره بالنار بقضيب من الحديد الملتهب .

هل سيجيء يوم يعاقب فيه بالقانون الذين داسوا بأقدامهم على القانون ، الذين أهدروا كرامة الانسان المصرى ، الذين استباحوا حريات الناس ، الذين عبثوا بالعدالة ، واستهانوا بكرامة الرجال !

ان منع الرقيب نشر حيثيات المحكمة عن التعذيب في قضية كمشيش معناه أن التعذيب لا يزال أساس الملك وليس العدل هو أساس الملك !

من يعلم .. أن الله قادر على كل شيء ! قد نتبادل الأمكنة ويجلس في الأقفاص التى يحبسوننا فيها الذين ظلمونا والذين عذبونا ، والذين تصوروا انهم الآلهة الذين في أيديهم حق الحياة أو الموت !

ان الله أكبر من كل الظالمين !

القتل بغير محكمة !

ايمــان طره

عزيزتى

تذكرين اننى فى خطابى الى الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى كتبته له من سجن الاستئناف فى أول ديسمبر سنة ١٩٦٥ اننى قلت له بالحرف الواحد « وهددونى بأن صلاح نصر سيقتلنى بالسم ، وقالوا ان لديه سما لا يمكن أن يكتشفه اى طبيب شرعى فى العالم ».

وجاءت تحقيقات النيابة فى حادث مصرع عبد الحكيم عامر بالسم تؤيد بعد سنتين كل ما قلته فى خطابى للرئيس عن السم الذى يستعمله صلاح نصر والذى قتل به الملك فاروق !

ان أحد تلاميذى أطلع على تحقيق النائب العام محمد عبد السلام فى حادث السم ، وارسل نص مذكرة وضعها النائب العام عن هذا الحادث ، وهى مذكرة مكتوب عليها « سرى للغاية » وقد استطعنا الحصول عليها .

« لمناسبة قيام الصلة بين سم الاكونيتين الذى انتحر به المشير عامر وادارة المخابرات العامة ، تطرق التحقيق الى بحث مصدر حصول هذه الادارة على السموم ، ومقــدار كمياتهــا ، وأوجه استعمالها .

وقد توليت بنفسى تحقيق هذا الجانب ، وتبين من الاطلاع على سجلات الادارة انه فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٣ استوردت الادارة من خارج البلاد ، دون تحـــديد مصدر معين ، خمسة جرامات من مادة ديجتوكسين Digitoxine وخمسة جرامات من مادة اكونيتين Aconitine وكلتاهما مادة سامة ، وتتميز الثانية بأنهـــا سريعة الذوبان فى الماء ، وفيها مرارة بسيطة لا يشعر بها الانسان ، اذا تناولها مع الماكولات ، أو المشروبات ، وبخاصة أنواع العصير ، وان بضعة مليجرامات منهـــا تكفى غالبا لاحداث الموت .

ونظرا لاحتمال تطاير بعضها ، أو التصاقه بالورق ، فان ٢٥ مليجراما تكون قدرا مضمونا لاحداث الوفاة .

واثبت فى السجلات انه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ سلم ٦٠٠ مليجرام من كل من المادتين الى « وجيه » ، والمقصود بهذا الاسم السيد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب السيد صلاح نصر ، وقد قسم هذا القدر الى ستة أجزاء ، كل جزء ١٠٠ مليجرام ، وضعت فى العبوات المعدة لتثبيت الريتالين فى الورق المفضض . وقد سبق القول بأن واحدة من هذه الورقات المفضضة ، تبين انها تكمل تماما الورقة التى وجدت على جسد المشير ، ووضح فى الصور الشمسية التى اخذها الطبيب الشرعى ان أجزاء الحروف المكتوبة فى كل من الورقتين يكمل بعضها بعضا تماما .

وتبين من التحقيق انه يوجد بادارة المخابرات العـــامة قسم للسموم ، يراسه الكيميائى مختار احمد ذكرى ، وأن هذا القسم يتبع ادارة البحوث التى يراسها السيد محمد حلمى القاضى .

وانه فى يوم ٩ من ابريل سنة ١٩٦٧ اتصل وجيه عبد الله مدير مكتب صلاح نصر بمحمد حلمى القاضى رئيس ادارة البحوث ،

وكلفه أن يرسل الى صلاح نصر ، بناء على أمره ، جانبا مما لديه من سموم . فأبلغ هذا الأمر الى مختـــار احمد ذكرى ، فوضع فى الفجوات الخاصة بحبات الريتالين ٦٠٠ مليجرام من كل من مادتى الديجتوكسين والاكونيتين ، مقسمة الى مقادير متساوية ، تقدر كل منها ١٠٠ مليجرام ، وسلمها مختار ذكرى فى اليوم التالى ، الى وجيه عبد الله ، ومعها ورقة بالتعليمات المتضمنة خواصها وكيفية استعمالها ، على النحو السابق ، وسلمها وجيه بدوره الى مدير ادارة المخابرات (صلاح نصر) .

وقد قرر السيد صلاح محمد نصر فى التحقيق انه طلب حقيقة، ولكن فى تاريخ لا يذكره ، مادة سيانور او سيانيد البوتاسيوم ، وانه تسلم بالفعل مادة سامة ، وكان يظن انها احدى هاتين المادتين ، وانه وضعها فى مكتبه ، وظلت فيه بحالتها ، الى ان مرض يوم ١٣ من يوليو سنة ١٩٦٧ ، وانتقل من مكتبه فى ٢٣ منه ، الى احدى الاستراحات ، ولم يعد الى مكتبه الى ان اعفى من منصبه فى ٢٦ من اغسطس .

ومن المحقق فى هذا الصدد الاشارة الى ان الاكونيتين الذى وجد على جسد المشير يزيد على ١٥٠ مليجراما ، ولا يعرف مصير باقى الـ ٦٠٠ مليجرام التى سلمت الى صلاح نصر .

ولكن لماذا تحتفظ ادارة المخابرات العامة بهذه السموم . ولماذا يوجد بها قسم خاص بالســـموم بالذات . وفى اى غرض كانت تستعمل هذه السموم ؟

ان اقوال رجال المخابرات العامة لا تدع مجالا لأى شك فى ان هذه السموم اعدت واستعملت بالفعل للقتل .

فقد قرر مختار أحمد ذكرى رئيس قسم السموم انه كان يعمل في هذا القسم منذ سنة ١٩٥٩ ، وأن سمى الديجيتوكسين والاكونيتين استحضرا في سنة ١٩٦٣ من الخارج . وغالبا من المانيا او سويسرا ، وانهما « لايستخدمان الا كسم قاتل » . أما التحاليل وغيرها من البحوث العلمية فان ادارة المخابرات كانت تستعمل فيها سموما من انواع أخــرى . وقال في موضـــع آخــر « احنـــا محضرين السموم دى لا لأغراض علمية ، وانما لهدف القتل لمصلحة الدولة » وعاد وجيه محمد عبد الله مدير مكتب صلاح نصر فقرر « ان هذه السموم تستعمل في اغراض لمصلحة الدولة ، وبأوامر دائما من مستويات الدولة » ، « ان السموم هـــذه وسيلة ضمن وسائل أخرى ، مما يمكن استعماله للتخلص ممن تقتضى مصلحة الدولة التخلص منـــه » .

وقرر محمد حلمى القاضى مدير ادارة البحوث أن وجيه عبد الله طلب منه بناء على امر المدير (صلاح نصر) « سما سريع المفعول » وأن هذه السموم تستخدم لأغراض المخابرات ، وقد تسلم لأى مندوب للقيام بعملية لمصلحة أمن الدولة ، وقد تستخدم ضد العملاء في الداخل او في الخارج .

« أما السيد صلاح محمد نصر فقد وردت عبارته في هذا الخصوص بالصيغ الآتيـــة :

« اننى لا يمكننى أن أدلى الآن بأسماء السموم ، وأين استعملت ؟ واعترف بانه أنشأ قسما للسموم منذ سنين طويلة ، والغرض منه عمل تجارب على انواع السموم التى قد تستخدم ضد الخونة من أعداء البلاد ، وان ذكر أى أسرار أو اسماء الذين استعملت ضدهم

هذه السموم قد يضر المصلحة العليـا للدولة أو يمس كثيراً من المسئولين » .

واعترف « انى طلبت سموما كثيرة للاغراض التى ذكرتها » .

واعترف بالحرف الواحد فى التحقيق « اننى طلبت سموما كثيرة « للاغراض التى ذكرتها . وطلبت كميه من سيانور البوتاسيوم او سيانيد البوتاسيوم لأعمال لا استطيع ان افصح عنها .

وقال صلاح نصر بالحرف الواحد انه كان يعد هذه السموم ، ويسلمها بنفسه لبعض العمليات ، وكان يسلمها بنفسه للذين يقومون بسم الدين تقرر قتلهم .

ولما سئل صلاح نصر عن السبب فى انه لم يسلم المادة السامة التى ضبطت فى مكتبه قال : « السبب كان مسافر سويسرا وكنت غير مطمئن اليه » .

وقال : ان ذكر تفاصيل هذه العمليات قد يكشف عن أسرار خطيره !

وهكذا يهربون لى داخل السجن وثائق تثبت اجرام الذين ظلمونى! لو كنت خارج السجن لما استطعت أن احصل على مثل هذه الوثيقة !

ولكن الله يفعل من أجل المظلومين ما لا يخطر على بالهم !

وهنا تذكرت وانا أقرأ هذه الاعترافات كيف دسوا السم للدكتور أنور المفتى الطبيب الخاص للرئيس جمال عبد الناصر .



هل سيجىء يوم يؤلف فيه مجلس الامة لجنة برلمانية للتحقيق وتسأل صلاح نصر من هم الذين قتلهم .. وكيف يجوز قتل انسان بغير محاكمة وبغير حكم ، ان الله وحده هو الذى يحيى ويميت ، فمن الذى أعطى الفرد سلطة الاله !

اننى مؤمن بأنه سيجىء يوم يكشف الله فيه عن كل هـذه الجرائم مهما احيطت بالسرية والكتمان !



تهريب مصر / وتحريرها من داخل الزنزانة

ايمـــان طـــره

٢١ يوليو سنة ١٩٦٦

عـــزيزتى

اننى العب الآن مع السلطة لعبة القط والفار ! انا الفار طبعا ! انهم يحاصروننى بالعيون والأرصـــاد . يتبعون خطواتى . قال الرئيس للمشير « انا اعرف مصطفى جيدا . انه لا يمكن أن يسكت ابدا .. لابد أن يفعل شيئا ! » .

ويظهر أن هذا الراى قاله الرئيس امام وزير الداخلية ، لأن الرقابة اشتدت على ، وهم يتصورون أن معنى كلمة « انه لابد أن يفعل شـــيئا » أن معنى ذلك اننى ســـاحاول الهرب ! وهكذا يحاولون حصار جسمى ! وهذا من حسن حظى ، فانا لا اريد أن اهرب ، كل ما احاوله هو أن اهرب افكارى وآرائى ! ما قيمة أن اكون فى السجن أو خارج السجن اذا كانت افكارى محبوسة !

ولهذا فقد استفدت من اشاعة استعدادى للهرب . انها الدخان الأبيض الذى يخفى خلفه تحركات افكارى ورســـائلى وقصصى ومقالاتى وكتبى !

وذات مساء دق جرس التليفون فى غرفة نوم العميد عبد الله عمارة مدير منطقة سجن ليمان طره . وكانت الساعة الثانية عشرة بعـد منتصف الليل .

وهب مدير السجون مذعورا من نومه . .

وصاح مدير مصلحة السجون فى هلع : أين مصطفى امين ؟

وأجاب مدير السجن فى دهشة : انه موجود فى زنزانته بالسجن.

قال مدير المصلحة فى حزم : لا . . انه غير موجود فى السجن . لقد وصل الى وزير الداخلية الآن تقرير خطير موثوق به يؤكد أن مصطفى أمين شوهد من دقائق فى شارع ٢٦ يوليو . . قم من فراشك وافتح السجن واذهب وتأكد بنفسك .

وقفز مدير الليمان من فراشـــه فى رعب ، وارتدى ملابسه العسكرية فى ثوان ، وانطلق الى ليمان طرة الذى يبعد عن بيته بحوالى عشرة أمتار ، هى عرض الشارع فقط . وكان باب السجن الذى يبعد ٣٠٠ متر مغلقا ومختوما بالشمع الأحمر ، ففض المدير الختم ، ودخل السجن ، ووصل الى العنبر رقم واحد ، وهو عنبر المسجونين السياسيين ومعهم عدد من المسجونين العاديين ، وصعد الى الطابق الرابع ، واتجه الى الزنزانة رقم ٩٨ ، ونظر المدير من نظارة الزنزانة فرآنى نائما فى فراشى أغط فى النوم .

ولم يرد المدير أن يوقظنى حتى لا تعرف فضيحة التقارير الكاذبة التى تصل الى وزير الداخلية !

وعاد مدير الليمان الى بيته وطلب مدير مصلحة السجون تليفونيا وقال له :

ـ اننى نظرت من نظارة الزنزانة ، ووجدت مصطفى أمين نائما مغطى ببطانية .

وساله مدير المصلحة فزعا : هل كلمته ؟

قال مدير الليمان : لا .

وعاد مدير مصلحة السجون يساله فى ذعر : ولم نكشف وجهه ؟

قال مدير الليمان : لا .

قال مدير المصلحة فزعا : وهل دخلت الزنزانة ؟

واجاب مدير الليمان : لم افتح الزنزانه ، وانما اكتفيت بالنظر داخل الزنزانة ، ووجدته مغطى بالبطانية .

فقال مدير المصلحة غاضبا : اذن الخبر الذى عند سيادة وزير الداخلية صحيح .

ان مصطفى امين خدعكم . الذى رأيته ليس مصطفى امين هو عدد من الوسادات مغطى بالبطانية فقد شوهد فعلا فى شـــارع ٢٦ يوليو .

اجاب مدير الليمان فى دهشـة : مستحيل ! اننى رايت البطانية ترتفع وتنخفض ، وهذا يدل على ان هنـــاك انفاسا تتحرك لا وسادات !

قال المدير الذكى : لابد انه اتفق مع مسجون آخر ليحل مكانه . او انه خدر احد الحراس ووضعه تحت البطانية .. هل احصيت عدد المسجونين ؟ هل احصيت عدد الحراس ولم نجد واحدا منهم

قد نقص ؟ اذهب مرة أخرى ، وافتح السجن ، وارفع البطانية ، وتأكد أن الذى تحتها هو مصطفى أمين بلحمه وعظامه . ان وزير الداخلية يؤكد أن مصطفى أمين قد هرب وانا نائمون !

وعاد العميد عبد الله عمارة مدير الليمان مرة أخرى الى السجن، وفتح عنبر واحد ، وصعد الى الطابق الرابع ، وفتح باب الزنزانة رقم ٩٨ ورفع البطانية ، ورآنى نائما ، آكل أرزا مع الملائكة !

وعاد مدير السجن الى بيته ، واتصل تليفونيا بمدير مصلحة السجون وأبلغه بشرى العثور على تحت البطانية .

وأبلغ مدير المصلحة البشرى الى وزير الداخلية .

ونام وزير الداخلية ، ونام نائب وزير الداخلية ، ونام كبار موظفى الداخلية ونام مدير مصلحة السجون !

وتصورت أن وزير الداخلية لن يصدق بعد ذلك التقارير السرية التى تصل اليه . ولكن بعد ذلك بشهور دق جرس التليفون فى غرفة نوم العميد عبد الله عمارة . وكانت الساعة الرابعة صباحا .

وصاح مدير السجون فى صوت مرتجف : اصح من نومك ! ان مصطفى امين يستعد الآن للهرب . وصلتنا معلومات مؤكدة بأنه قام بنشر قضبان زنزانته ، وأنه يستعد للهرب . وزير الداخلية علم أن طائرة ستهبط فى حوش الليمان ، وأنها أعدت خصيصا للهرب به الى خارج مصر ..

قال العميد عبد الله عمارة : هذا كلام حشاشين .

قال مدير مصلحة السجون غاضبا : هذا كلام وزير الداخلية ..

ان معلوماته مؤكدة ووصلت اليه من داخل السجن ، ومطلوب منك ان تمسك مصطفى أمين وهو يهرب !

واسرع العميد عبد الله عمارة الى زنزانتى، وايقظنى من النوم ، وراح يشد فى قضبان الزنزانة ، ويمتحن بابها ، ويبحث فى كل مكان عن المنشار الذى هربته لأنشر به القضبان الحديدية !

ووجد مدير السجن ان القضبان الحديدية مثبتة بالأسمنت المسلح .. وانه لا يوجد فى الزنزانة او فى الزنازين المجاورة اسلحة ولا منشار !

وعاد مدير السجن الى فراشه بعد ان طمأن مدير مصلحة السجون ، الذى طمأن وزير الداخلية الذى طمأن وزير الحربية حتى يلغى الأمر الذى اصدره بأن تهب الطائرات لمطاردة الطائرة التى خطفتنى !

وذات يوم جاء لوزير الداخلية تقرير سرى بأننى أخفى فى زنزانتى جهازا سريا متصلا بالخارج .

وقامت قوة من مباحث مصلحة السجون وهاجمت زنزانتى فلم تجد الجهاز المزعوم ! وكان العقيد زكى وهبه مأمور العنبر قد اكد لهم ان هذا كلام فارغ فأكدوا انها معلومات موثوق بها جدا !

وفى ظل هذا الرعب والفزع والأنباء الكاذبة استطعت ان اكتب الوف الخطابات ، وبعض القصص ، وبعض الكتب ، وان اتلقى يوميا عددا من الخطابات فيها كل ما يهمنى أن أعرفه وما لا ينشر فى الصحف وما يشطبه الرقيب !

وخطر ببالى خاطر غريب .. ان جميع الاستحكامات والاحتياطات وضعت لمقاومة هروبى من داخل السجن الى خارج الأسوار .

لماذا لا أفعل العكس ، واهرب رجلا من خارج السجن الى داخل زنزانتى !

اننى استطعت أن أكون من زملائى المسجونين نظاما يشبه نظام أخبار اليوم ، نظاما يفعل المستحيلات ، فلماذا لا أستعين بهذا الجهاز فى تهريب انسان الى داخل السجن !

واستعدت ذكرياتى .. تذكرت أن الانجليز أقاموا فى عام ١٩٤٢ معتقلا فى ضاحية الزيتون ، وأحاطوه بحراسة شديدة ، ووضعوا فى هذا المعتقل عددا من السياسيين من خصوم الانجليز وخصوم الوزارة القائمة فى تلك الأيام .

وكان بين المسجونين السياسيين فى هذا المعتقل أنور السادات والشيخ الباقورى وجلال الحمامصى ومحمد صبيح وموسى صبرى .

وخطر ببالى أن أهرب نفسى الى داخل المعتقل . واشتركت مع جلال الحمامصى فى وضع خطة الهروب .

وذات ليلة ، وفى أثناء عملية تغيير الحرس ، استطعت أن ادخل سرا الى المعتقل ، وأمضى وقتا طويلا مع المعتقلين السياسيين . وكنت فى تلك الأيام رئيسا لتحرير مجلة الاثنين ، ورئيسا لقسم الأخبار فى جريدة الأهرام .

ونجحت الخطة . وكررت المحاولة للمرة الثانية ونجحت أيضا .. فلماذا لا أكرر المحاولة فى ليمان طره .

وخطر ببالى ان اهرب الى زنزانتى محررا من تلاميذى فى أخبار اليوم ومصورا من تلاميذى . اننى كتبت الوف الخطابات أصف الزنزانة وحياتى فى الزنزانة . وكم من المرات قلت فى دروسى الصحفية ان التحقيق الصحفى يبقى ناقصا اذا خلا من الصور . فلماذا لا تلتقط صور لزنزانتى ولى فى ملابس السجن .

واخترت تلميذى رامت بطرس المحرر بأخبار اليوم ، واخترت أحمد عبد العزيز المصور بأخبار اليوم .

وتم وضع ترتيب مرورهما خلال كردونات متعددة من الحراس تبدأ من باب الليمان الى أن تصل الى زنزانتى فى الطابق الرابع من عنبر واحد !

وتم التقاط عشرات من الصور ..

وانصرف المحرر والمصور دون أن يشعر بهما أحد .

ثم بدأ يلعب فى عبى الفار ! انهما حصلا على نصر صحفى عالمى ، ماذا يحدث لو استبدت بهما شهوة النصر الصحفى فنشرا هذه الصور فى الصحف خارج مصر ! ان احمد عبد العزيز قال انه لو نشر هذه الصور فى صحف العالم لباعها بعشرة آلاف جنيه .

لو حدث ذلك لانفضح الجهاز السرى الذى يعمل داخل السجن وخارجه ، والذى استطاع أن يهرب الوف الخطابات وعددا من القصص وبعض الكتب السياسية . واتفقت مع صديقين غير معروفين ، من خارج السجن ، وتنكرا فى زى ضباط المباحث العامة . وذهبا الى دار أخبار اليوم وقابلا المصور احمد عبد العزيز وانتزعا منه الأفلام ، واثارا الفزع فى قسم التصوير وقالا : لو ان احدا فتح

فمه وذكر ما حدث فسوف يجد نفسه مسجونا مع مصطفى أمين في زنزانة واحدة .

وصدق مصور أخبار اليوم هذا التهديد واطبق فمه ولم يقل كلمة واحدة عما حدث .

ثم وقعت فى مشكلة .. اين أخفى هذا الفيلم الخطير ! ؟ وقررت أن أخفيه داخل السجن .. انه المكان الأمين الوحيد الذى لا تصل اليه حملات التفتيش ! !

ودفناه فى مكان مجهول فى حديقة العنبر .. وسوف يبقى مدفونا هنا .. الى أن يخرج معى الى الحرية !

فى يوم من الأيام لابد أن تشرق الحرية .. ولابد ان تخرج اشياء كثيرة مدفونة تحت التراب .. احد هذه الأشياء هذا الفيلم .. والشىء الثانى المدفون هو الحقيقة .. والشىء الثالث هو .. انا !!

كلنا سنخرج من القبور !

بأمر الله !

في هذا الكتاب

صفحة

صفحة

كتب المؤلفة

أمريكا الضاحكة ــ حياة طالب مصرى مفلس فى أمريكا .
الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ . الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣.
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ (نفدت) .

فاطمــــه
مثلتها بالسينما أم كلثوم وأنور وجدى سنة ١٩٤٧ .

عمالقة واقــزام
ساسة مصر وسياسة مصر قبل الثورة سنة ١٩٥١نفدت.

ليالى فاروق (جزءان) سنة ١٩٥٤ (نفدت) .
قصة حياة الملك السابق

معبودة الجماهير سنة ١٩٦١ (نفدت) .
مثلها بالسينما عبد الحليم حافظ وشادية

صاحبة الجلالة فى الزنزانة الطبعة الأولى سـنة ١٩٧٤ . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ ــ الطبعة الثالثة ١٩٧٥
الصراع بين الصحافة والطغيان .

سنة أولى سجن
الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤
الطبعـــة الثانية ديسمبر ١٩٧٤.
الطبعة الثالثة ينـاير ١٩٧٥
الطبعـــة الرابعة فبراير ١٩٧٥
الطبعـــة الخامسة مـــايو ١٩٧٥

الكتاب الممنوع (جزءان) الطبعة الأولى ســنة ١٩٧٤ . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ أسرار ثورة ١٩١٩

سنة أولى حب	يناير ١٩٧٥.
لا	تحت الطبع
ست الحســن	تحت الطبع
من واحد الى عشرة	تحت الطبع

مطابع الأهـــرام التجـــارية

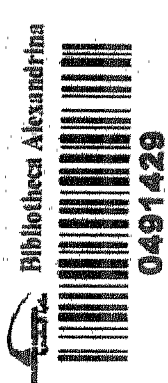
رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٥ / ٤٣١٦

الذين وضعوا مصطفى امين فى السجن ، واغلقوا عليه باب الزنزانة ، تصوروا انهم لوثوه وقيدوه وكمموه واخرسوه الى الأبد ، تصوروا انهم دفنوه حيا فى قبر محكم ، وهالوا عليه التراب . والموتى لا يتكلمون ! ..

ولكن أصدقاء مصطفى امين وتلاميذه خارج السجن ، وزملاؤه المسجونون السياسيون استطاعوا أن يجعلوه داخل الزنزانة أكثر اطلاعا عما يجرى فى البلد مما كان وهو رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم ! كانوا يهربون له الانباء والأسرار والوثائق عما يجرى فى الدولة . وهكذا كان يتابع يوميا الجرائم التى ترتكب والحقوق التى تغتصب والحريات التى تداس بالاقدام . كان هناك تنظيما تحت الأرض يهرب الى مصطفى كل يوم الرسائل الممنوعة والأنباء الممنوعة . وكان مصطفى يهرب لهم كل يوم رسائل عما يجرى فى داخل القبر الذى يعيش فيه .

وفى خطابات مصطفى امين السرية كل ما كان يجرى فوق الأرض وتحت الأرض . الصراع على السلطة . الخلافات بين القادة . قصص الارهاب والطغيان . دموع المسحوقين وضحكاتهم . المذابح التى كانت تجرى وراء الاسوار . كانت مهمته ان يهرب الى خارج السجن قصة كل مظلوم داخل الاسوار . كان يعتقد أن كل مظلوم هو مصطفى امين ، وان مصطفى امين هو كل مظلوم .

انها ليست قصة رجل واحد ، بل قصة كل مظلوم فى مصر . ماذا يحدث عندما يكون القانون فى اجازة . عندما تطفىء الانوار ويسود الظلام . عندما توضع الحقيقة فى الزنزانة ويحكم عليها بالسجن المؤبد . الرجال والنساء الذين كانوا يقومون بعمليات التهريب متحدين حراسة مشددة ورقابة رهيبة وعيون متلصصة وجو من الخوف والرعب ، كانوا يعرضون حياتهم وحرياتهم للخطر ، ولكنهم كانوا يقومون بعملية فدائية هى اخراج الحقيقة من الظلام الى النور ، من السجن الى الحرية ...



كتاب سنة أولى سجن طبع خمس مرات فى عام واحد .
سبتمبر ١٩٧٤ الطبعة الثانية فى ديسمبر ١٩٧٤ الطبعة الثالثة
الطبعة الرابعة فى فبراير ١٩٧٥ الطبعة الخامسة فى مايو ١٩٧٥
انه سجل أكبر رقم قياسى فى توزيع الكتاب السياسى فى الشرق
وهذا هو سنة ثانية سجن ..
وبعد كتاب « سنة ثانية سجن » سيصدر كتاب سنة ثالثة سجن !






مطابع الاهرام التجارية

٥٠